صخب الخسيف



أسامة المسلم

الطبعة الأولى



صخب الخسيف

أسامة المسلم (قصص قصيرة)

مَن تعتقدُ أنه أجمل غِطاءٍ لحياتك قد يسحقهَا يومًا ما..

الوادي (عماد) و(منذر)..

لا يفترقان أبدًا..

اعتادا على المشاركة في كل شيء..

تزاملا في الدراسة، وتخرجا سويًا، وتوظفا في نفس العمل..

حلَّتْ عطلة نهاية الأسبوع؛ وقد كانت بالنسبة لهما هروبًا مقدسًا مِن ضغوط العمل الآسرة لأرواحهما المنطلقة، وقد اعتادا ألّا يقضياها في المدينة أبدًا، كانت الرحلات الاختلائية في أحضان الطبيعة بشتى أشكالها شغفهما، كانا يقضيان تلك الأيام المعدودة بين البر أو البحر.. بين التلال أو المروج.. في أي مكان يأخذهما قلبًا وقالبًا بعيدًا عن ضجيج المدينة.

لم يكن المكان مهمًا لهما بقدر عزلتهما بأنفسِهما عن الناس، كرَّسا أنفسهما لتلك الخلوات بقدسية؛ لذا اشتروا سيارة مُخصصة ومُعدةً لهذا الغرض جاهزةً للانطلاق بهما في أيِّ وقتٍ ولأيِّ وجهةٍ بعيدًا عن صخب تلك الغابة الاسمنتية كما كان يُسمِيها (عماد).

ذاتَ يوم اقترح (منذر) بعد فراغهما من انطلاقهما المعتاد نهاية الأسبوع الذهاب نحو وادي سمع عنه من بعض الرحالة الذين يشاركونهما نفس الشغف في الاستكشاف فقال لصاحبه:

ما رأيك أن نجرب مكانًا جديدًا هذه المرة؟

(عماد): لا أعتقد أن هناك مكانًا لم نزره حول حدود مدينتنا.

(منذر): هناك مكانٌ لم نزرهُ مِن قبل.

(عماد): أين..؟

(منذر) وهو يبتسم:

وادٍ يبعد قليلًا عن المسافة التي اعتدْنَا قطعها بحثًا عن الخلوة مع الطبيعة (عماد) بحماس: لا تسألني عن رأْيي وانطلق نحو هذا المكان!

قطع الاثنان مسافةً ليست بالقصيرة نحو ذلك الوادي، وقبل العصر بقليل وصلا للمكان حسبما وصفهُ ذلك المستكشف، انبهر الاثنان من جمال الوادي وخضرته بالرغم مِن قحولة الصحراء مِن

حولِه، لم يترددا بالوقوف والنزول ونَصْبِ خيمتهما وإنزال حوائجهما؛ استعدادًا للسمر تلك الليلة في ذلك الوادي الجميل.

كَانا في العادة يقضيان ليالي الرحلات في الحديث عن ذكرياتهما في المدرسة، عندما كانا طالبين ورحلاتهما المثيرة السابقة؛ لأنهما يجدان متعةً في الحديث مع بعضهما وكأنهما شخصًا واحدًا يحدثُ نفسَه، بقي الاثنان عطلة نهاية الأسبوع كاملةً في ذلك الوادي، وكمَا اعتادَا قَررا العودة في صباح اليوم الأخيرِ؛ لأنَّ (منذر) لا يحب القيادة ليلًا.

بدأ الاثنان بجمعِ حاجياتِهما، وقام (عماد) برمي بقايا الطعام في الوادي بلا عناية أو حفظ لَها في كيس قمامة، وكان (منذر) يستاء من هذا العمل في كل مرة لكن (عماد) كان يبرر ذلك بقوله؛ أنه لو وضعها في كيسٍ فلن تأكل منها دواب الأرض، وسيخسرون الأجر والثواب في ذلك؛ تحرك الاثنان بعدما انتهيا من جمع حاجياتهما نحو المدينة، لكن عندما انتصف بهم الطريق صرخ (عماد) قائلًا:

تمهل.. لقد نسيت هاتفي الجوال!!

(منذر): هاتفك!..كيف تنسى شيئًا مهمًا كهذا؟!

(عماد): دعنا نعد فأنا لا أستطيع الاستغناء عنه أو استبداله؛ ففيه معلومات هامة.

لم يكن (منذر) بالذي يرفض طلب صاحبه، لكنه كان يريد الوصول إلى المدينة قبل حلول الليل لكرهه القيادة ليلًا، لكن (عماد) طمأنه بأنه سيتولى القيادة بدلًا منه إذا حل الظلام. عاد الاثنان للوادي وتوقفَا في نفس مكان تخييمهما السابق، ونزلا وبدآ بالبحث عن الهاتف، وما هي إلا دقائق حتى صرخ (عماد) وقال:

وجدته!!

(منذر): جيد الحمد لله لنعد إذًا.

ركب الاثنان السيارة، وقبل أن يشغل (منذر) المحركَ قال (عماد) بهدوء:

انتظر..

(منذر): ما بك؟

(عماد): أَلم تلاحظ شيئًا غريبًا خلال بحثنا عن الهاتف؟

(منذر): لا.. عن ماذا تتحدث؟

(عماد): القمامة..

(منذر): أي قمامة؟

(عماد): القمامة التي رميناها في الوادي.

(منذر): ما بها؟

(عماد): اختفت ضحك (منذر) وقال:

أليس هذا هدفك؟.. أن تأكل الدواب بقايا اللحوم والعظام كي تكسب أجر إطعامها، التفت (عماد) على (منذر) بوجه قلق وقال:

وهل الدواب تأكل بقايا النار التي أشعلناها أيضًا..؟

(منذر): إلى ماذا تشير؟

(عماد): هناك أمر غريب يحدث هنا (منذر): وماذا تقترح أن نفعل؟

(عماد): لننزل ونتفقد المكان نزل الاثنان وبدآ يتفقدان المكان.. بعد قليل قال (منذر):

عن ماذا نبحث بالضبط؟

(عماد): لا أعرف لكن الأمر مريب (منذر): ومتى ستنتهِي ريبتك؟.. الليل سيحل، وأنا لا أستطيع القيادة ليلا.

(عماد): حسنًا.. حسنًا.. لنذهب.

(منذر).. انتظر.. انظر إلى هذا..

(عماد): ماذا؟

رفع (منذر) مِن على الأرضِ قطعةً بحجم وشكل ورقة؛ لكنها كانت من مادة أشبه بالجلد، ورائحتها نتنة، وقال وهو يغطي أنفه بإحدى يديه:

ما هذا..؟

اقترب (عماد) من صاحبه وأخذ القطعة وقلبها ليجد خلفها كلامًا مكتوبًا بلون أسود بما يشبه الكحل؛ وبخط رديء لكنه مقروء، قرأ (عماد) ما كان مكتوبًا بصوت مسموع وقال:

«شكرًا على إطعامنا.. كان الطعام لذيذًا.. تحت الصخرة امتناننا.. هل من مزيد؟» (منذر): ما معنى هذا الكلام..؟

(عماد) وهو يلتفت يمينًا ويسارًا ثم يشير بإصبعه: انظر لتلك الصخرة الكبيرة!

توجه (عماد) مسرعًا نحو الصخرة، وبدأ يبحث تحتها، و(منذر) يقول له باستغراب: ماذا تفعل؟

توقف (عماد) عن البحث فجأة، ثم نهض وهو ممسك بين يديه شيء يلمع..

(منذر): ما هذا؟

(عماد): لا أعرف لكنه يبدو ثمينا جدًا.

(منذر): وهو ينظر إلى السماء، يجب أن نرحل بسرعة؛ فالليل أوشك على الحلول عاد الاثنان للمدينة، وطيلة الطريق كان (عماد) يحدق في تلك القطعة التي تشبه الماسة في شكلها لكن لونها أزرق وكان لمعانها مبهرًا جدًا..

(منذر): إلى متى ستحدق بتلك الجوهرة؟

(عماد) وعينه على الجوهرة: ما الذي حدث.. ومن أطعمنا..؟

(منذر): أعرف أنني يجب أن أكون مبهورًا ومتفاجئًا، لكنني لست كذلك.

(عماد) وقد وجَّه نظره ل(منذر):

لماذا؟.. ماذا تقصد؟

(منذر): من الواضح أن المسألة مزحة مرتبة؛ إما منك أو من شخص آخر.

(عماد): أقسم بأنه لا علاقة لي بالموضوع!

(منذر) وعينه على الطريق:

الحمد لله أن الشمس لم تغب بالكامل، وإلا كنت تورطتُ بقيادتك المتهورة على الطرق السريعة والتي لا أحبها.. سنتأكد الآن لقد اقتربنا من المدينة..

(عماد): ماذا تقصد بأننا سنتأكد..؟

(منذر) وهو يبتسم: سترى..

أكمل (منذر) القيادة حتى وصل لأحد المحلات المتخصصة في الحلي والمجوهرات وقال ل(عماد):

هذا المكان سيؤكد لك أن ما بين يديك مجرد قطعة من الزجاج (عماد) وهو ينزل من السيارة:
سنرى عرض الاثنان القطعةَ على الصائغ الذي تفحصها بعدسة خاصة لفترة ثم قال:

من أين لكما هذه القطعة..؟

(منذر) وهو يبتسم: أخبرنا بقيمتها فقط.

(الصائغ): هل سرقتموها؟

(عماد) بغضب: نحن لسنا لصوصا!

(منذر) بهدوء: لمَ تقول ذلك هل هذا الحجر ذو قيمة تستحق السرقة؟

(الصائغ) وهو يضع الحجر الأزرق على طاولة العرض وينزع العدسة من عينه:

هل تريان هذا المحل بما فيه من ذهب ومجوهرات؟

(منذر) و(عماد): نعم (الصائغ): مجمل قيمتها لا يعادل قيمة هذا الحجر.

(منذر): هل تهزأ بنا؟

(عماد): اسكت يا (منذر) دع الرجل يتحدث!

(الصائغ) وهو يعيد عدسة الفحص في الدرج:

لا أعرف من أين حصلتما على هذه الماسة الزرقاء، لكنها من أندر أنواع الماس، وحتى الماس الموجود في العالم وبرغم ندرته ليس بهذا الحجم أو النقاوة.

(عماد): ماذا تقصد؟

(الصائغ): أقصد أنكم تسيران بثروة قد تعرض حياتكما للخطر.

(منذر): أين يمكننا بيع مثل هذا الحجر؟

(الصائغ): ليس في هذه المدينة بالتأكيد لكن هناك صائغ في العاصمة يمكنه دفع قيمة مثل هذا الحجر ويمكنني إرسالكما له وتزكيتكما عنده لو رغبتما.

(عماد) وهو يضع الحجر في جيبه:

لا شكرًا.. سنفكر في الأمر.

خرج (عماد) من المحل ولحق به (منذر) وهو يقول:

ما بك؟.. لما لا نبيعه ونصبح من الأثرياء؟

(عماد) وهو يركب السيارة في مكان السائق:

لأننا لم ننتهِ بعد..

(منذر) وهو يركب السيارة ويناول (عماد) المفاتيح:

لم ننتهِ من ماذا؟

(عماد) وهو يدير المحرك:

سوف نطلب إجازة من العمل غدًا، وبعدها سأخبرك.

(منذر): أخبرني الآن، ماذا تنوي أن تفعل؟

(عماد) وهو يقود السيارة متوجها لمنزل (منذر):

سوف أوصلك للمنزل الآن وغدًا سآتي لأخذك.

(منذر): ألن تخبرني الآن؟

(عماد) وهو يبتسم ويحدق بالطريق:

غدا.. غدًا سأخبرك.

في الصباح الباكر عرَّج (عماد) بمنزل (منذر) ليجده في الخارج بانتظاره. نزل (عماد) وركب في المقعد المجاور للسائق وقال:

هيا لنذهب لنطلب تلك الإجازة ثم نتوجه للوادي..

(منذر): هل أنت جاد؟.. بالثروة التي سنحصل عليها سوف أبتاع الشركة التي نعمل بها ويمكنك أخذ إجازة مفتوحةً.

(منذر) وهو يركب في مكان السائق:

هل أنت متأكد من رغبتك في العودة إلى الوادي؟

(عماد): هل تمزح؟.. لقد عثرنا على منجم من الثراء!

(منذر): ماذا تنوي أن تفعل؟

أشار (عماد) بإبهامه للخلف فالتفت (منذر) وشاهد السيارة ممتلئة بصناديق من الفاكهة..

(منذر) باستغراب: ما هذا..؟

(عماد) وهو يبتسم: لقد مررت بسوق الخضار قبل أن أمر بك، واشتريت هذه الأطعمة؛ لنقدمها لمن قدم لنا تلك الجوهرة.

(منذر): لماذا؟

(عماد): هل أنت أحمق أم تتحامق؟.. لقد قدَّم لنا جوهرة نفيسة مقابل بعض القشور، ماذا تظن أنه سيقدم لنا مقابل فاكهة طازجة؟

(منذر): هل تعرف عمَّن أوعن ماذا تتحدث..؟ نحن لا نعرف ما الموجود في ذلك الوادي.. يجب أن نبلغ أحدًا!

(عماد): نبلغ من..؟ لن يشاركنا أحد هذا الاكتشاف، وسوف نستغله لآخر قطرة (منذر): فكر بتعقل.. الأمر مريب كما قلت، والذهاب للوادي مرة أخرى مخاطرة.

(عماد): إن كنت لا ترغب بالثراء فأوقف السيارة وسأذهب لوحدي، هل ستذهب معي أم لا؟

(منذر): لا أستطيع تركك لكن أرجوك فكر في الأمر بعقلانية.

(عماد): لا تقلق لن يحدث شيء سوى أننا سنصبح من الأثرياء.. لنتحرك الآن كيلا نتأخر.

بعد مسيرة ساعات وصل الاثنان إلى الوادي..

(منذر): ماذا الآن..؟

(عماد) وهو ينزل من السيارة:

نضع الأطعمة في نفس المكان الذي رمينا فيه القمامة المرة الماضية ثم نبتعد نفس المسافة ونعود..

(منذر): ثم ماذا؟

(عماد): ثم سنرى حقيقة الامر نفذ (منذر) ما طلبه (عماد) وفي طريق عودتهما للوادي بعدما وضعا الفاكهة قال: لدي شعور سيء..

(عماد) وهو مبتسم:

لا تكن متشائمًا، سنجد جوهرة أخرى واحتمال أن نجد اثنتين وعندها يمكننا الاكتفاء.

(منذر): هل تعدني؟

(عماد): أعدك بماذا؟

(منذر): بأنها ستكون آخر مرة.

(عماد) وهو يبتسم: أعدك..

وصل الاثنان للوادي ولم يجدا الأطعمة التي وضعاها وبدآ بالبحث حتى وجدا ورقة جلدية مماثلة للسابق وكان مكتوبًا عليها:

«شكرًا على إطعامنا.. كان الطعام جديدًا.. فوق الصخرة امتناننا.. هل من مزيد؟» وجه الاثنان أنظارهما فوق الصخرة؛ ليريا صندوقا ذهبيًا امتلأ بالكامل من جواهر بألوان مختلفة وبأحجام مختلفة، هرع (عماد) نحو الصخرة مسرعا ورفع نفسه وأمسك بالصندوق وبدأ بسحبه.

(منذر) وهو يجري نحو (عماد):

توقف توقف دعني أساعدك سيسقط عليك!

وقع الصندوق بثقله على (عماد) وحطم ساقه وجزء من فخذه وشل حركته بالكامل. بدأ (عماد) بالصراخ من الألم..

(منذر) وهو يحاول رفع الصندوق:

الصندوق ثقيل جدًا لا أستطيع تحريكه!

(عماد) بصوت مرتفع: ساقي تنزف!

(منذر) بتوتر: ما العمل الآن؟

(عماد): حاول الاتصال بهاتفك وطلب المساعدة!

(منذر) وهو يرفع هاتفه: لا يوجد تغطية هنا.

(عماد) بصوت مرتفع: عد بالسيارة حتى تحصل على تغطية!

(منذر): لن أتركك وحدك هنا!

(عماد) وهو يشد (منذر) نحوه بقوة ويصرخ فيه:

لا تفكر بعاطفة الآن!.. لن أنزف لوقت طويل سوف أموت!

(منذر): حسنًا.. حسنًا، انتظرني سوف أتصل وأطلب المساعدة، وأرسل لهم إحداثيات المكان.. انتظرني لن أتأخر!

خرج (منذر) من الوادي وانطلق مسرعًا؛ حتى يحصل على تغطية للهاتف، بعد مسيرة ساعة ظهرت التغطية، وأجرى (منذر) اتصالًا للطوارئ الذين طلبوا منه الانتظار في موقعه حتى يصلوا كي يرشدهم إلى الوادي. لم يستطع (منذر) الانتظار وعاد مسرعا إلى الوادي كي يطمئن على صاحبه ثم يعود مرة أخرى للمكان الذي أرسل إحداثيته، نزل (منذر) للوادي ولم يرَ أي أثر ل(عماد) أو الصندوق. بدأ يبحث بجنون حتى وجد ورقة جلدية مشابه للأوراق السابقة وكانت تقول:

«شكرًا على إطعامنا.. كان الطعام مقيتًا.. لا تستحق امتناننا.. ولا نريد المزيد» الكتاب المفتوح (منار)..

قارئة نهمة..

يلقبها أصدقاؤها بدودة الكتب..

تقرأ في كل شيء وعن أي شيء..

تقسو في نقدها على الكتب التي لا تعجبها إن وجدت أذن صاغية..

وهذا في الغالب لا يحدث..

لا تملك الكثير من الأصدقاء الذين يشاركونها نفس الاهتمام..

علاقتها بالكتب نمت بعد وفاة أمها عندما كانت في العاشرة..

علاقتها مع أبيها باردة لأنه غارق في عمله وهي اختارت أن تغرق في الكتب..

لا يجمعهما إلا مائدة العشاء من وقت لآخر..

في يوم ميلاها الرابع عشر ترك لها والدها هدية مغلفة بغلاف متواضع وترك بطاقة كتب عليها:

«كل عام وأنتِ بخير قارئتي الصغيرة..» فتحت (منار) الهدية لتجد كتابًا قديمًا ومهترئا بأطراف مذهبة، ابتسمت ابتسامة عريضة وهي تتوجه لغرفتها لالتهام محتواه، لم تهتم لما تخبئه صفحات ذلك الكتاب بقدر سعادتها بأن أباها يهتم بها وباهتماماتها ولم ينسها يوم ميلادها. قفزت على سريرها وبدأت بالقراءة.

منذ الصفحة الأولى و(منار) ترفع وتنزل في حاجبها من الاستغراب؛ فالكتاب لم يكن من الأنواع التي اعتادت قراءتها بالرغم من أنها قرأت في شتى المجالات، كان الكتاب كالرواية في أوله يتحدث عن صبي تائه في غابة يكسوها الضباب ويحاول جاهدًا الخروج منها.

مع استمرار القراءة انجذبت (منار) لأحداث تلك الرواية بقوة، حتى صدمت بصفحات بيضاء إلى آخر الكتاب، قلّبت (منار) الكتاب يمينًا ويسارًا لكنها لم تجد التكملة، أغلقته بتعجب وإحساس بخيبة أمل يخالطهما عطشٌ لمعرفة بقية الأحداث، حرمها هذا التفكير من النوم تلك الليلة حتى عاد أبوها كعادته متأخرا من عمله ليجدها مستيقظة على غير عادتها وبمجرد دخوله باغتته بسؤال:

أين بقية القصة يا أبي؟!

(الأب) مستغربًا: لمَ أنتِ مستيقظة إلى هذه الساعة؟

(منار): أرجوك يا أبي أين بقية القصة؟!

(الأب): عن أي قصة تتحدثين؟

(منار) وهي ترفع الكتاب في وجه أبيها: هذه!!

(الأب) مبتسما: هل أعجبتك الهدية؟

(منار): نعم.. نعم لكن أين بقيتها؟!

(الأب) باستغراب: ماذا تقصدين؟

فتحت (منار) الكتاب أمام والدها وقالت: انظر!!

نظر الأب للكتاب المفتوح وقال: كتاب مثل أي كتاب..

نظرت (منار) بسرعة للصفحة التي فتحتها لتجد أنها صفحة مُلئت بالكلمات. قلَّبت الكتاب كله ولم تجد صفحة بيضاء واحدة فأغلقته ووقفت مستغربة تحدق بأبيها الذي وضع يده على رأسها وقال:

«اذهبي للنوم يا عزيزتي فالوقت قد تأخر..» عادت (منار) لغرفتها وجلست على طرف سريرها بهدوء واستأنفت القراءة من حيث انتهت عن ذلك الفتى التائه في الغابة الضبابية، بعد عدة صفحات من القراءة صدمت مرة أخرى بالصفحات البيضاء تظهر من جديد مما أغضبها ودفعها لرمي الكتاب بعرض الحائط والخلود للنوم.

استيقظت في الصباح كعادتها وبدأت في الاستعداد للذهاب للمدرسة. كان أبوها في ذلك الوقت غارقًا في نومه لأن مواعيد عمله تبدأ بعد الظهر وحتى المساء لذا اعتادت كل صباح الذهاب مشيًا لوحدها لمدرستها القريبة من المنزل.

بعد الظهيرة عادت (منار) للمنزل ولم تجد أباها الذي خرج متوجها لعمله، أعدت لنفسها بعض الطعام ثم توجهت لغرفتها لترتاح، استلقت على سريرها لكن نظرها توجه نحو ذلك الكتاب المُلقَى على الأرض والذي كانت تنظر له بغضب؛ وكأنها تكره رغبتها الملحة في فتحه، لم تستطع في النهاية مقاومة تلك الرغبة وفتحته.

وجدت (منار) أن جميع الصفحات التي قرأتها قد مسحت والكلام المكتوب استأنف من النقطة التي توقفت عندها، أكملت القراءة ولم تفكر بالنظر في الصفحات القادمة لقناعتها بأنها ستجدها فارغة في نقطة ما، أكملت القراءة عن ذلك الفتى الضائع في الغابة الضبابية وشاركته شعوره بالقلق

والخوف على مصيره لدرجة أن عينها دمعت عندما بدأت تحس بأنه لن يجد طريق الخروج من تلك الغابة أبدًا.

عاد الأب كعادته في المساء وكان متوجهًا كما كان يفعل كل يوم نحو غرفته لينام مباشرة لكنه وبسبب ما حدث مع ابنته في الليلة الماضية قرر المرور بغرفتها للاطمئنان عليها فذهب وفتح باب غرفتها بهدوء لتيقنه بأنها نائمة لكنه فوجئ بسريرها فارغًا ولا أثر لها في الغرفة، بدأ الأب يبحث بجنون في الطابق العلوي تبعها ببحث أكثر جنونًا في بقية المنزل ولم يجد أثرًا لابنته، انتهى به الأمر بالاتصال بالشرطة والذين أبلغوه أنهم في الطريق إليه.

جلس الأب على طرف السرير حزينًا حابسًا دموعه يفكر بمصير ابنته المجهول وخلال تفكيره لمح الكتاب على سريرها فتناوله وفتحه وبدأ بتصفحه قليلًا ثم قال وهو يدمع:

ما الذي كان يزعجك في هذا الكتاب يا ابنتي؟.. فهو مجرد قصة عن صبي وفتاة تائهين في غابة ضبابية..

لا قيمةَ للجسد عندما تسلب الروح ولا قيمة للروح عندما يُملك الجسد..

الهبهاب الأم تعاني من خادمتها..

تخوض معها مشاكل ومشاجرات يومية..

تتهم الأم الخادمة بأنها تتحدث ليلًا مع أحد في غرفتها وهي لا تملك هاتفًا..

تتهمها بإدخال غرباء في المنزل..

خلال إحدى المشاجرات اليومية بين (الأم) والخادمة والتي انتهت ببكاء الخادمة وصعودها لغرفتها هدَّأت البنت أمها الثائرة وقالت:

لا داعي لكل هذه العصبية يا أمي أنا سأكشف لكِ حقيقة الأمر..

(الأم) بعصبية: كيف؟!

(الفتاة) وهي تضحك: العلم تقدم يا أمي.. لا تقلقي خلال أيام سيكون عندك الدليل القاطع، وعندها ستتمكنين من مواجهتها وإقامة الحجة عليها.

(الأم): سنرى..

بعد أيام ابتاعت الفتاة لاقطًا صوتيًا صغيرًا مزودًا بجهاز يقوم بتسجيل الأصوات لمدة تمتد لساعات؛ ووضعته في غرفة الخادمة، حلَّ الليل وكانت الفتاة متحمسة لسماع التسجيل في اليوم التالي؛ لذا نامت مبكرًا ذلك اليوم، بعد الثالثة فجرًا بقليل طُرِق باب غرفة الفتاة فنهضت وفتحت الباب لتجد الخادمة أمامها ووجهها مسود وفمها مفتوح ففزعت الفتاة من المنظر لكنها لم تصدر صوتا، مدت الخادمة جهاز التسجيل للفتاة ورحلت، بقيت الفتاة مرعوبة تلك الليلة ولم تستطع النوم حتى أشرقت الشمس.

في اليوم التالي ذهبت الفتاة لغرفة الخادمة ولم تجدها فبحثت عنها في أرجاء المنزل ولم تجدها كذلك وفي نهاية المطاف سألت أمها وقالت:

أين الخادمة؟

(الأم): تخلصنا منها أخيرًا..

(الفتاة): ماذا حدث؟

(الأم): هربت وأبوك قام بالإبلاغ عنها، وهي الآن مطلوبة عند الشرطة وفي كل الأحوال لن تدخل بيتنا مرة أخرى.

(الفتاة):...

(الأم): استعدي للذهاب للمدرسة ولا تتأخري ذهبت الفتاة للمدرسة ومارست حياتها بشكل طبيعي ذلك اليوم وعند عودتها بعد الظهر ودخولها غرفتها لمحت جهاز التسجيل الذي أعادته لها الخادمة فجرًا قبل اختفائها فقررت الاستماع لمحتواه. أوصلت الفتاة الجهاز بحاسوبها وبدأت بتشغيل المقطع.

بداية المقطع كان صمتا طويلًا لأنها وضعت الجهاز مبكرًا ذلك اليوم، لذا استعانت ببرنامج يوضح الجزئيات التي تحتوي على صوت بشكل خطوط متعرجة مثل الذبذبات، التسجيل كان يحتوي على إحدى عشر ساعة من المادة المسجلة بدأت من الساعة الرابعة عصرًا وحتى الثالثة فجرًا:

من الساعة ٤ عصرًا الى ٧ مساءً:

(لا توجد أصوات) من الساعة ٧ مساءً الى الساعة ٨ مساءً:

(صوت شيء يقع على الأرض) من الساعة ٨ مساءً الى الساعة ٨:٣٠ مساءً:

(صوت شيء ينكسر) من الساعة ٨:٣٠ مساءً الى الساعة ٩ مساءً:

(صوت تمتمات غير مفهومة) في هذه الفترة لم تكن الفتاة متوترة لأنها توقعت أن المتسبب في الأصوات هي الخادمة خلال دخولها وخروجها من الغرفة لكن اطمئنانها زال عندما سمعت الأصوات التي تلت ذلك..

من الساعة ٩ مساءً الى الساعة ١١ مساءً:

(صوت مواء قطة) قبل منتصف الليل سمعت الفتاة في التسجيل دخول الخادمة غرفتها، وكانت تستطيع سماع والدتها أيضًا وهي تقول للخادمة:

لا تنسي ما طلبته منك غدا!

أغلقت الخادمة الباب..

من الساعة ١ فجرا الى الساعة ١:٣٠:

(صوت الخادمة وهي تبكي) من الساعة ١:٣٠ الى قرابة الساعة ٢ فجرًا:

(صوت الخادمة وهي تتحدث بتمتمات غير مفهومة وبصوت مخيف وعبارات ملحنة كالتراتيل) تمام الساعة ٢ فجرًا:

(الخادمة تصرخ) الساعة ٢:١٠:

(صوت رجل يتحدث مع الخادمة بلغتها والخادمة لا ترد) الساعة ٢:١٥:

(الخادمة تجادل الصوت وهي تبكي والصوت يخاطبها بغضب) من الساعة ٢:٢٥ فجرًا الى ٢:٣٠ فجرًا:

(صوت أشبه بالضرب يصاحبه بكاء الخادمة) من الساعة ٢:٣٠ فجرًا الى ٢:٥٠ فجرًا:

(لا توجد أصوات) تمام الساعة ٣ فجرًا:

(تشويش بسبب التقاط جهاز التسجيل) انتهى التسجيل..

كمالُ حياتِك يكمن في إيجاد من يقبل نواقصك..

الثمن سوق مفتوح لبيع الطيور بكل أنواعها..

كان قِبلةً لكل هواة تربية الطيور والاعتناء بها..

بعضها يباع للتربية والتزاوج وبعضها الآخر يتم اقتناؤها للزينة وبعضها للأكل..

من بين رواد السوق رجل يعشق تربية الحمام؛ وكان اهتمامه الزائد بها سببًا في طلاقه من زوجته الأولى، وتوتر علاقته بزوجته الثانية؛ لأنه كان يمضي جل وقته مع تلك الطيور في العشة الكبيرة التي أنشأها لأجلهم في سطح منزله، كان يملك منها أعدادًا كبيرة وأنواعًا كثيرة، لم يكن يتاجر بها أو يكسب من ورائها بل كان يربيها ويعتني بها ويوسع تلك العشة كلما زادت أعدادها.

كان ينفق أغلب دخله على تلك الطيور بينما يشح في النفقة على أهل منزله بسبب تلك الهواية، لكنه لم يكن يكترث وكانت تلك الطيور حياته بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

كان هذا الرجل خبيرًا بمعظم أنواع وسلالات الحمام، وكان يحب اقتناء النادر منها وبالرغم من أنه كان يملك من السلالات النادرة ما يفوق أي هاوٍ آخر في مدينته إلا أنه كان دائمًا يبحث عن شيء مميز وجديد في ذلك السوق الذي حفظ جميع أركانه وتربطه علاقة قوية مع أغلب البائعين فيه.

قرر الرجل يومًا العودة من السوق بعد انتهاء جولته اليومية فيه، والتي تنتهي غالبًا باقتنائه لزوج أو زوجين من الحمام من باب الرغبة فقط لأنه غالبا لا يجد ما يشد انتباهه؛ فهو قد اقتنى أغلب السلالات النادرة، والتي لو عرضها للبيع يومًا لأصبح من الأثرياء، قبل رحيله لفتت نظره حمامةٌ كانت تقف فوق أحد الأقفاص ويجلس أمامها فتًى صغير يحدق بها. اقترب الرجل بتوتر من الفتى وحمامته لأنه لم يرَ مثل هذه السلالة من قبل؛ فريشها ومنقارها وذيلها لم يكونوا يشبهون أيًا من السلالات التي رآها أو سمع أو قرأ عنها من قبل. سال لعاب الرجل على تلك الحمامة ولم يخرج من فمه إلا كلمة:

بكم؟

(الفتى): اذا كنت تسأل عن ثمنها فأنت لا تعرف قيمتها ولا تستحقها..

غضب الرجل من كلام الفتى وقال:

هل أنت هنا لتبيع أم لتستهزئ بالناس؟!

(الفتى) بهدوء وهو يقلب عود من القش في فمه:

أوصاني أبي بأن أبيع هذه الحمامة لمن يعرف قيمتها، وأنت من الواضح أنك لا تعرفه؛ لذلك لا أستطيع أن ابيعك اياها..

كاد (الرجل) أن يثور غضبًا من كلام الفتى، لكن رغبته الجامحة في اقتناء تلك الحمامة جعله يتودد له ويقول مبتسمًا:

اعذرني على جهلي فأنا مربٍ مبتدِئ للحمام، وهذه الحمامة أعجبتني وأريد اقتناءها (الفتى) وهو يحيد بنظره عن الرجل: الحمامة ليست للبيع كظم الرجل غيظه وابتعد عن الفتى وخرج من السوق..

لم يستطع الرجل نسيان تلك الحمامة وعاد متوترًا وغاضبًا لمنزله تلك الليلة مما تسبب في نشوب شجار كبير بينه وبين زوجته على سبب تافه تركت على أثره الزوجة المنزل وقالت:

«عندما تنضج وتصبح رجلًا وتتخلص من تلك الحظيرة سأعود لهذا المنزل..!» لم يأبه الرجل لكلام زوجته ولا من رحيلها فتفكيره كان مُنْصبًا على كيفية الحصول على تلك الحمامة الغريبة.

عاد الرجل في اليوم التالي، وتوجه لنفس المكان الذي وجد فيه الصبي ليجده على نفس الحالة التي كان عليها بالأمس، لم يذهب إليه مباشرة، بل توجه عوضًا عن ذلك لأحد الباعة الذي تربطه به علاقة قوية؛ بحكم أنه من أفضل زبائنه وقال له وهو يشير بإصبعه باتجاه الصبي:

ماذا تعرف عن ذلك الصبي؟

(البائع) وهو ينظر لما يشير إليه الرجل:

تقصد الفتى الذي يعرض تلك الحمامة الغريبة؟

(الرجل): نعم.. وبالمناسبة ما نوع تلك الحمامة التي لم أستطع أن أجد لها شبيهًا في كل الكتب التي أمتلكها عن سلالات الحمام؟

(البائع) وهو يرفع أحد الأقفاص:

الإجابة على هذا السؤال لم أجدها عند أي من الباعة الذين توافدوا على ذلك الصبي لشرائها عندما قدم بالأمس وعرضها للبيع..

(الرجل) وهو يحدق بالصبي:

ربما هي مسخ من سلالات مختلطة وليست من نسل أصيل.

(البائع) وهو يشارك الرجل تحديقه بالصبي: ربما..

(الرجل) وهو يحدق بالحمامة: مع ذلك أريد اقتناءَها.

(البائع) وهو يبتسم ويعود لعمله: هل أخبرك بسعرها..؟

(الرجل) وهو ينظر للبائع:

تقصد سؤاله الأحمق؟

(البائع) وهو يخرج حمامة من أحد الأقفاص ويتفحصها: نعم (الرجل) وهو يعيد نظره للصبي:

أعتقد أنها مجرد حيلة منه لرفع سعرها.

(البائع) وهو يُعيد الحمامة التي كانت بيده للقفص: ربما..

(الرجل): شكرًا على أي حال..

توجه بعدها الرجل للصبي وعندما وقف أمام القفص الذي تقف عليه الحمامة قال:

ألا تخشى أن تطير الحمامة بلا عودة؟.. لماذا تتركها خارج القفص..؟

(الصبي) وهو يحدق بالمارة:...

(الرجل): حمامتك ماهي إلا مسخ غريب وتريد خداع الناس بها!

(الصبي) وعينه لازالت على المارة في السوق:

ارحل اذًا وانسَ أمرها..

غضب الرجل من كلام الصبي ومن قلة حيلته أمام رغبته في اقتناء تلك الحمامة مما دفعه يائسًا للقول:

سوف أدفع لك أي مبلغ تريده مقابل هذه الحمامة.. فقط أعطني سعرًا محددا مهما كان..!

(الصبي) وهو لا يزال يحدق بالمارة:

أخبرني بقيمتها وستصبح لك.

(الرجل) بصوت يخالطه الغضب واليأس:

إنها أغلى من حياتي ومن كل ما أملك ورغبتي فيها تفوق رغبتي في العيش!!

نهض الصبي بعد كلام الرجل وأمسك بالحمامة ووضعها في القفص ورفعه أمامه وقال:

خذها إذًا..

(الرجل) وهوه ينظر للصبي باستغراب:

هل أنت واثق مما تقول؟

(الصبي) وهو يحدق في عيني الرجل بثقة: نعم..

فرح الرجل كثيرًا وابتسم بانتشاء وأمسك القفص بسرعة بيده اليمنى ومد اليسرى في جيبه فقال له الصبي:

ماذا تفعل؟

(الرجل): سأعطيك ثمنها!

(الصبي): وهل حياتك في جيبك.. ارحل الآن..

نظر الرجل للصبي الذي مشى من أمامه باستغراب لكنه ظنه معتوهًا ولم يفكر كثيرًا بعدما أصبحت تلك الحمامة بين يديه، عاد مسرعًا لمنزله وتوجه مباشرة للعشة التي كانت في سطح المنزل وفتح القفص وأمسك بالحمامة وقبّلها وقال:

«قابلي عائلتك الجديدة..» أدخل الرجل الحمامة في العشة، ووضعها على الأرض وبدأ يراقب اندماجها مع بقية طيوره، كان يراقبها مبتسما سارحًا في جمالها الآخاذ، واستغرب نفور بقية الحمام منها، بقي الرجل يحدق في تلك الحمامة حتى غابت الشمس فأغلق العشة وتوجه للطابق السفلي وتناول سماعة الهاتف واتصل بزوجته التي كانت في بيت أهلها، بدأ الرجل بالتودد لها والاعتذار منها بعدما هدأت نفسه باقتناء تلك الحمامة لكن محاولاته لم تنجح في استرضائها فقد اشترطت عليه التخلص من كل طيوره، وهدم تلك العشة بالكامل فما كان من الرجل الا أن اغلق الهاتف بغضب بعدما قال:

لا تعودي أبدًا فلا حاجة لي بك!!

نام الرجل ذلك اليوم على الأريكة ولم يتوجه لغرفته، وعندما أفاق في الصباح توجه مباشرة للعشة كما تعود دائمًا وكانت الصدمة..

وجد الرجل عشته خالية من الحمام فيما عدا تلك الحمامة الغريبة وبعض الريش الملطخ بالدماء المتناثر على الأرض، فتح الرجل باب العشة بسرعة ودخل يقلب بالعشش الصغيرة التي كان حمامه يسكنها. لم يجد لهم أي أثر سوى المزيد من الريش الدامي. لم يرى سوى تلك الحمامة تحدق به وهي تقلب عنقها يمينًا ويسارًا. انهار الرجل وبدأ بالبكاء تارة والضحك تارة بشكل هستيري وسط العشة، وخلال بكائه خرجت تلك الحمامة من الباب المفتوح وحلقت بعيدًا وخلال تحليقها لحق بها الرجل قافزًا فوق الجدار في محاولة منه للإمساك بها؛ فزلت قدمه من فوق السطح وسقط ليلقى حتفه دافعًا حياته ثمنًا لامتلاك تلك الحمامة.

القلبُ الخاوي يؤلم صاحبه أكثر من القلب العامر بالكره..

القط فتاة في العاشرة من العمر..

وحيدة أمها وأبيها..

خيالها خِصب..

عوضت تلك الوحدة بذلك الخيال..

تتحدث كثيرًا مع نفسها..

كانت تصاب من وقت لآخر بنوبات من البكاء بشكل متكرر؛ تندفع على أثرها للحمام وتدير صنبور الماء ليغطي على صوت بكائها كي لا يسمعها أحد، أصبحت عادة ((بكاء الصنبور)) كما كان يُسميها والديها معروفة عندهم؛ فكلما سمعوا صنبور الماء ينهمر علموا بأن ابنتهم تبكي، كان هذا الأمر مقلقًا لوالدتها التي استشارت طبيبًا نفسيًا في محاولة للاطمئنان على ابنتها الوحيدة. نصحها الطبيب بأن تبتاع لها حيوانًا أليفًا؛ فقد يصبح ذلك ترياقًا لعلتها التي لم تشتكِ منها يومًا لأحد بل كانت تكتمها في صدرها.

خرجت الأم من الطبيب للسوق مباشرة، وتوجهت لأقرب محل للحيوانات الأليفة وشرحت للبائع رغبتها في اقتناء حيوان أليف مناسب لفتاة في عمر ابنتها، فاقترح عليها أن تبتاع قطًا لكنها لم تحبذ الفكرة لأن أسعارها كانت غالية فاقترح عليها قطًا أرخص بكثير من بقية القطط المعروضة فقالت له:

لمَ هو أرخص من غيره؟.. هل القط مريض؟

(البائع): لا أبدًا يا سيدتي لكن جميع القطط الموجودة في المحل من سلالات نقية؛ أقوم بتربيتها بنفسي، لكن هذا القط أحضره صاحبه قبل أيام لأنه كما قال سيسافر ولا يريد رميه في الشارع.

(الأم): وهل هو من سلالة جيدة؟

(البائع): هو هجين من عدة أعراق ولا يختلف كثيرًا عن قطط الشوارع؛ لذا لن أطلب مالا كثيرا فيه.

(الأم) وهي تنظر للقط: لونه بشع..

(البائع) مبتسمًا:

اللون الأسود لون محبب ومطلوب عند البعض لكنها تبقى مسألة أذواق (الأم) وهي تنظر للقط بتردد:...

(البائع) مبتسمًا:

هل تريدين أن ترين الطيور التي في المحل فهي أرخص بكثير من القطط؟

(الأم) وهي سارحة في القط: لا.. لا.. سآخذه معي (البائع) مبتسمًا: اختيار موفق.

وضع البائع القط في قفص صغير وسلمه للأم بعدما أعطته ثمنه وقبل خروجها من باب المحل قال لها:

نسيت أن أخبرك شيئًا يا سيدتي..

(الأم) وهي تدير نظرها نحو البائع: ماذا؟

(البائع) مبتسمًا: لا أعرف لكن صاحبه أوصاني بأن ينام القط لوحده.

(الأم) وهي تغلق باب المحل وتعود للداخل وعلى وجهها ملامح القلق:

ماذا تقصد؟

(البائع) بتوتر: لا أقصد شيئًا، هذا فقط ما أخبرني به صاحبه قبل تركه هنا!

(الأم) بقلق: هل سيؤذي ابنتي؟

(البائع) مبتسمًا: لا لا يا سيدتي لا تقلقي أعتقد أنه مجرد كلام من شخص متعلق بحيوانه الأليف؛ فالقطط حيوانات رقيقة ولا تؤذي أصحابها لذا لا يوجد سببًا للقلق وأنا خبير في هذه الحيوانات وأستطيع أن أقول لك بكل ثقة أن هذا القط لن يؤذي ابنتك أو أي أحد في المنزل.. كان يجب أن لا أقول ما قلته أنا المخطئ أعتذر (الأم) وهي تتوجه نحو باب الخروج وعلى وجهها نظرة ارتياب:

شكرا.. طبت مساءً خرجت الأم من المحل وتوجهت مسرعة للمنزل كي تفاجئ ابنتها بهديتها وقبل وصولها عند عتبة المنزل وضعت القفص أرضًا وبدأت تبحث بين مفاتيحها عن مفتاح الباب لكنها أسقطت المفاتيح عندما قام القط بخدشها بمخالبه التي أخرجها من بين قضبان القفص، صرخت الأم من المفاجأة والألم، وركلت القفص بلا شعور فبدأ القط يصدر فحيحًا كالأفعى ويتقلب في القفص بقوة.

نظرت الأم لهذا المشهد المخيف والذي لم تعتد عليه من قبل وبدأت تفكر في إعادة القط للمحل لأنه فيما يبدو قطًا سيئًا، وصاحب المحل كان يريد التخلص منه؛ كما كان يريد صاحبه قبله، قررت الأم قبل العودة للمحل الدخول للمنزل ومداواة الخدش الذي أحدثه القط في كاحلها، دخلت للمنزل وبحثت في الصيدلية عن معقم وقطن للخدش وخلال بحثها نزلت ابنتها من الطابق العلوي وسألت أمها:

ما بكَ يا أمي؟

(الأم) وهي تطبب كاحلها:

لا شيء يا عزيزتي عودي لغرفتك سوف أخرج لفترة بسيطة ثم أعود.. هل عاد والدك للمنزل؟

وقبل أن ترد الفتاة سمعت مواءً قادمًا من الخارج، فتركت أمها وانطلقت جريًا بحثًا عن مصدر الصوت، وبمجرد خروجها من الباب ابتسمت ابتسامة عريضة وتوجهت نحو القفص، هرعت الأم خلفها كي تمنعها من الاقتراب من ذلك القط الشرس كي لا تصاب بأذى، لكنها ما إن خرجت حتى وجدته في أحضان ابنتها يلعق وجهها برفق. استغربت الأم من ذلك المنظر لكنها لم تفكر كثيرًا بعد رؤية ابتسامة ابنتها العريضة التي افتقدتها منذ زمن طويل.

دخلت الفتاة حاملة القط بين ذراعيها وتوجهت به للمطبخ وسكبت له بعض اللبن في إناءٍ صغير، أصبح القط محور اهتمام الفتاة منذ أن رأته، قامت بتنظيفه وتمشيطه والتحدث معه عن يومها، كل ذلك تحت مرأى ومسمع الأم السعيدة بتغير حال ابنتها والمتوجسة ريبة من ذلك القط.

حل المساء وحان موعد نوم الفتاة، وبالطبع أخذت القط معها لغرفتها، وهنا زاد قلق الأم والتي وبالرغم من طمأنةٍ صاحب المحل لها إلا أن جملته الأخيرة لها قبل خروجها أول مرة علقت في ذهنها مما دفعها لمحاولة اقناع ابنتها بلطف بأن مبيت القط خارج الغرفة أمر مستحسن لكن الفتاة رفضت بشدة فخضعت الأم لرغبة ابنتها، في صباح اليوم التالي اجتمعت العائلة حول مائدة الإفطار قبل توجه الأب لعمله والفتاة لمدرستها وخلال تناولهم طعام الإفطار لاحظت الأم بعض الخدوش على رقبة ابنتها فسألتها:

من أين لكِ تلك الخدوش؟

(الفتاة):...

(الأب) باستغراب: ما بك؟

(الفتاة): القط الذي أحضرته أمي لي..

(الأب) موجها كلامه للأم: هل أحضرت لها قطا؟

(الأم) موجهة كلامها لابنتها بهدوء:

اذهبي واستعدي للذهاب للمدرسة نهضت الفتاة من على المائدة وتوجهت لغرفتها في الطابق العلوي..

(الأب) باستغراب:

ما الأمر؟.. ما حكاية هذا القط؟

حكت الأم ما دار بينها وبين الطبيب الذي نصحها باقتناء حيوان أليف ليساعد ابنتها على الخروج من عزلتها وانطوائها وكيف أن القط كان عدائيًا في بادئ الأمر لكنه تغير بعدما التقى بابنتهم فقال الأب:

يبدو أنه لازال عدائيا فالخدوش على عنقها واضحة..

(الأم) مبتسمة: لا تقلق فابنتك هي من أصرت على إبقائه بجانبها في السرير ومن الطبيعي أن تصاب ببعض الخدوش (الفتاة) وهي تنزل من الطابق العلوي:

أنا جاهزة يا أبي..

خرج الأب مع ابنته وتركا الأم في المنزل. بقيت الأم تعمل طوال النهار وخلال قيامها بأعمالها المنزلية اليومية المعتادة لاحظت أمرًا غريبًا، وهو أن القط قد جلس متسمرًا أمام باب المنزل من الداخل، يحدق بالمقبض دون أن يتحرك قيد أنملة، ما أثار استغراب الأم ليس تحديقه بقدر ثباته وعدم تحركه حتى ليلعق نفسه أو ليحرك ذيله، كان متيبسًا أمام الباب وكأنه محنط.

بعد عدة ساعات واقتراب موعد رجوع ابنتها من المدرسة والتي عادةً ما تعود قبل أبيها مع الحافلة المدرسية، قررت الأم وضع بعض الطعام أمام القط، وبالفعل وضعت قليلًا من لحم التونة في طبق ووضعته أمامه لكنه لم يتحرك أو يلتفت إليها وظل متسمرًا محدقا بمقبض الباب لدرجة أن الأم بدأت بالتساؤل في نفسها:

«هل مات..؟» مضت أقل من نصف ساعة بعد وضع الأم طبق التونة أمام القط؛ والذي لم يحرك ساكنًا حتى ليرى محتواه، إلى أن رأى مقبض الباب يدور فدار رأسه مع المقبض في مشهد أرعب الأم التي كانت تراقبه في ذلك الوقت، دخلت الفتاة فقفز القط عليها وبدأ بلعق وجهها ومداعبتها وهي في المقابل بادلته التقبيل والمداعبة.

اقتربت الأم من ابنتها التي أصبحت أكثر سعادة وانفتاحًا على الحياة لتعانقها وتسألها عن يومها، لكن الفتاة حملت القط وكتبها وتوجهت مسرعة نحو غرفتها في الطابق العلوي، وأغلقت الباب على

نفسها، انزعجت الأم في بادئ الأمر من تصرف ابنتها لكنها تغلبت على هذا الانزعاج بتذكر السعادة التي كانت بادية عليها بسبب ذلك القط.

مضت الأيام وأصبح القط جزءًا لا يتجزأ من حياة تلك الفتاة، تأخذه معها إلى كل مكان وتطعمه وتنظفه وتنام معه كل ليلة، وخلال غيابها عن المنزل في الصباح يتسمر القط أمام الباب يوميًا حتى تعود، بدأت الأم بالانزعاج من علاقة ابنتها المتزايدة بالقط، وعبرت يومًا لزوجها عن انزعاجها هذا ورغبتها في التخلص منه فقال لها:

ابنتنا تحسنت كثيرًا عن السابق وأصبحت تلعب وتتحدث معنا أكثر فلماذا ترغبين في انتزاع مصدر سعادتها منها؟

(الأم) بعصبية: سعيدة معك أنت والقط فقط!

(الأب): ماذا تقصدين؟

(الأم) وهي تدمع وصوتها مرتفع قليلًا:

ابنتي تتجاهلني بسبب ذلك القط اللعين..!

(الأب): لا أرى أن معاملتها لك اختلفت عن السابق.

(الأم) بصوت مرتفع: أنت لا ترى ما أراه!!

(الأب): وماذا ترين؟

(الأم) وهي تكتف ذراعيها:

لا يمكنني البقاء مع هذا القط تحت سقف واحد!

(الأب): وماذا تريدين مني أن أفعل؟

(الأم): لا تفعل شيئا.. أنا من سيفعل..

في اليوم التالي وخلال تسمر القط كعادته أمام الباب اقتربت الأم منه في محاولة منها لإدخاله في القفص، لكنه هاجمها بشراسه مما اضطرها لإحضار كيس قماشي وتغطيته به وقلبه رأسًا على عقب ثم قامت بربطه، كان القط خلال ذلك يموء ويفح كالأفعى ويتقلب بقوة داخل الكيس، وضعت الأم الكيس في السيارة وقادتها إلى المحل الذي اشترته منه في محاولة منها لإرجاعه لصاحب المحل، ولكنها وجدت بائعا آخرا، رفض استقبال القط لذا قررت التوجه لمكان مقطوع بعيدًا عن

المدينة، عندما وصلت الأم أخرجت الكيس وفتحته ليخرج القط غاضبًا يفح في وجه الأم المبتسمة والتي تقول:

«هذا بيتك الجديد الآن..» ركبت الأم سيارتها وعادت أدراجها نحو المنزل..

وصلت الأم بعد مشوار طويل وكانت في عجلة من أمرها كي تصل قبل ابنتها وزوجها لإعداد طعام الغداء ولكي تُهيئ نفسها وترتب القصة التي ستخبرها لابنتها لتبرير اختفاء القط المفاجئ بدعوى أن القط خرج من المنزل في غفلة منها عندما نسيت الباب مفتوحًا بالخطأ ولم يعد من وقتها.

فتحت الأم الباب وقبل دخولها صرخت بلا شعور عندما رأت القط متسمرًا أمام الباب كما اعتاد كل يوم في انتظار ابنتها. وقفت تحدق به باستغراب شديد وخلال تحديقها دخلت الفتاة وعانقت القط الذي كسر تسمره وبادلها القبلات والأحضان. كل ذلك كان يحدث تحت مرأى ومسمع الأم المنبهرة من المشهد ولم ينقطع ذلك الانبهار حتى صعدت الفتاة مع قطها للطابق العلوي.

بعد الغداء توجهت الفتاة مسرعة لغرفتها لقضاء يومها مع القط وتركت الأم والأب على المائدة يتحدثان:

(الأب): ما بك؟.. تبدين قلقة اليوم؟

(الأم) وهي سارحة: لا شيء (الأب): بماذا تفكرين؟

(الأم): لا شيء.. انسَ الأمر في صباح اليوم التالي أعادت الأم الكرة واخذت القط بنفس الطريقة ولكن لمكان ناءٍ مختلف في الطرف الآخر من المدينة، وهذه المرة لم تفتح الكيس وتركته مربوطًا ورمته وقالت:

«لنرى كيف ستعود الأن..» ركبت الأم سيارتها وعادت للمنزل..

عند وصولها وقبل أن تدير مفتاح الباب للدخول قالت في نفسها:

«فليسامحني الله كنت مضطرة لفعل ما فعلت؛ لأني بدأت أفقد ابنتي بسبب ذلك القط اللعين..»
دخلت الأم المنزل لتجد القط على نفس حاله كما كان كل يوم أمام الباب جالسًا متسمرًا ينتظر الفتاة..

لم تصرخ الأم؛ فالرعب وهول الموقف الذي رأته أخرسها ودفعها لوضع يدها على فمها والتحرك مبتعدةً ببطء عن القط المتسمر أمام الباب وهو بدوره لم يلتفت إليها، جلست الأم على الأريكة تراقب ذلك القط، وهي مرعوبة حتى دخلت ابنتها لتعانقه كعادتها وتصعد به للطابق العلوي، بقيت الأم في مكانها ولم تتحرك حتى عاد زوجها من عمله ليجدها بتلك الحالة مما دفعه للسؤال:

ما بك..؟

لم ترد الأم على زوجها ونهضت من أمامه وذهبت لغرفتها..

لحق الرجل بزوجته وسألها:

ألم تعدي لنا طعامًا اليوم؟

لم ترد الزوجة واكتفت بمعانقة وسادتها والتحديق بالنافذة..

في اليوم التالي تسمر القط كعادته أمام الباب وبدأت الأم تبرر في عقلها سبب عودته وانتهى بها الحال بإقناع نفسها بأنها لم تربط الكيس بشكل جيد وأنه خرج بسهولة لهذا السبب ولكن هذا لا يبرر عودته قبلها من تلك المسافة البعيدة، جلست الأم تفكر لدقائق واستقرت على قرار قتل القط وبهذه الطريقة تضمن اختفاؤه من حياتها وحياة ابنتها وإلى الأبد.

قلبت الأم الأفكار في رأسها عن أفضل طريقة لقتل ذلك القط، خطر على بالها استخدام السم لكنها لاحظت أنه لا يأكل كثيرًا أو بالأحرى لم تره يأكل أو يشرب من قبل مهما كان الطعام مغريًا وعزت ذلك إلى أن ابنتها كانت تطعمه في خلواتها معه، فكرت لبرهة واستقر بها الحال على أنها ستربطه في الكيس مرة أخرى وتدفنه حيًا في باحة المنزل وبالفعل قامت بربطه في الكيس بعدما حفرت حفرة عميقة في حديقة المنزل ورمت بالكيس في قاعها وبدأت بطمرها بالتراب لردم الحفرة.

عادت الأم للمنزل وأحست بارتياح شديد عندما دخلت ولم تشاهد القط متسمرًا كعادته أمام الباب، فتوجهت لغرفتها وقررت أخذ حمام ساخن للاغتسال من كل تلك الأتربة التي علقت بها بسبب الحفر.

انتهت الأم من الاستحمام وتوجهت للمطبخ مبتسمةً مرورًا بالمكان الذي كان القط يقف فيه كل يوم، بدأت بتمتمة أغنية كانت تنصت لها خلال حمامها وهي تعد طعام الغداء، سمعت الأم صوت إغلاق الباب في موعد حضور ابنتها فقررت ترك ما في يدها والتوجه لها والتي وبلا شك ستكون مستاءة من اختفاء القط وستحتاج صدرًا حانيًا لتبكي عليه، لم تدرك الأم ابنتها فقد صعدت مباشرة لغرفتها ودخلت الحمام وأدارت صنبور الماء، صعدت الأم درجات السلم وهي مبتسمة لانتهاء كابوس القط وعودة ابنتها لحالتها السابقة، دخلت الأم وطرقت باب دورة المياه على ابنتها وقالت وهي مبتسمة بارتياح:

اخرجي يا ابنتي وأغلقي الصنبور ولا تبكي..

(الفتاة): سأخرج حالًا يا أمي حالما انتهي من تنظيف القط!.. لقد وجدته ينتظرني أمام الباب وجسده مغطى بالأتربة..!

من يؤمن برأي غيره فيه كفر بنفسه..

العرافة التي لم تعرف يلقبونها بالغجرية..

تسكن لوحدها في بيت متواضع..

امتهنت خداع الناس والاحتيال عليهم في قالب أسمته قراءة الفأل أو الطالع..

تعتمد على فراستها القوية في تخمين بعض الحقائق عن ضحاياها..

تستقبلهم في منزلها المتواضع..

تخبرهم بأمور تخمنها من خلال الحديث معهم وفي الغالب تصيب..

تستدرجهم بعدها للمرحلة الثانية وهي دكة الورق أو كما تسميها «كشف المستور»..

كانت تلك العرافة تعرض في تلك المرحلة مجموعة من أوراق اللعب والتي تحتوي على صور متنوعة ما بين الرزق أو الحظ.. النحس أو الزواج.. وغيرها من الأوراق التي تدعي قراءة المستقبل. بعدها تسحب الضحية ورقة ما وتتقبل بكل خضوع ذلك المصير الظاهر في الورقة لأن الغجرية تقوم بتهيئتها نفسيًا قبلها لقبول أي شيء، وفي النهاية تتقاضى أجرها السخي من ضحيتها التي تخرج إما سعيدة أو تعيسة بناء على أمر مبني على محض الصدفة فقط.

كان لتلك العرافة مواعيد محددة لاستقبال زبائنها، فلم تكن تعمل بالليل أو أيام الجُمع، وهذا ما جعلها في استغراب وحيرة عندما طرقت سيدة عجوز بابها يوم الجمعة ليلًا وطلبت منها استشارة روحانية، وبالرغم من ممانعة الغجرية في بداية الأمر إلا أن تلك الممانعة تبددت عندما رأت العجوز تُلّوح لها بمبلغ يعادل أضعاف ما تتقاضاه في الاستشارة الواحدة. استقبلت العرافة السيدة العجوز في المكان المخصص لاستشاراتها وحيث أن الغجرية كانت تسكن لوحدها فهي لم تمانع في استقبالها تلك الساعة المتأخرة.

بدأت العرافة بروتينها المعتاد من استقصاء للمعلومات من خلال الأحاديث الصغيرة والودية مع تلك العجوز لكن فراستها لم تسعفها هذه المرة لأن العجوز كانت متحفظة جدًا في إجاباتها ولم تزودها بالكثير من المعلومات التي يمكنها من خلالها بناء تصور عنها وعن حياتها، قررت بعد ذلك الانتقال للمرحلة الثانية والانتهاء من تلك الليلة بغنيمة مادية كبيرة كما وعدتها تلك السيدة العجوز، مدت العرافة دكة الأوراق أمامها وطلبت منها اختيار ورقة منها فقالت العجوز:

أريدكِ أنت أن تسحبي الورقة بدلًا عني..

(العرافة) وهي تضحك:

لا أحتاج لمعرفة قدري ومستقبلي فأنا ملمة به.

(العجوز): إذا فاسحبي واحدة لنرى..

(العرافة): ليس هذا اتفاقنا.. الاتفاق هو على قراءة طالعك أنت وليس أنا أم أنكِ تريدين التملص من دفع ذلك المبلغ الكبير الذي وَعَدّتِني به؟!

أخرجت السيدة العجوز من جيبها المبلغ الذي لوحت به سابقا في وجه العرافة ورمته أمامها وقالت:

هذا هو المال الذي وعدتك به ولكِ ضعفه لو سحبتي أنت الورقة بدلًا عني..

أخذت العرافة المال بسرعة ووضعته في جيبها، وفكرت في عرض العجوز الآخر وقالت في نفسها:

«يبدو أن هذه العجوز أتت لتتسلى.. لِمَ لا؟ فالأمر في النهاية خدعة وأنا بحاجة لتلك الأموال التي تفيض منها» (العرافة) وهي تبتسم:

موافقة.. لكن أريد المال مقدمًا أخرجت العجوز من حقيبة كانت تحملها ضعف ما دفعته في السابق وقدمته للعرافة وقالت:

اسحبي ورقة الآن..

أخذت العرافة المال وابتسمت وسحبت ورقة من الأوراق المفروشة بينهما..

قلبت الورقة فدنت العجوز لترى محتواها فوجدتها صورة لجمجمة..

ابتسمت (العجوز) وقالت:

ما معنى هذه الورقة يا غجرية..؟

(العرافة) وهي مرتبكة قليلًا:

الموت.. شخص ما سيموت..

(العجوز): شخص ما؟.. ألا تعرفين من؟ أي نوع من العرافات أنتِ؟

(العرافة) بتوتر: بلى أعرف من لكن لا شأن لكِ باسمه (العجوز) وهي تبتسم: اخلطي الأوراق مجددًا (العرافة) بتوتر وهي ترفع الأوراق:

لقد انتهت الجلسة..

(العجوز) وهي تصرخ في الغجرية وترمي في وجهها مبلغًا آخر:

اسحبي ورقة أخرى!!

(العرافة) وهي تصرخ في العجوز بغضب:

حسنًا تريدين هدر أموالك لابأس فلنتسلى!!

(العجوز) مبتسمة: اسحبي ورقة أخرى..

سحبت العرافة ورقة من دكة الأوراق بعدما خلطتها جيدًا لتظهر لها نفس الورقة مرة أخرى..

(العجوز) مبتسمة: ما معنى ظهور نفس الورقة مرتين يا مستنيرة..؟

ارتبكت العرافة وبدأت تحدق في الورقة بخوف وقالت:

نفس المعنى السابق..

(العجوز) وهي ترفع سبابتها في وجه الغجرية وتقول بصوت مرتفع:

لا!!.. المعنى هنا يختلف.

(العرافة): ما معناه إذا؟

(العجوز) وهي تبتسم: أخبريني أنت يا غجرية؟

صمتت العرافة وهي تنظر لتلك العجوز التي بدأت ترشقها بنظرات الازدراء ثم خرجت عن صمتها وقالت:

هل انتهينا؟

(العجوز): ليس بعد.. اسحبي ورقة أخرى.

أخذت العرافة ورقة الموت لتعيدها لدكة الأوراق لكن العجوز منعتها وقالت اتركي هذه الورقة فقد حسم أمرها.. اسحبي ورقة مختلفة..

مدت العرافة يدها للأوراق لتسحب أخرى ومن شدة توترها وخوفها نسيت أن تطلب مبلغاً آخر مقابل هذه السحبة. سحبت الورقة ووضعتها بينها وبين العجوز ونظرت الاثنتان إليها.. الغجرية متوترة والعجوز مبتسمة وهي تقول:

يبدو أن هذه الورقة تكشف هوية من سيتسبب في موتك؟

لم تفتح الغجرية بعد هذا اليوم بابها لأحد حتى اكتشف جيرانها أنها ماتت منذ أيام ولم ينكشف موتها إلا من رائحة جثتها التي انتشرت بين المنازل، لم يجد أول من اكتشف جثتها كما أخبر الناس لاحقًا إلا الغجرية ممددة على الأرض بأعين مفتوحة وفي يدها ورقة من أوراقها التي كانت تستخدمها لقراءة طالع الناس وكانت الورقة تحمل صورة امرأة عجوز تبتسم.

عندما يعلو الصوتُ يصاب العقل بالصممِ..

الشيء (أحمد) يستعد للذهاب مع أصدقائه في رحلة بحرية..

الزوجة تطلب منه التأجيل بسبب كابوس شاهدته الليلة الفائتة..

الزوج لا يعيرها انتباهًا..

(الزوجة) بغضب:

في كل مرة تعود من رحلة بحرية يكون مزاجك سيئًا، فلماذا إذًا تذهب يا (أحمد)؟!

(أحمد): أريد الذهاب فقط بغض النظر عمَّا قلتيه!

(الزوجة): منذ أن عرفتك وأنت متعلق بالبحر بالرغم من أنه مصدر هم وحزن لك فلماذا تذهب؟!

(أحمد): أنا من يريد الذهاب للبحر ولذلك سأذهب..!

خرج (أحمد) بعد هذا الحوار من منزله وركب السيارة التي كانت تنتظره بالخارج وفيها أصحابه الثلاثة (أمجد) و(ثامر) و(فيصل) وبعد إغلاقه باب السيارة مباشرة، قال أحدهم مازحًا:

هل أخذت الإذن بالخروج؟

ضحك بقية من في السيارة..

(أحمد): لا أحتاج الإذن من أحد كي أذهب لأي مكان!

(فيصل) وهو يضحك:

لا تغضب فنحن نمازحك.. لنتحرك الآن.

(أحمد): انتظروا لقد نسيت شيئًا في الداخل..

(ثامر): نسيت ماذا؟!.. سوف نتأخر!

(أحمد): انتظروا فقط وسأعود حالًا..

نزل (أحمد) من السيارة مسرعًا ودخل منزله وبعد دقائق عاد وركب السيارة وقال:

هيا يمكننا الذهاب الآن..

تحركت السيارة منطلقة نحو المرسى، حيث كان قارب الصيد الذي يملكه (أحمد) بانتظارهم..

خلال الطريق سأل (فيصل) (أحمد):

ما الأمر المهم الذي نسيته وعدت من أجله؟

(أحمد) وهو يبتسم وينظر من النافذة:

شيء مهم لم أستطع الرحيل بدونه..

وصلت المجموعة للمرسى وركبوا القارب وحملوا أمتعتهم وأدوات الصيد وشقوا البحر، كان الوقت في بداية العصر وكان هدفهم الوصول الى منطقة في عرض البحر يكون فيها الصيد وفيرًا في الليل وحتى مطلع الفجر، كان (أحمد) يذهب إليه دائمًا وحده ومن وقت لآخر يصطحب معه أصدقاءه.

(فيصل) وهو ينظر للأفق: الشمس غربت..

(أحمد): لا تقلقوا ساعتين وسنصل للمكان المنشود..

بعد ساعتين ونصف وبعد غروب الشمس تمامًا وانسدال جلباب الليل على الأفق، وصلت المجموعة لوجهتها وأوقفوا القارب تحت قمر غائب وبحر هادئ بلا أمواج، وبدأ كل منهم يجهز عدته لرمي صناراتهم في الماء عدا (أحمد) الذي كان يراقبهم.

بعدما رمى الجميع صنارتهم اتخذ كل واحدٍ منهم جانبًا من القارب وهو ممسك بصنارته بانتظار تلك الهزة التي يسعد وينتشي بها كل صياد وخلال انتظارهم بدأ (ثامر) بالصفير بشكل خافت فنهره (أحمد) وقال:

لا تفعل ذلك ونحن في عرض البحر!

(ثامر) وهو يضحك: ولماذا؟

(أحمد) بغضب: لا تفعل ذلك وحسب!

(أمجد) وهو يبتسم:

لأنه يعتقد أن ذلك يبعد السمك.

(ثامر) وهو يضحك بقوة:

ما هذه الخرافات؟!

(أحمد): أيا كان توقف فقط!

(ثامر): سأتوقف فقط لأنك أحمق ومتهور؛ وقد يتطور الأمر الى مشكلة نحن في غنى عنها..

(فيصل): هل يمكن أن نصطاد بهدوء؟

صمت الجميع ولم يتحدث أحد..

(فيصل): جيد يمكننا الاستمتاع بالرحلة الآن..

(أمجد) وهو مبتسم:

هل الوقت مناسب لنسألك عن الشيء الذي عدت للمنزل من أجله اليوم يا (أحمد)؟

(أحمد) وهو يضحك بخفه:

لماذا أنتم مهتمون بهذا الأمر؟

(ثامر) وهو يبتسم:

لأننا نعرف أنك عدت لطلب السماح منها أيها الجبان!

(أحمد): حبي لها ليس جبنًا أو خوفًا لكنني لم أكن أستطيع الاستمتاع بوقتي وهي حزينة أو غاضبة مني..

(فيصل): إنها محظوظة بك.

(أحمد): بل أنا محظوظ بها..

عاد الصفير مرة أخرى فصرخ (أحمد) وقال:

هل تبحث عن المشاكل يا (ثامر)؟!

(ثامر) مستغربًا: ما بك؟.. أنا لم أصفر!

(أمجد): من فعل إذًا..؟

(فيصل): الصوت كان قادمًا من عرض البحر (ثامر): هل يمكن أن تصمتوا جميعًا كي لا يهرب السمك من إزعاجكم؟!

صمت الجميع ولم يتحدثوا لدقائق وبعدها قال (ثامر) موجهًا كلامه ل(فيصل):

ماذا تقصد أن الصفير كان قادمًا من عرض البحر؟

(فيصل) وهو يشير بيده ليمين القارب:

لقد سمعت الصوت من هذا الاتجاه..

(ثامر) وهو يحدق بالاتجاه الذي أشار إليه (فيصل):

لا أرى شيئًا..

(فيصل) بسخرية:

لقد سمعت صوتًا ولم أقل أني رأيت شيئًا..

(أمجد): لنغير الموضوع..

(أحمد): اقتراح جيد (ثامر) وهو يبتسم ويتفحص صنارته:

لما لا تخبرنا عن سبب خوفك من الصفير؟

(أحمد) بغضب:

أنت بالفعل تبحث عن المشاكل!

(أمجد) بهدوء:

فعلًا يا (أحمد) لمَ تخاف من الصفير في البحر؟

(أحمد) باستغراب: حتى أنت يا (أمجد)!

(ثامر): ما بك؟.. كلنا رجال هنا ولا نخاف (أحمد):...

(فيصل): ألن تخبرنا؟

(أحمد): إذا كنتم مصرين اسمعوا إذًا..

حكى (أحمد) قصته عندما كان صغيرًا؛ وكان وقتها يخرج للصيد مع أبيه بشكل مستمر، وهذا هو سبب حبه وتعلقه بالبحر، وكيف كانت أجمل ذكرياته التي جمعته مع أبيه هي من خلال رحلات الصيد تلك.

(ثامر): وما علاقة ذلك بكرهك للصفير في البحر؟

أكمل (أحمد) حديثه قائلا:

كنا أنا وأبي في أحد الليالي الشتوية نصطاد، وكان البرد قارسًا والظلام حالكًا والبحر هائجًا لكننا كنا مستمتعين بتلك الأجواء وكنا نتمازح ونتضاحك لإضاعة الوقت حتى تهتز صناراتنا، اهتزت صنارة أبي بقوة فشدها في محاولة لإخراج ما كان عالقًا بها، لازلت أذكر كلماته وهو يقول «يبدو أنها سمكة كبيرة» وخلال شده وارخائه سقط أبي من القارب في الماء البارد؛ وبدأ بالابتعاد بسبب الأمواج الهائجة ذلك اليوم.

(أمجد): وماذا حدث بعد ذلك؟

(أحمد): سمعت الصفير..

(فيصل): أي صفير؟

(أحمد) صفير أشبه بصفير إنسان بالرغم من أن أصوات تلاطم الأمواج من حولي كانت عاليةً إلا أن ذلك الصوت كان واضحًا جدا.

(ثامر): وماذا حدث بعد ذلك؟

(أحمد): استمر أبي بالسباحة نحوي وأنا أمد يدي له كي أساعده في الصعود على متن القارب وكلما اقترب مني اقترب صوت ذلك الصفير معه وكأن من كان يصفر يسبح بجانبه (فيصل):...

(أحمد) وصل أبي لحافة القارب فأمسكت بيده وبدأت أعاونه على الصعود، لكنني أحسست بالرعب الشديد؛ لأنني كنت اسمع ذلك الصفير بوضوح شديد لدرجة أني ظننت أن صاحبه سيصعد القارب مع أبي، وبسبب الظلام الحالك تلك الليلة لم أستطع إمعان النظر وتحديد مصدر الصوت.

(أمجد): وماذا حدث بعد أن صعد أبوك إلى القارب؟

(أحمد): أبي لم يصعد.. لقد جره شيء بقوة للماء ولم يطفُ بعدها..

(فيصل):...

(أمجد):...

(ثامر): لم تحكِ لي هذه الحكاية من قبل وأنا أعرفك منذ سنوات..

(أحمد): وهل هذا شيء يقال؟

(فيصل): لماذا تعود للبحر إذًا..؟

(أحمد): ماذا تقصد؟

(أمجد): من يمر بمثل ما مررت به في الغالب سيكره البحر..

(أحمد): أنا كرهت البحر فعلًا بعد تلك الحادثة.. أنا حتى لا أجيد السباحة، (ثامر) باستغراب: كيف تكرهه وأنت تقضي معظم أوقاتك فيه؟ وأنت من يصر دائمًا على القيام بهذه الرحلات البحرية!

(أحمد) وهو يحدق بالبحر:

فقدت الاهتمام بالصيد منذ اليوم الذي فقدت أبي بسبب ذلك الشيء..

(فيصل): أي شيء..؟

(أحمد): الشيء الذي سمعت صفيره مع أبي والذي سمعت أنت صفيره قبل قليل والذي كنت وما زلت أحاول رؤيته مرة أخرى.

(ثامر): ما هذه الهرطقات التي تهرطق بها؟!

(أمجد): هل تحاول إخافتنا؟

(فيصل):...

(أحمد): ألم تسألوا أنفسكم يومًا لما لا أغير مكان الصيد الذي نذهب إليه؟

(ثامر): بلى، وأنت من قال إنه أفضل مكان يمكن أن نصطاد فيه ولا فائدة من البحث عن غيره وصدقناك لأنك أكثر خبرة منا..

(أمجد): هذا المكان هو نفس المكان الذي فقدت فيه أباك أليس كذلك؟

(أحمد) يهز رأسه بالموافقة..

(فيصل): ما الذي تريد قوله؟.. إننا أتينا لاصطياد وحش بحري بصنانير صغيرة؟

(أحمد): لا.. هذه ستكون أخر مرة أعود فيها لهذا المكان لقد وعدت زوجتي بذلك، أمضيت سنين طويلة لا أسمع فيها غير صفيره في هذا البقعة، ومهما حاولت لم أستطع رؤيته أبدًا لذا ستكون هذه رحلتي الأخيرة.

(ثامر) باستهزاء:

يظننا أغبياء.. لا تلقوا له بالًا؛ فهو يحاول إخافتنا فقط.

(أحمد): صفِّر يا (ثامر)..

(ثامر): ماذا؟

(أحمد): صفِّر.. صفر أي لحن تريد.

(ثامر) بتوتر:...

(أحمد): ما بك؟.. هل فقدت الرغبة في ذلك أم أنك خائف؟

(ثامر): بغضب: لست خائفًا من شيء!!

بدأ (ثامر) بالتصفير بلحن أغنية يحبها وأدار وجهه للبحر وهو يتفحص صنارته..

(أمجد): ما الحكاية يا (أحمد)..؟

(أحمد) وعينه على (ثامر): انتظر قليلًا..

بعد أقل من دقيقة سمع (ثامر) والبقية صفيرًا مشابهًا للحن الذي صفر به (ثامر) مما دفعه للتوقف:

(ثامر): ما هذا؟

(أحمد): مبتسمًا بسخرية: الوهم الذي تحدثت عنه..

(فيصل) وهو مرعوب: لا تعبث بنا يا (أحمد) ما هذا الصوت..؟!

(أمجد) وهو يمعن النظر في البحر:

الصفير مطابق لصفير (ثامر) وكأنه يحاكي ألحانه..

(ثامر) باستهزاء: إنه مجرد صدًى لصوتي..

(أحمد): هل أنت أحمق لهذه الدرجة؟.. أم أنك عنيد لدرجة أنك لا تريد الاعتراف بالحقيقية؟

(ثامر) وهو يصرخ بقوة:

عن أي حقيقة تتحدث؟!.. أن هناك وحش في الماء وأن هذا الوحش المجهول التهم أباك؟!.. لقد كنت طفلًا صغيرًا، ورأيت أباك يغرق أمامك وهذا الأمر سبب خللًا نفسيا في عقلك فلا تحاول إقحام هلوساتك علينا!!

(أحمد) وهو يقف ويضع يده على صدر (ثامر): اهدأ يا (ثامر) ما بك؟

(ثامر) وهو يدفع يد (أحمد) من على صدره: لا تلمسني!!

اختل توازن (أحمد) وزلت قدمه وسقط في الماء..

صرخ (فيصل) بقوة ومد يده مباشرة من حافة القارب يلوح بها في الظلام ويقول:

أعطني يدك.. أعطني يدك..!

(ثامر) وعلى وجهه نظرة قلق:...

(أمجد) يرمي بطوق نجاة بسرعة في ظلام البحر الدامس:

حاول الإمساك بهذه!!

صوت (أحمد) من بعيد:

أين أنتم لا أستطيع السباحة؟!

قفز (فيصل) في الماء مباشرة بعد سماعة نداء (أحمد) لكن (أمجد) و(ثامر) تسمروا في أماكنهم..

استمر (فيصل) بالبحث عن(أحمد) وهو يصرخ:

تحدث معي كي أحدد مكانك!!

لم يتحدث (أحمد) ولم يجد (فيصل) له أثر..

عاد (فيصل) ومد يده للعودة على متن القارب لكن (ثامر) كان متسمرًا ومرعوبًا فتقدم (أمجد) وعاونه على الصعود. سكت الجميع ولم يتحدثوا في الأمر بعد صعود (فيصل) حتى تحدث وقال بتوتر:

لقد أخذه..

(ثامر) بقلق وعبوس: عن ماذا تتحدث؟

(فيصل) وهو يرتجف من البرد: الشيء..

(ثامر) بصوت مرتفع ونبرة غاضبة:

لا يوجد «شيء» في الماء، الرجل لم يكن يستطيع السباحة وغرق بسبب خوفه وغبائه!!.. لقد خذل نفسه كما خذل أباه!!

(أمجد) بهدوء: كفى يا (ثامر)..

(ثامر) مستمرًا في الحديث متجاهلًا كلام (أمجد):

لقد تسبب جنونه في خسارته لحياته!! كان معتوها وكان يجب أن يتعالج في مصحة نفسية!!

(أمجد) بصوت مرتفع: كفى!!

صمت (ثامر) وبدأ يتنفس بسرعة وعمق..

(فيصل) وهو يحتضن نفسه ويحدق بأرضية القارب: لقد رأيته..

(ثامر) وهو لازال يتنفس بعمق: رأيت من؟!

(فيصل): الشيء..

أدار (أمجد) نظره ل(فيصل) ببطء..

استأنف (فيصل) كلامه وقال:

عندما قفزت وراء (أحمد) كنت أسمع صوتًا مثل الخبط في الماء، فتوجهت سباحة نحو مصدر الصوت حتى وصلت إليه، وجدت جسمًا كجسم الإنسان يتقلب في الماء، فتوقعت أنه صاحبنا يغرق ويبحث عن النفس فأمسكت به بقوه وأخرجت رأسه من الماء.. لم يكن صاحبنا ولم يكن يغرق..

(ثامر) وهو يجلس على طرف القارب بتوتر:

ماذا كان إذًا..؟

(فيصل) وهو يرفع رأسه ويوجه نظره ل (ثامر):

كان شيئا.. شيئا غريبًا.. وكان في فمه قطعة من صاحبنا.. لقد قاطعته خلال افتراسه له..

(ثامر): هراء**!!**.. كيف يمكنك الرؤية في هذا الظلام الحالك..

(فيصل): لم أحتج إلى النور.. عيناه كانت مشعة كالنجوم وصوته كان مخيفًا جدًا كان كصوت طفل صغير..

(ثامر):...

(فيصل) وهو يبتسم ويحتضن نفسه من الخوف والبرد:

أعرف أنكم لن تصدقوني.. فما أقوله جنون.. لنعد من حيث أتينا..

البعضُ لا يحصل على النومِ حتى يسرقه من غيرِه..

حملقة أم وأبنتها يحضرون لحفل ميلادها الثالث عشر..

الفتاة تعلق بعض الزينة على الجدران..

الأم ترتب الطاولة وتصف بعض الأطباق..

(الأم): مَن دعوتي لحفلتك الليلة؟

(الفتاة) وهي مشغولة بتعليق الزينة:

جميع صديقاتي اللائي تعرفينهن..

(الأم): هل قمتي بدعوة صديقتك الجديدة؟

(الفتاة) وهي تدير ظهرها نحو أمها: من تقصدين يا أمي؟

(الأم) وهي ترفع نظرها وتحدق بابنتها:

تلك التي قلبت حالك وغيرت من أخلاقك.

(الفتاة) وهي تضحك: تقصدين (جمانة)؟

(الأم) وهي تعود بنظرها نحو الطاولة وتستأنف ترتيبها: هي بعينها (الفتاة) وهي تقترب من أمها وتعانقها من الخلف وتقبل مؤخرة رأسها وتبتسم:

ما بها يا أمي؟.. (جمانة) فتاة طيبة ولم تغير بي شيئا لكنني لم أعد تلك الفتاة الصغيرة التي تعرفينها
(الأم): لا تعجبني تلك الفتاة..

(الفتاة): هل ترغبين بأن اقطع علاقتي بها؟ سأفعل ذلك إذا كان ذلك سيرضيك.

(الأم): لا يا (سارا) أنا أثق بك وباختياراتك لكن كل ما أطلبه منك هو أن تكوني حذرة وألَّا تفعلي شيئًا لستِ مقتنعة به قبلت (سارا) أمها مرة أخرى وقالت وهي مبتسمة: لا تقلقي يا أمي.

كانت (جمانة) أول الحاضرين للحفل وقد جاءت مبكرًا قبل الموعد المحدد بساعة أمضتها مع (سارا) في غرفتها..

(جمانة) وهي تتفحص الغرفة وتضحك:

الديكور في غرفتك سيء جدًا (سارا) وهي تضحك: لكنه يعجبني.

(جمانة) وهي ترفع دمية من على سرير (سارا) وتنظر لها بازدراء:

ما هذه؟

(سارا) وهي تأخذ الدمية من (جمانة) وتحتضنها مبتسمة:

هذه الدمية عزيزة علي جدًا.

(جمانة) وهي تنزع الدمية من أحضان (سارا) وتلقي بها على الأرض وتضحك:

لقد كبرتي على هذه الأشياء وخاصة الدمى والعرائس (سارا) وهي تنظر للدمية الملقاة على الارض وتبتسم:

معكِ حق..

(جمانة) وهي تركل الدمية وتضحك:

أنا متأكدة أن معي حق..

(الأم) وهي تنادي من الطابق السفلي:

هيا يا (سارا) لقد حضر جميع صديقاتك!

(سارا): هيا لنذهب ونبدأ الحفل..

(جمانة) وهي تتنهد:

لم أحضر إلا لأجلك لأنني لا أطيق مثل هذه الحفلات المملة..

(سارا) وهي تضحك وتشد (جمانة): هيا ولا تضيعي الوقت!

بعد انتهاء الحفلة رحل الجميع عدا (جمانة) التي كانت جالسة تشاهد التلفاز وتقلب قنواته بينما كانت (سارا) وأمها تنظفان المكان..

(الأم) بصوت هامس لابنتها: ألن ترحل صاحبتك؟

(سارا): لقد أخبرتني بأنها ستبيت الليلة معي.

(الأم) بغضب: ومتى كنتِ تنوين إخباري؟

(سارا): وما المشكلة يا أمي غدًا إجازة ولا يوجد مدرسة؟

(الأم): هل تعرف أمها بنيتها البقاء عندنا؟

(سارا) بصوت مرتفع قليلًا:

ما بك يا أمي لماذا تحاولين مضايقتي؟!

(الأم): لماذا تتحدثين معي بهذه الطريقة؟

(سارا) وهي تتوجه لغرفتها: هيا يا (جمانة) لنذهب!

(جمانة) وهي تغلق التلفاز وتلحق ب(سارا):

تصبحين على خير يا خالة..

صعدت الاثنتان للطابق العلوي ودخلتا الغرفة وتوجهت (سارا) لدميتها وركلتها وقالت بغضب:

لم أعد طفلة لِمَ لا تفهم أمي ذلك؟!

(جمانة) وهي ترمي بنفسها على السرير:

الأمهات لا يفهمون شيئًا أمي مثل أمك تماما.

(سارا): أكره ذلك!

(جمانة): انسي الأمر.. ماذا تريدين أن نفعل؟

(سارا) وهي تستلقي بجانب (جمانة) على السرير:

لا شيء فانا متعبة لنخلد للنوم..

(جمانة) وهي تطفئ النور مبتسمة: أنت مملة..

(سارا) وهي تبتسم وتغلق عينيها: تصبحين على خير يا مثيرة خلدت الاثنتان للنوم..

الساعة الحادية عشر ليلًا..

(جمانة) وهي تحاول ايقاظ صاحبتها:.. (سارا).. (سارا)..

(سارا) وهي تفتح إحدى عينيها:.. ما بك..؟

(جمانة): سمعت صوتًا..

(سارا) وهي تفتح العين الأخرى بكسل:

صوت؟.. صوت ماذا؟

(جمانة) وهي متوترة: لا أعرف.. وكأنه شيء يزحف تحت السرير (سارا) وهي تغمض عينيها وتحتضن الوسادة:

عودي للنوم ولا تتوهمي..

قبل منتصف الليل بقليل..

(جمانة) وهي تهز (سارا) بقوة:.. (سارا)!.. (سارا)!.. استيقظي!!

(سارا) وهي تقوم مفزوعة:.. ما بك؟!!

(جمانة) ووجهها شاحب ومرتعب:

هناك شيء بالغرفة أنا متأكدة!

(سارا) وهي تشغل الأنوار: عن ماذا تتحدثين؟

(جمانة) وهي تحتضن اللحاف ووجهها شاحب تحدق بزوايا الغرفة:

طوال الليل وانا أسمع صوتا يزحف على الأرض.. حاولت تجاهله لكنه واضح جدًا وأغلب الأصوات تأتي من أسفل السرير!

(سارا) وهي تنظر تحت السرير: لا يوجد شيء..

(جمانة) وهي تغطي رأسها باللحاف: لا أعرف لكني متأكدة..

(سارا) وهي تطفئ الأنوار وتعود للفراش: عودي للنوم..

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل..

(جمانة) توقظ (سارا) بهدوء:.. (سارا).. (سارا) (سارا) وهي مغمضة العينين: ماذا الآن..؟

(جمانة) بصوت مرتعب: أعتقد أن دميتك تتحرك..

(سارا) وهي لازالت مغمضة العينين: وما الذي أعطاكِ هذا الانطباع..؟

(جمانة) بتوتر: لا أذكر إنها كانت في زاوية الغرفة وتجلس بهذا الشكل (سارا) وهي تفتح عينيها دون أن تنتهض: أي شكل..؟

(جمانة) بتوتر: انظري إنها تحملق بي!

(سارا) وهي تنهض وتنظر لزاوية الغرفة:

لا أرى شيئًا غريبًا.. إنها مجرد مصادفة.. لا تتوهمي ونامي.

(سارا) تعود للنوم..

الساعة الثانية فجرًا..

(جمانة) تصرخ بقوة..

(سارا) تستيقظ مفزوعة وتقول: ما بك أيتها المجنونة..!!

(جمانة) وهي تنهض من الفراش وتبكي بشكل هستيري وتشير للدمية:

لقد رمشت!.. لقد رمشت..!

(سارا) وهي تزفر وتنهض من فراشها وتشد الدمية من ذراعها وتفتح باب غرفتها وترمي بها في الردهة وتقول:

هل يمكننا النوم الآن؟!

عادت الاثنتان للفراش وقبل أن تضعا رأسيهما على الوسادة سمعتا طرقًا قويًا جدًا على باب الغرفة، نهضتا مفزوعتين من الفراش، وهما يضعان أيديهما على أفواههما ويتبادلان النظرات برعب.

توقف الطرق لثواني ثم عاد بقوة أكبر وأعنف من السابق. اختبأت الفتاتان تحت اللحاف وعانقتا بعضهما في خوف وقلق شديد..

توقف الطرق..

فُتح الباب ببطء..

صرير قوي وحاد للباب..

ظلال يُرى من تحت اللحاف يدخل للغرفة ويتوجه نحوهما..

صمت مخيف وأنفاس ثقيلة من الفتيات تحت اللحاف..

يُشد اللحاف بسرعة وبقوة من عليهما..

تصرخ الفتاتان معًا..

(الأم): ما بكما..؟

(سارا) بأنفاس ثقيلة:.. أمي؟

(جمانة) تبدأ بالبكاء..

(الأم): ما بكما؟.. ما الأمر؟

(سارا): لا شيء يا أمي.. سنعود للنوم..

الأم تخرج من الغرفة وتغلق الباب..

(جمانة) تستمر بالبكاء..

(سارا) تحتضنها بذراعيها مبتسمة وتقول:

لم أكن أعرف بأنك جبانة لهذا الحد.. هيا لننم..

في صباح اليوم التالي رحلت (جمانة) ولم تتحدث عما حدث الليلة الماضية. جلست (سارا) مع أمها على مائدة الإفطار وبدأتا بتناول الطعام.

(الأم) وهي تحتسي قهوتها:

ما بكما ليلة البارحة؟

(سارا): ماذا تقصدين يا أمي؟

(الأم): صراخ.. وضحك.. ثم طرق للأبواب (سارا) وهي تبتسم:

يبدوا أن (جمانة) لم تستطع النوم في فراش غير فراشها وأخذت تتوهم وترعب نفسها طيلة الليلة.. حتى أنا كدت أن أفقد عقلي رعبًا بسبب طرقك القوي على الباب.. كانت حيلة ذكية يا أمي لإخراسنا..

(الأم) باستغراب:

أي حيلة؟.. أنا لم أطرق الباب عليكما.. لقد استيقظت بسبب طرقكما أنتما على بابي..

لن تعرفَ معدنَك حتى تنكسرَ..

طريق الخلاص مجموعة من الفتيان..

يدرسون في المرحلة الابتدائية في إحدى القرى..

تعودوا يوميًا الذهاب والعودة للمدرسة مشيًا على الأقدام..

كان الطريق للمدرسة طويلًا..

لم يكن هذا الطريق قابلًا للاختصار..

الا من خلال طريق لم يفكروا بعبوره يومًا..

طريق مقبرة القرية..

(سامر): لقد تأخرت اليوم في الخروج من المنزل.. لماذا؟

(علي): لقد استيقظت متأخرًا..

(سامر): بقي علينا المرور ب(عبد الله) و(رامي) لذا يبدو أننا سنتأخر عن طابور الصباح.

(علي): لا لا.. لا أريد أن يضربني المعلم كما في المرة السابقة.

(سامر): إذًا اذهب أنت لمنزل (رامي) وأنا سأذهب لمنزل (عبد الله) كي نكسب بعض الوقت كيلا نتأخر..

افترق الاثنان واتفقا على اللقاء في منتصف الطريق، بعد مدة وصل (سامر) و(عبد الله) للمكان المتفق عليه.

(عبدالله): أين البقية؟.. سوف نتأخر عن المدرسة!

(سامر) وهو يتفقد بنظره الطريق:

لا أعرف لقد أكدت على (علي) أن لا يتأخر.

(عبد الله): لا أستطيع الانتظار أكثر سوف أذهب (سامر): انتظر.. أراهم قادمين من بعيد.

(عبد الله): أخيرًا وصل (علي) و(رامي) للمكان المتفق عليه وهم يتنفسون بسرعة وكأنهم كانوا يهرولون..

(سامر): أين كنتم؟!

(رامي) وهو يتنفس بسرعة: لقد أتينا جريًا كي نلحق بكم.

(عبد الله): لماذا تأخرتم؟!

(علي) وهو جاثٍ على ركبتيه يتنفس بسرعة ويشير بإصبعه ل (رامي): بسببه..

(رامي): أنا؟!

(سامر) وهو يحمل حقيبته ويضعها على ظهره:

لا وقت الآن لهذا الكلام هيا لنلحق بالطابور الصباحي قبل أن نتعرض للعقاب.

(عبد الله) وهو ينظر لساعته: لن نلحق!

(علي) وهو خائف: لا أرجوك لا تقل هذا الكلام.. سنلحق لو جرينا بسرعة.

(رامي): لا أملك القدرة على الجري أكثر.

(سامر) وهو يرفع نظره للأفق: هناك حل.

(عبد الله): ما هو..؟

(سامر): أن نسلك طريق المقبرة..

(علي): ماذا؟!

(رامي): طريق المقبرة خطرة!

(عبد الله): وما الخطورة في هذا الطريق؟.. عقاب المدرسة خطر حقيقي وسيقع علينا لا محالة.

(سامر) وهو يسير باتجاه طريق المقبرة:

أنا سأسلك طريق المقبرة من يَشأ منكم أن يتبعني فليفعل.

(عبد الله) وهو يلحق ب(سامر):

افعلا ما تشاءان لن أعرض نفسي للعقاب بسببكما.

(رامي) و(علي) ينظران لبعضهما..

(رامي): ما رأيك؟.. هل نلحق بهما؟

(علي): لا أعرف (رامي) يجب أن تقرر الآن قبل أن نتأخر أكثر.

(علي): لنلحق بهما.

لحق الاثنان بصاحبيهما وشقوا طريقهم للمدرسة عبر المقبرة..

حاول الاثنان الإسراع في الخطوات للحاق بصاحبيهما، لكنهما لم يَرَياهُما خلال عبورهما ذلك الطريق الموحش والمليء بالقبور، كان الاثنان يسيران بسرعة في البداية ومع مرور الوقت تحولت خطواتهم للهرولة الخفيفة؛ على أمل الانتهاء من تلك الرحلة بسرعة.

كان (رامي) ممسكا بيد (علي) طيلة الطريق؛ حيث إنه كان الأكبر عمرًا، ولم يكن يحدق بشيء آخر سوى الطريق أمامه، لكن (علي) كان يتفقد المكان يمينًا ويسارًا، بينما كان (رامي) يجره للأمام. بعد مدة لم تتجاوز العشر دقائق وصل الاثنان لنهاية الطريق فتنفس (رامي) الصعداء عندما رأى سور المدرسة وبوابتها المفتوحة والتي لازال الطلاب يتوافدون عليها.

(رامي) وهو يبتسم: لقد وصلنا.. لم نتأخر.. الطابور لم يبدأ بعد.

(علي): الحمد لله.

انضم الاثنان للطابور وكانا يبحثان بين الصفوف عن (سامر) و(عبد الله) لكنهما لم يُشاهِدما بين زملائهم كما اعتادوا كل صباح، لم يستطع الاثنان التحدث بالأمر إلا في فترة الفسحة، التقى الاثنان في باحة المدرسة.

(رامي) باستغراب: هل رأيت (سامر) أو (عبد الله)؟

(علي): لا.

(رامي): ألم يسبقانا في العبور عبر المقبرة.. كيف لم يصلا؟

(علي): لا أعرف.

(رامي): هل تتوقع أن مكروها حدث لهما؟

(علي): لا أعرف.. لكن..

(رامي): لكن ماذا؟

(علي): خلال عبورنا طريق المقبرة رأيت شيئًا غريبًا.

(رامي) بقلق: ماذا رأيت؟

(علي): رأيت حقيبة مرمية على أحد القبور.. كانت تشبه حقيبة (عبد الله).

(رامي): لعلك واهم؟

(علي): لا أنا متأكد لأني كنت أريد واحدة مثلها وأعرف شكلها جيدًا.

(رامي): ما معنى ذلك؟

(علي): لا أعرف.

(رامي): عندما ينتهي يومنا الدراسي يجب أن نعود ونبحث عنهم (علي) بخوف: لا.. لن أعود من ذلك الطريق مرة أخرى!

(رامي): لا بأس سأذهب لوحدي وعد أنت من الطريق الآمن.

(علي): لا تذهب أنت كذلك!

(رامي): لا تقلق علي سوف أتأكد من سلامتهما فقط.

(علي): لمَ لا نعود سويًا للمنزل فقد يكونا عادا للمنزل.

(رامي) معك حق بعد انتهاء اليوم الدراسي عاد الاثنان من طريقهما المعتاد وخلال عودتهما مرًّا ببيت (سامر) وسَألا والدته عنه فقالت باستغراب:

ألم يكن معكما؟

(رامي): لا يا خالة لم نره اليوم.

ارتبكت الأم وأغلقت الباب..

توجه الاثنان بعدها لمنزل (عبد الله) وحصلوا على ردةِ فعلٍ مشابهةٍ..

(علي) وهو يلتفت على (رامي): ما العمل الآن؟

(رامي): لنعد لمنازلنا قبل أن يقلق علينا أهلنا وبعدها سنرى..

عاد (علي) ليجد أمه تبكي وبمجرد رؤيتها له اندفعت نحوه وعانقته وبدأت بتفحص جسده وهي تقول:

هل أنت بخير؟.. هل أصابك مكروه؟

(علي) باستغراب: أنا بخير يا أمي.

لم يتلقَ (علي) تفسيرًا من أمه عن سبب قلقها، ولم يفهم سبب قيام أبيه في اليوم التالي بإيصاله للمدرسة بالسيارة وإخباره قبل نزوله أنه سيأتي لأخذه بعد انتهاء يومه الدراسي، بحث (علي) عن (رامي) في الفسحة كي يستفسر منه عمّا حدث لكنه لم يجده وعلم من زملائه أنه لم يحضر للمدرسة ذلك اليوم.

في اليوم التالي علم (علي) بأن (رامي) انتقل لمدرسة أخرى. حاول (علي) سؤال الجميع عمّا حدث لأصدقائه لكنه لم يجد جوابًا. حاول سؤال المدرسين وأمه وأبيه لكنهم كانوا يجيبونه دائمًا بأنه لازال صغيرًا على فهم ما حدث.

لم ينسَ (علي) الأمر بالرغم من مرور أعوام على ذلك اليوم الغريب الذي خسر فيه جميع أصحابه دفعة واحدة، حصل (علي) على الإجابة بعد سنين عندما التقى صدفةً ب(رامي) في الجامعة التي التحق بها للتو في المدينة المجاورة لقريتهم.

(علي): (رامي) هل هذا أنت؟

(رامي) مبتسمًا وهو يعانق (علي):

كيف حالك يا(علي)؟ لقد تغيرت كثيرًا.

(علي) وهو يبتسم:

أنا بخير.. لقد افتقدتك تلك السنين.

(رامي) وابتسامته تذبل:

لم يكن لدي خيار فالانتقال إلى المدينة كان قرار أهلي وليس قراري.

(علي): ما الذي حدث ذلك اليوم؟

(رامي): ألم يخبرك أحد؟

(علي): لا.. كلما سألت أحدًا في تلك الأيام أخبرني بأني لازلت صغيرًا على أن أفهم، وعندما كبرت لم أحصل على إجابة أيضا من أهلي.. كانوا يتهربون دائمًا من الإجابة وكأنهم لا يريدون تذكر ذلك اليوم.

(رامي) بوجه حزين: لا ألومهم.. أنت محظوظ لأن من حولك لم يخبروك بما حدث.. أنا كنت أحمقا للإصرار بالسؤال حتى حصلت على الإجابة.. إجابة جعلتني أعيش في رعب حتى هذا اليوم.

(علي) بتوتر: ما الذي حدث يا (رامي).. ما الذي حدث ذلك اليوم؟!

(رامي): لاتدع فضولك يتمكن منك ويحطم ما تبقى من طفولتك الجميلة.. احتفظ بذكرياتك الجميلة ل(سامر) و(عبد الله) ولا تشوهها بمصير لاقوه لم يستغرق إلا دقائق معدودة..

(علي) بغضب: أنا لم أعد طفلًا الآن وأستطيع تحمل أي شيء!.. ماذا تريد أن تقول لي؟.. إنهما ماتا؟.. قتلا؟ لن يحطم ذلك شيء من ذكرياتي معهما لكني أريد أن أعرف ما حدث لهما!

(رامي): وما الذي ستستفيده بمعرفة ما حدث لهما؟

(علي):...

(رامي): صدقني لو كان الخيار لي لمسحت معرفتي بما حل لهما وكيف عانيا وتعذبا في لحظاتهما الأخيرة من ذاكرتي..

(علي) بغضب: سأبحث في الأمر حتى أعرف ما حدث لهما (رامي): كما تشاء لكني أنصحك بألَّا تفعل.

افترق الاثنان وتوجه بعدها (علي) لمركز الشرطة في المدينة، لأنه تذكر الحادثة بعد رؤية (رامي) وبدأ فضوله ينهش في عقله كما كان ينهش فيه عندما تلقى الخبر أول مرة وهو صغير. طلب من أحد الضباط في المركز النظر في ملف القضية وادعى أنه يدرس الحقوق ويقوم ببحث دراسي يخص جرائم القتل فتعاون معه الضابط ودله على الأرشيف الخاص بالقضايا القديمة للقرية حيث أن قضايا القرية كانت تحول لشرطة المدينة.

(الضابط): هل تملك أي معلومات عن القضية كي نختصر البحث قليلًا؟

(علي): الضحايا على الأرجح ماتوا مقتولين وموقع الحادث مقبرة القرية الواقعة جنوب المدينة.

(الضابط): هذا سيسهل البحث..

بعد بحث مطول وجد (الضابط) الملف وقدمه ل(علي) وبالرغم من أن الملف كان مصنفًا كأوراق سرية إلا أن حجة البحث الجامعي وتقديم (علي) بطاقته الجامعية وقدم عمر القضية جعلت (الضابط) يتهاون في تلك المسألة.

فتح (علي) الملف وبدأ بالقراءة..

كان الضابط يقف في انتظار انتهاء (علي) من الملف كي يغلق غرفة الأرشيف. انتهى (علي) من القراءة وقال للضابط وعيناه غارقة بالدموع:

مكتوب في الملف أن الفاعل لم يتم القبض عليه..

(الضابط): نعم وما المشكلة..؟

(علي): هل توقفوا عن البحث؟

(الضابط): هل تفهم في الإجراءات القانونية أم لا؟.. ألم تقل بأنك تدرس الحقوق؟

(علي) وهو يمسح دموعه: نعم.. نعم.

أخذ (الضابط) الملف من يد (علي) بهدوء وبدأ بتصفحه..

(الضابط) وعينه على الملف: هل كنت تعرف الضحايا؟

(علي):.. نعم (الضابط): هل كنت على علم بما حدث لهم؟

(علي): لا.. وليتني لم أعرف..

(الضابط): لماذا بحثت إذًا؟

(علي) ودموعه بدأت بالنزول: فضول.. فضول أحمق.

(الضابط) وهو يغلق الملف ويضعه على الرف: هل تحتاج شيئا آخر؟

(علي) وهو ينهض: لا.. شكرًا على وقتك.

توجه (علي) للباب للخروج من غرفة الأرشيف وقبل خروجه قال له الضابط:

مازالت الدنيا بخير يا بني فلا تفكر في الأمر كثيرًا..

(علي): كانت بخير قبل أن أقرأ ذلك الملف..

من يكون غريبًا بين أهله ستهاجر مشاعرُه نحو وطن غيرهم..

خطوط الحناء عائلة تستعد لليلة زفاف ابنتها..

الجميع مشغول بما هو منوط به..

العروس تنتظر في أحد الصالونات النسائية مع أختها..

ترغب في نقش الحناء على أطرافها..

(ريم): المكان مزدحم أخشى أن نتأخر..

(سماح): لا تقلقي لازال الوقت مبكرًا، ثم إني حجزت لكِ في هذا المكان خاصةً؛ لأنه الأفضل في نقش الحناء (ريم): أحتاج تجهيزات أخرى غير الحناء، لمَ لا نقوم بها هنا كي نوفر الوقت؟

(سماح): لا فقد حجزت لذلك في صالون آخر.

(ريم): ولمَ كل هذا التعقيد؟

(سماح) وهي تبتسم:

أريد الأفضل لك.. المفروض أن تكوني أنت الحريصة على ذلك وليس أنا.

(ريم): لست مهتمة كثيرًا بهذه الشكليات.

(سماح) وهي تضحك:

يجب أن تهتمي بهذه الأشياء منذ اليوم إذا أردتِ الحفاظ على زوجك.

(ريم): زوجي ليس سطحيًا لهذه الدرجة.

(سماح) وهي تضحك: لا تتفاءلي كثيرًا.

(ريم): ماذا تقصدين؟

(سماح): لنتحدث لاحقا لقد جاء دورنا.

دخلت الاثنتان على سيدة سمراء البشرة، وجلسوا أمامها وهي تحضر خليط الحناء وتضعه في قمع صغير، جلست السيدة أمامهم وقالت:

من منكما العروس؟

(سماح) وهي تشير لأختها:

هي المحظوظة أنا خضت التجربة منذ أعوام.

(السيدة السمراء) وهي تمسك بيد (ريم) وتفتح راحة يدها:

هل في بالك تصاميم معينة؟

(ريم): لا.. أي شيء على ذوقك.

بدأت السيدة بتفحص كف (ريم) والنظر له بتمعن ثم قالت:

هل أنت واثقة من زوجك؟

(سماح) بغضب: ما هذا السؤال؟!

(ريم) بقلق: ماذا تقصدين؟

(السيدة السمراء) وقد بدأت ترسم خطوط الحناء على كف (ريم):

خطوط يدك تحكي الكثير عن مستقبلك معه..

(سماح): هل يمكنك القيام بعملك بصمت؟!

(ريم): اسكتي يا (سماح).. ماذا تقول خطوط يدي عن مستقبلي معه؟

(سماح): ماذا تفعلين هل ستصدقين كلامها؟.. إنها تفعل ذلك لأنها ترغب بالمال!

(السيدة السمراء): لا رغبة لي بالمال عدا حقي في نقش الحناء..

(سماح): إذًا قومي بعملك ولا تكثري من الكلام!

(ريم): ما بك يا (سماح) دعيها تتحدث!

(سماح) وهي تخرج من الغرفة:

سأنتظرك في الخارج لن أبقى وأستمع لهذا الهراء!

(ريم): انتظري.. أين أنت ذاهبة؟

(سماح) تخرج من الغرفة دون أن ترد على أختها..

(السيدة السمراء) وهي تكمل النقش بهدوء: دعيها تذهب..

(ريم): لماذا؟

(السيدة السمراء): لأن ما سأقوله لك لا يجب أن يسمعه أحد غيرك (ريم):...

(السيدة السمراء) وهي تنظر في كف (ريم):

لا أحد يستطيع معرفة المستقبل أو التنجيم به.. لكن..

(ريم) بتوتر: لكن ماذا..؟

(السيدة السمراء): هناك بعض الإشارات..

(ريم): إشارات ماذا؟

(السيدة السمراء): إشارات يمكن لبعض الناس قراءتها وهم بدورهم يفسرونها.. فراسه من نوع ما وأنا أرى في كفك علامة وإشارة صريحة في ليلة زفافك.

(ريم): ماذا ترين بالضبط؟

(السيدة السمراء): ليلة مشؤومة.. ليلة زواجك ستكون محفوفة بالموت..

(ريم): موت؟!.. أعوذ بالله.. موت من؟!

(السيدة السمراء): أخبرتك بأني لست منجمة أو مطلعة على الغيب.. واحتمال أن أكون مخطئة.

(ريم): لماذا تخبريني إذا؟!

(السيدة السمراء): خطوط يدك تصرخ تحذيرًا من ليلة زفافك وكان لابد أن أتكلم لعلك تعلمين شيئًا لا أعلمه..

(ريم) بقلق: لا أعرف شيئًا سوى ما أخبرتني به الآن!

(السيدة السمراء) وهي ترفع رأس القمع:

لقد انتهيت من النقش.

(ريم) بتوتر: أرجوك أخبريني بالمزيد..

(السيدة السمراء) وهي تضع القمع جانبا وتنظر في وجه (ريم):

فقط كوني حذرة.. هذه الليلة لن تنتهي على خير والله أعلم!

(ريم): بسبب زوجي؟!

(السيدة السمراء): لا أعرف.

نهضت السيدة من أمام (ريم) وخرجت من الغرفة دون أن تقول شيئًا آخر.

خرجت (ريم) خلفها ولم تجدها في غرفة الانتظار. لم تجد سوى أختها في انتظارها وعلى وجهها علامات الغضب.

(سماح): هل انتهيتِ؟!

(ريم) وهي تبحث بنظرها بين المنتظرين: نعم (سماح) وهي تقف: هيا بنا إذًا لا نريد التأخر على مواعيدنا الأخرى.

بعد الاحتفال الكبير تلك الليلة، توجهت (ريم) مع زوجها لغرفة استأجرها في أحد الفنادق الكبرى لقضاء ليلة زفافهما، دخل الاثنان الغرفة والسعادة تغمر زوجها والقلق يتسلل الى صدرها بعدما امتدح زوجها نقش الحناء عليها.

(الزوج): ما بك يا (ريم)؟.. تبدين قلقة..

(ريم):...

(الزوج) مبتسمًا: أعرف أن قلقك أمر طبيعي لكن تذكري أن هذا يوم زفافنا والقلق يجب ألَّا يكون حاضرًا.

(ريم) تبتسم:...

(الزوج) يستبدل ملابسه ويدخل دورة المياه..

(ريم) تحدق بالغرفة وهي في انتظار عودة زوجها..

تقع عينها على ملابسه التي علقها في الدولاب الذي تركه مفتوحًا..

تنهض من مكانها وتتوجه نحو الدولاب..

تقف أمامه.. تحدق بملابس زوجها.. تضع يدها في أحد جيوبه..

تحس بشيء صلب وبارد.. تخرجه لتراه.. تضع يدها على فمها من الصدمة..

كان الشيء الذي أخرجته (ريم) من جيب زوجها سكين بمقبض معدني، حاولت تبرير وجود هذا السكين في جيبه لكنها لم تجد سببًا مقنعا لذلك ولم يكن في بالها سوى تحذير ناقشة الحناء لها، أعادت (ريم) السكين بسرعة لجيب زوجها عندما سمعت صوته وهو يدير مقبض باب دورة المياه، وتوجهت بسرعة للمكان الذي كانت تجلس فيه.

(الزوج) مبتسمًا: لمَ لمْ تغيري ملابسك؟

(ريم): أريد الانفصال عنك..

(الزوج) باستغراب: ماذا؟.. ماذا حدث؟!

(ريم) بصوت مرتفع قليلًا: لم يحدث شيء، والحمد لله أنه لم يحدث!

(الزوج): لا أفهم شيئا من كلامك.. إذا كنتِ متوترة يمكننا تأجيل الأمر إلى وقت لاحق حتى تهدئي.. لا يوجد عجلة..

(ريم) بغضب: لن يكون هناك ما يتم تأجيله.. يجب أن ننفصل!

(الزوج) بغضب: ما معنى هذا الكلام؟!.. هل تظنين أن المسألة لعبة؟!

(ريم): لا ترفع صوتك!

(الزوج): ما بك هل جننتِ؟!

(ريم): لماذا تحتفظ بسكين في جيبك؟!

(الزوج): سكين؟.. أي سكين؟!

(ريم) وهي تنهض من مكانها وتخرج السكين من جيب زوجها وترفعها في وجهه:

هذه!!

(الزوج) وهو ينظر للسكين بقلق:...

(ريم): لماذا سكتَّ؟!!

(الزوج): إنها هدية من صديق لي؛ قدمها لي من باب المزاح خلال مراسم الزواج.

(ريم): هل تظنني غبية؟!

(الزوج): ما الذي يدور في عقلك؟!

(ريم): لا شيء!! سوف أتصل بأخي كي يأتي لأخذي!

توجهت (ريم) لهاتفها كي تتصل بأخيها..

(الزوج) وهو ينتزع الهاتف من يدها: ما هذا الجنون؟!

(ريم) تبدأ بالصراخ في وجه زوجها.. الزوج يضع يده على فمها ويقول:

اسكتي سوف تتسببين لنا بفضيحة!

(ريم) تحاول التملص والهروب من قبضة زوجها وهو يزيد من تكميم فمها..

بعد دقائق من الصراع توقفت (ريم) عن الحركة..

الزوج يرخي قبضته عن أنفاسها..

تهوي إلى الأرض..

يلتقطها الزوج قبل سقوطها..

يتحسس أنفاسها فلا يجد لها أثر..

يهرع نحو الهاتف ويتصل بالإسعاف..

يتصل بعدها بطبيب الفندق..

بعد حضور الإسعاف وإجرائهم الفحص الأولي أكدوا تشخيص طبيب الفندق وهو أن (ريم) فارقت الحياة بسبب الاختناق، ألقي القبض على الزوج ووجهت له تهمة قتل زوجته، من خلال التحقيقات ذكر الزوج تفاصيل ما حدث وتم سؤال صديقه الذي أكد أنه بالفعل أهدى الزوج السكين في ليلة زفافه من باب المزاح.

العاقلُ خصيم نفسِه والجاهلُ خصيمُ الناس والحكيمُ لا وقتَ لديه للخصومةِ..

اللوحة (باسم) موظف منتدب لمدينة أخرى لحضور اجتماع..

يصل تلك المدينة بعد منتصف الليل مرهقًا جدًا..

يبحث عن مكان للنوم..

ينتهي به المطاف في فندق متواضع..

حجز (باسم) غرفة على عجالة ليحصل على بضع ساعات من النوم قبل اجتماعه المبكر في الصباح، دخل الغرفة وألقى بنفسه على السرير دون أن يبدل ملابسه أو يطفئ الأنوار، يفتح عينه لبرهة فيشاهد أمامه لوحة لرجل بشع المنظر، كانت اللوحة تظهر الجزء العلوي من الرجل فقط. كانت نظراته مخيفة وكأنه يحدق به، أدار (باسم) نظره للجهة الأخرى وتجاهل اللوحة التي كانت على يمين سريره، وحاول أن ينام لكنه لم يستطع وانتابه شعور بأن الرجل في تلك اللوحة يراقبه، أعاد (باسم) نظره نحو اللوحة ليجد الوجه البشع وقد بدا له أكثر بشاعة.

(باسم) وهو مستلقٍ على فراشه: يبدو أن التعب تمكن مني وبدأت أهلوس..

قرر (باسم) الاتصال بمكتب الاستقبال في الفندق؛ فنهض وجلس على طرف السرير وأعطى اللوحة ظهره ورفع سماعة الهاتف واتصل:

(موظف الاستقبال): صباح الخير.. كيف يمكنني المساعدة؟

(باسم) وهو يدعك عينه: آه نعم.. لو سمحت هل يمكنك إرسال شخصٍ ليزيل تلك اللوحة البشعة من غرفتي؟

(موظف الاستقبال): أي لوحة يا سيدي؟

(باسم): تلك اللوحة على يمين السرير.

(موظف الاستقبال) باستغراب: عفوا يا سيدي لا يوجد بجانب سريرك سوى المرآة.

التفت (باسم) بسرعة ليجد الرجل وقد اختفى، وأن الإطار فعلًا لم يكن سوى إطار مرآة على جدار الغرفة..

الصمتُ فصاحةُ السكوتِ..

صمت وإنصات (خالد) خبير في الإلكترونيات..

يعمل كمهندس للصوتيات في إحدى الشركات الكبيرة في الإعلام..

يتلقى اتصالًا من صديقه (غانم) في وقت متأخر من الليل..

(غانم): عذرًا على الاتصال في هذا الوقت المتأخر يا (خالد).

(خالد): لا أبدًا يا (غانم) تفضل.

(غانم): لدي مشكلة ولا أستطيع حلها.

(خالد) وهو ينظر للساعة: ألا يمكنك الانتظار للصباح؟

(غانم) بصوت يشبه بداية البكاء:

لا أستطيع فأنا أعاني من هذا الأمر منذ أيام ولم أعد أستطيع الاحتمال أكثر أشعر أنني سأصاب بالجنون!

(خالد): حسنًا.. حسنًا.. أمهلني بعض الوقت وسأكون عندك.

(غانم): أنا عند بابك الآن.

(خالد): باستغراب: حسنًا سآتي إليك.

فتح (خالد) الباب ل (غانم) الذي دخل بسرعة وتوتر، وهو يقضم أظافره وجلس على الأريكة في غرفة المعيشة يحدق بالتلفاز المطفأ..

(خالد) وهو يجلس بجانبه: ما بك؟.. ما الذي حدث؟

(غانم) بصوت مرتفع: هناك شيء غريب يحدث معي.. يحدث لي الآن وأنا أتحدث معك!!

(خالد) باستغراب: ماذا يحدث معك؟.. ولماذا ترفع صوتك؟

(غانم): أسمع أصواتًا!

(خالد): أصوات ماذا؟

(غانم): هذا ما يقودني للجنون!.. كلما تحدثت أسمع همسًا يهمس في أذني في نفس الوقت.. همسًا خافتًا لا أستطيع فهمه أستطيع فقط تمييز أنه كلام وكلما سكت لأنصت يتوقف الصوت عن الهمس!!

(خالد) ينظر ل(غانم) بتعجب:...

(غانم): لا تنظر لي بهذه الطريقة أنا لست مجنونا!!

(خالد) بتوتر: لم أقل أنك مجنون.

(غانم): لمَ تحدق بي هكذا إذًا؟!

(خالد) وهو يشعل سيجارة: اهدأ.. اهدأ.. هل قمت بمراجعة الطبيب؟

(غانم): نعم.. طبيب أذن وطبيب أعصاب وطبيب نفسي؛ وكلهم متفقون على رأي واحد..

(خالد): ما هو؟

(غانم) بصوت مرتفع: أنني لا أعاني من شيء!!

(خالد): لماذا تصرخ وتتحدث بصوت مرتفع؟!

(غانم) وقد بدأ بالبكاء:

أعتذر لكنها الطريقة الوحيدة التي لا أسمع فيها ذلك الهمس اللعين!

(خالد) وهو يحدق بصاحبه:...

(غانم) وهو يبكي: أرجوك ساعدني!

(خالد): ما الذي تريد مني أن أفعله؟

(غانم): أنت خبير في الصوتيات أليس كذلك؟

(خالد): نعم.. ما علاقة ذلك بالأمر؟

(غانم): سجل ذلك الصوت أريد أن أفهم ما يقول!

(خالد): كيف أسجل صوتًا لا وجود له؟

(غانم) بصوت مرتفع: الصوت موجود لكنك لا تسمعه!!

أدرك (خالد) أن صاحبه يعاني من مشكلة نفسية ولن يقتنع بذلك حتى يجاريه وينفذ له ما يريد..

(خالد) وهو يطفئ السيجارة: حسنًا يا (غانم) تعال معي، توجه الاثنان إلى غرفة خصصها (خالد) لمشاريعه وأعماله الصوتية كانت أشبه بالاستوديو، كانت جدرانها مغطاه ومبطنة بالعوازل الرمادية، أجلس (خالد) صاحبه في غرفة زجاجية بها ميكرفون كبير وقال له:

عندما أعطيك الإشارة ابدأ بالتحدث..

(غانم): التحدث في ماذا؟

(خالد): لا يهم.. تحدث عن أي شيء..

خرج (خالد) وتوجه لغرفة التسجيل ثم أعطى الإشارة ل(غانم) بالحديث. بعد فترة من التسجيل أشار (خالد) بيده ل(غانم) بالتوقف والخروج من الغرفة الزجاجية، بدأ (خالد) بمعالجة وتضخيم وتحليل الأصوات التي قام بتسجيلها ثم قال ل(غانم) الذي كان جالسًا بجانبه:

لقد قمت بفرز الأصوات في المادة المسجلة وعزلت كل صوت على حدة، وأحتاج عشر دقائق لمعالجة كل صوت وموجة وتضخيمها كي يكون مسموعًا بوضوح.

(غانم): أنت تقول أصوات معنى ذلك أنه كان معي حق لم يكن صوتي الوحيد الموجود أليس كذلك؟!

(خالد): ليس بالضرورة؛ فخلال كلامك هناك أصوات طبيعية أخرى يمكن تسجيلها لذا سنرى.

(غانم): مثل ماذا؟..ما الذي سنسمع..؟

(خالد): جميع الأصوات في تلك الغرف الزجاجية مهما كان منخفضًا تم تسجيله ولقد حصلت على أربعِ موجات لنستمع إليها ابتداء من الأقوى..

قام (خالد) بتحليل الموجة الأول وبعد خمس دقائق من التحليل قام بتشغيلها:

(صوت (غانم) وهو يتكلم).

قام (خالد) بتحليل الموجة الثانية وبعد خمس دقائق من التحليل قام بتشغيلها:

(صوت أنفاس ونفخات) (غانم) وهو متوتر: ما هذا؟!

(خالد): صوت أنفاسك خلال الحديث وبين الوقفات وهذا أمر طبيعي.

قام (خالد) بتحليل الموجة الثالثة وبعد خمس دقائق من التحليل قام بتشغيلها:

(صوت دقات ونبضات وصوت يشبه النهر الجاري) (غانم) بتوتر: ما هذا؟!

(خالد) وهو يبتسم: لقد استخدمت لاقطات صوتية حساسة جدًا تلتقط أدق الأصوات وما تسمعه الآن هو دقات قلبك وجريان دمك في عروقك.

(غانم) باستغراب: هل يمكنك تسجيل ذلك؟

(خالد) مبتسمًا: الشركة التي أعمل لديها سخية جدًا عندما يتعلق الأمر بالتجهيزات لذا اقتنيت أحدث التقنيات المتوفرة في السوق.

(غانم): معنى ذلك أني كنت أتوهم.

(خالد) وهو يبتسم: نعم يا صديقي.. بقي موجة رابعة هل ترغب في سماعها؟

(غانم): هل يمكن أن تكون الصوت الذي أسمعه؟

(خالد): لا أعتقد فهي موجة ضعيفة جدًا وغير مستقرة ومتقطعة وفي الغالب هي تسجيل صوت حركة رمشة عينيك.. يمكننا سماعها لو رغبت.

(غانم): لا.. لا داعي لذلك.

(خالد): لماذا.. الأمر لن يستغرق أكثر من خمس دقائق؟

(غانم) وهو يبتسم: لأن الصوت توقف وأنا اتحدث معك الآن.. يبدو أني فعلًا كنت أتوهم وما قمنا به وضعني أمام الحقيقة وأخرجني من وهمي.. عذرًا لأني أخذت من وقتك الكثير وأزعجتك في هذه الساعة المتأخرة.

(خالد) وهو يضع يده على كتف (غانم) مبتسمًا:

لا تقل هذا الكلام كان ذلك من دواعي سروري وأنا كنت سأستيقظ على أي حال لأن لدي عمل غير منجز يجب أن أسلمه في الصباح لذا فأنت بطريقة ما أسديت لي معروفًا.

(غانم) وهو يبتسم: شكرًا.. في أمان الله..

خرج (غانم) من منزل (خالد)..

توجه (خالد) للمطبخ وأعد لنفسه كوبًا قويًا من القهوة السوداء كي يساعده على التركيز في عمله الذي ينوي القيام به، أخذ (خالد) كوب القهوة الساخن وتوجه لغرفة الصوتيات، جلس على كرسيه وأمام جهازه وأشعل سيجارة وبدأ بمسح الملفات التي قام بتسجيلها مع (غانم).

مسح الملف الأول.. ثم الثاني.. ثم الثالث.. وعندما وصل للملف الرابع تمكن الفضول منه؛ لأن (خالد) لم يكن صادقًا مع صديقه، ففي العادة عندما يتم تسجيل صوت شخص بتلك الأجهزة التي يملكها (خالد) لا يتم تسجيل سوى ثلاثة موجات، وهي كما شرح (خالد) سابقًا ل(غانم)، ووجود موجة رابعة أمر نادر جدًا، لذا قرر (خالد) معالجة وتحليل الصوت.

قام (خالد) بتحليل الموجة الرابعة، وبعد خمس دقائق من التحليل قام بتشغيلها:

سمع (خالد) صوتًا منخفضًا جدًا فقام بتضخيمه أكثر..

بعد عدة محاولات من التضخيم والفلترة أصبح الصوت واضحا وكان يقول:

(لماذا لا ترد علي؟.. أحاول التواصل معك..) (لماذا لا ترد علي؟..أحاول التواصل معك..) (لماذا لا ترد علي؟..أحاول التواصل معك..)

لا توجد حروف «متناثرة» أو كلمات «عابرة» بل معاني «مهدرة» لم تجد من يحتويها..

عفلغاتكن فخالجنبو فتى في الرابعة عشر من عمره..

يجلس في غرفته كثيرًا..

علاقته مع أمه وأبيه متوترة..

لا يحب الاختلاط بالناس..

مستواه الدراسي منخفض بسبب معاناته من بعض الصعوبات التعلم..

أهله يلقبونه ب(المتخلف)..

تصيبه نوبات غضب شديدة من وقت لآخر..

(الأم) وهي تفتح باب غرفة ابنها فجأة وتحدق به لدقيقة:.. ماذا تفعل؟!

(الابن) وهو مستلقٍ على السرير: لا شيء.

(الأم): لا تكذب علي!

(الابن) بغضب: ولماذا أكذب؟!

(الأم) بغضب وهي تخرج من الغرفة:

سأخبر أباك كي يتعامل معك فأنا لم أعد أستطيع ذلك.

(الابن) باستغراب:...

بعد دقائق دخل (الأب) غرفة ابنه وقال بهدوء:

لماذا تغضب أمك يا (عدنان)؟

(عدنان) بغضب: لم أفعل أو أقول لها شيئًا!

(الأب) بغضب: لا تصرخ بوجهي!

(عدنان) وهو يصرخ ويمسك رأسه: اتركوني وشأني!

(الأب) وهو يخرج من الغرفة:

سوف أتصل بالطبيب يبدو أنك تحتاج لجرعة مهدئ أخرى!

(عدنان) يضع كفيه على وجهه ويبدأ بالبكاء...

صوت احتكاك على الجدار..

وكأن شيئًا يكتب..

يرفع (عدنان) رأسه ويوجه نظره نحو مصدر الصوت الذي توقف..

يرى كلمات غريبة كتبت على الجدار..

(بيلاسو سمتقلقكو.. تعنحنزو فقهناتم) نهض (عدنان) من فراشه ووقف أمام الكلمات التي كتبت باللون الأسود على جدار غرفته وحدق فيها مطولًا باستغراب في محاولة منه كي يفهم معناها لكن دون جدوى، دخلت (الأم) عليه وهو يحدق بتلك الكلمات فصرخت وقالت:

ماذا فعلت؟!!

(عدنان): ما بكِ؟!.. أنا لم أفعل شيئًا؟!!

(الأم): لماذا شوهت الجدار بهذه الخربشات؟!

(عدنان): لم يكن أنا!

(الأم): هل تظننا مجانين مثلك؟!.. من غيرك موجود هنا؟!

(عدنان) بغضب: اخرجي!.. اخرجي!

خرجت (الأم) من الغرفة وأغلقت الباب خلفها بقوة..

عاد صوت الاحتكاك مرة أخرى على جدار آخر من جدران الغرفة فتوجه (عدنان) بسرعة لمصدر الصوت واستطاع رؤية الكلمات وهي تكتب أمامه وكانت تقول:

(كتامكزو قعسببنج شلهمكطل) دخل (الأب) على ابنه وهو يقف أمام تلك الكلمات وقال بغضب:

لماذا تصر دائمًا على افتعال المشاكل؟!.. لماذا لا تكون طبيعيًا كغيرك ممن هم في مثل سنك؟!!

(عدنان) وهو يضحك ويضع يده على رأسه:

يبدو فعلًا أني فقدت عقلي..

(الأب) بهدوء:

لا تقلق يا بني هناك علاج لكل شيء.. خذ هذا الدواء وحاول أن تنام أعطى الأب ل(عدنان) بعض الأقراص فتناولها على الفور لينام مباشرة..

استيقظ (عدنان) بعد منتصف الليل وفتح عينيه دون أن ينهض ليجد عبارة ثالثة كتبت أمامه على الجدار المجاور لسريره وكانت تقول:

(لبسوفقم سزينتهياع تاهمكست هبغدابي) لم ينهض (عدنان) من فراشه لأن العبارة كانت قريبة منه؛ واستطاع قراءتها باستخدام نور هاتفه.. عاد للنوم بعد قراءتها مباشرة لأن مفعول العقار لازال قويًا.

في الصباح استيقظ (عدنان) على صوت مجموعة من الناس يتحدثون ويبكون في غرفة المعيشة، نهض من فراشه وهو يشعر بصداع خفيف وفتح باب غرفته ليجد خالته أمامه تعانقه وتقول:

لا تقلق يا عزيزي سنكون بجانبك منذ اليوم..

(عدنان) باستغراب: ما الأمر يا خالتي؟

(الخالة) وهي تمسح دموعها:

أمك توفيت البارحة في فراشها؟

(عدنان) وهو مصدوم: أمي؟!

خرجت الخالة ودخل بعدها ابنها الذي كان في عمر (عدنان) والمصاب منذ صغر بالتوحد واكتفى بالجلوس بصمت..

بدأ ابن خالته يحدق بجدران الغرفة مطولًا ثم قام وتوجه للكلمات المكتوبة وبدأ بمسح أول وآخر حرفين من كل كلمة ثم خرج..

تاركًا (عدنان) ورائه يقرأ العبارات كالمجنون..

فشلك في تغيير نفسك ليس سببًا لتغيير غيرك..

عامد تنتقل (غيداء) لمدرسة جديدة..

تتعرف فيها على صديقات جدد..

صديقة منهم جذبت انتباهها لأنها كانت تجلس لوحدها دائمًا أوقات الفسح..

تقربت منها..

أصبحت صديقتها الوحيدة..

أصبحت تلتقي معها وتتحدث معها كل يوم تقريبًا بعد انتهاء اليوم الدراسي..

حضرت صديقتها يومًا لمنزلها وقرروا القيام بشيء خارج المألوف..

(غيداء): ما رأيك أن نقوم بشيء غريب اليوم؟

(شوق): مثل ماذا؟

(غيداء) وهي تبتسم بخبث:

زارنا عمي بالأمس وأعطى أبي كتابا غريبا.

(شوق): غريب؟.. كيف؟

(غيداء) وهي تبتسم: كتاب يتحدث عن الجن.

(شوق): الجن؟

(غيداء) وهي متحمسة: نعم الجن!

(شوق) وهي تبتسم: هل كان مخيفًا؟

(غيداء) وهي تضحك: وكيف عرفتِ بأني قرأته؟

(شوق) وهي تضحك:

أعرف كيف تفكرين وأجزم أنكِ لم تنامي قبل إنهائه.

(غيداء): فعلًا.. تسللت لمكتبة أبي بعدما نام الجميع وتصفحته.

(شوق): كيف كان؟.. هل أعجبك؟

(غيداء): كان مملًا بعض الشيء لكني قرأت معلومة غريبة فيه.

(شوق): ما هي؟

(غيداء): أن الجن لا يستطيعون نطق كلمة معينة مهما فعلوا.

(شوق): كلمة؟.. أي كلمة؟

(غيداء) وهي تخرج ورقة من جيبها وتضحك:

لقد كتبتها على هذه الورقة كي لا أنساها ولنستخدمها أيضًا في لعبتنا.. انظري (شوق) وهي تنظر للأوراق وللكلمة المكتوبة عليها:...

(غيداء) وهي تعيد الورقة لجيبها وتبتسم:

ما رأيك أن نبدأ باللعبة؟

(شوق) مبتسمة باستغراب: أي لعبة؟

(غيداء) وهي تضحك:

سوف نستخدم هذه الكلمة لفحص من نشك أنهم من الجن!

(شوق) وهي تضحك: هل أنت مجنونة؟

(غيداء) وهي تضحك:

هيا لا تكوني مملة.. طالما شككت بجارتنا العجوز أنها ليست من البشر.

(شوق) وهي تضحك بقوة: هيا لنتأكد إذًا!

ذهبت الاثنتان وطرقتا باب الجارة العجوز وعندما فتحت لهما الباب قالت لها (غيداء): طبتِ مساءً يا عمة..

(العجوز) بغضب: ماذا تريدين؟!

(غيداء) وهي مبتسمة وتفتح الورقة في وجه الجارة العجوز:

لا شيء أريد مساعدتك لي في قراءة ما هو مكتوب في هذه الورقة.

(العجوز) وهي تحدق بالورقة:

هل تظنين أن نظري قوي لهذه الدرجة؟!

أغلقت العجوز الباب بقوة تاركة الفتيات يضحكن..

(شوق) وهي تضحك: لمَ كتبتيها بخط صغير؟

(غيداء) وهي تضحك:

الخط مناسب لكن هذه العجوز تتهرب من القراءة لأنها من الجن!

ضحكت الاثنتان وتوجهتا لمنزل (غيداء)..

عند دخولهما المنزل رأت الفتيات والد (غيداء) جالسًا يقرأ جريدة فقررا تجربة الورقة عليه فقالت (شوق):

هل يمكنك يا عمي أن تقرأ محتوى هذه الورقة من أجلنا؟

(والد غيداء) وهو يبتسم ويأخذ الورقة من يد (غيداء):

بالطبع يا ابنتي..

نظر والد (غيداء) للورقة وهو يبتسم لكن ابتسامته تحولت لعبوس في وجه (غيداء) وقال:

هل كنتِ تعبثين بمكتبتي يا (غيداء)؟!

سحبت (غيداء) الورقة من يد أبيها وضحكت الفتيات وهربن من المنزل بسرعة، خرجت الفتيات مسرعات لفناء المنزل وهن يضحكن وجلسن للراحة..

(شوق) وهي تضحك وتمد يدها لتأخذ الورقة من (غيداء):

أعطني هذه الورقة لأمزقها قبل أن تتسبب لنا بمشكلة (غيداء) وهي تضحك وتبعد الورقة عن متناول يد (شوق):

مستحيل! يجب أن يقرأها شخص واحد على الأقل..

(شوق) وهي تبتسم وتعبث في شعرها: ومن سيقرأها؟

(غيداء) وهي تبتسم: لدي فكرة إقرئيها أنتِ وسوف أمزقها (شوق) وهي تضحك بقوة وتمد يدها لأخذ الورقة:

ما هذا الغباء أعطِني الورقة كي أمزقها!

(غيداء) وهي تضحك وتخفي الورقة خلف ظهرها: اقرأيها وسأمزقها!

(شوق) وهي تحيد بنظرها للأفق وتعبث بشعرها وتبتسم: حمقاء..

(غيداء) وهي تبتسم:

أنا جادة فيما أقول أريد أن أسمع أحدًا يقرأ هذه الكلمة (شوق) وهي تحدق في الأفق وتبتسم: هذا اسم وليس كلمة..

(غيداء) وهي تضحك: وما أدراكِ أنتِ؟

(شوق) وهي تبتسم وعيناها ما زالت على الأفق:

مجرد توقع.. انسي الموضوع.

(غيداء) وهي تبتسم وتخرج الورقة من خلف ظهرها وترفعها أمام (شوق):

لا تغيري الموضوع.. هيا اقرئي الكلمة أو الاسم كما تقولين.

(شوق) وقد اختفت الابتسامة من على وجهها وتحدق بالورقة:...

(غيداء) مبتسمة: ما بك؟

(شوق) وعينها على الاسم في الورقة بوجه خالٍ من التعابير:

لنغير الموضوع..

(غيداء) وهي تضحك: ما بك هل أنت خائفة؟

(شوق) وهي تدير نظرها عن الورقة إلى الأفق:

نعم نعم خائفة.. غيري الموضوع.

(غيداء) وهي تضحك:

هراء!.. أنت أشجع فتاة قابلتها في حياتي هيا إقرئي الورقة!

(شوق) بغضب وصوت مرتفع: لن أفعل!!

(غيداء) باستغراب وقلق:

ما بك يا (شوق)؟.. لماذا تصرخين في وجهي هكذا؟ كنت أمزح معكِ فقط.

(شوق) بصوت غليظ متحشرج وهي تنظر للأرض:

لأنكم دائمًا تعبثون في شؤوننا بفضولكم الأحمق!!

(غيداء) وهي تقف مرعوبة: ما بك يا (شوق)؟

(شوق) وهي تقف وتلتفت بهدوء نحو (غيداء) وتقول لها بصوت أجش:

كنت أتمنى أن نبقى أصدقاء لفترة أطول..

رحلت (شوق) وسط تسمر وذهول (غيداء)..

في اليوم التالي لم تحضر (شوق) للمدرسة.. لم تحضر بعدها أبدًا وعند سؤال (غيداء) عنها لم يعرفها أحد ولم يكن لها سجل يذكر عندهم. بدأت (غيداء) تسترجع ذكريتها مع (شوق) وكيف كانت تتهرب من فكرة زيارة (غيداء) لها في منزلها وكيف كانت تتحجج دائما بحجج مختلفة، وكيف أنها لم ترَ يومًا أمها أو أحد من أقاربها وأنها لم تكن تلتقي معها إلا بين الحصص وبعد انتهاء اليوم الدراسي فقط.

هناك فرقٌ بين أن تعيش وبين أن تكونَ فقط على قيد الحياة..

قسمة ونصيب أم ترفع سماعة الهاتف وتتصل بإحدى الخطابات المعروفات في حيهم..

تطلب منها البحث عن فتاة ذات مواصفات معينة لابنها البكر..

(الخاطبة): سوف أبحث لكِ عن فتاة تحمل المواصفات التي ذكرتِها لكن يا (أم حمد) هل لي بسؤال؟

(أم حمد): تفضلي..

(الخاطبة): اعذريني على تطفلي؛ لكن عائلتكم كبيرة وبها ما شاء الله الكثير من الفتيات الجميلات اللاتي تنطبق عليهن المواصفات التي ذكرتِها فلمَ تلجئين لي؟..

أعرف أنه سؤال غريب وتطفل مني وقد يحرمني من رزق أتى إلى بابي لكني أريد لكِ الخير.

(أم حمد): أخبرت ابني بنفس الكلام لكنه مصمم أن يرى من سيتزوجها قبل الزواج.

(الخاطبة): هذا من حقه..

(أم حمد): أعرف يا أختي لكن أغلب رجال عائلتنا يقدمون العادات والتقاليد على الشرع؛ ولا يسمحون برؤية العروس قبل أن يعقد قرانها، وذوق ابني صعب جدًا ويشترط رؤية البنت أولًا، وأنا لا أريد أن أقع في مشاكل وإحراجات مع أقربائنا بسببه..

(الخاطبة): فهمتك يا أم حمد.. لا تقلقي سوف أبحث لكِ عن فتاة تناسبك وتناسبه بإذن الله.

(أم حمد): أعتمد على الله ثم عليك في هذا الأمر.

(الخاطبة): لا تقلقي.

بعد أيام من هذا الحوار أتت (الخاطبة) لزيارة (أم حمد) في المنزل وجلست معها في غرفة استقبال الضيوف وقالت لها:

لقد بحثت لكِ مطولًا عن ماطلبتِ وحصلت على مجموعة فتيات متأكدة من أن إحداهن ستعجب ابنك..

(أم حمد) وهي تضع مبلغًا من المال في حقيبة الخاطبة:

هاتي ما عندك؟

(الخاطبة): أحضرت معي مجموعة من الصور لبعض الفتيات؛ وصدقيني إنهن من عائلات محافظة جدًا؛ لكني أقنعتهن عندما أعطوني صورهن سابقا بأن هذه الصور لن يراها إلا الخاطب الجاد، وهن بنات حسب ونسب وصفاتهن مطابقة لما طلبتي وهن يتركن معلوماتهن عندي حتى يكتب الله لهن النصيب.

(أم حمد): أين الصور؟

وضعت (الخاطبة) خمس صور في يد (أم حمد) وقالت:

هذه صورهن وكل صورة لها ملف عندي بأرقام التواصل معهن ولن أدلي بأي معلومات عنهن حتى يختار ابنك إحداهن.. اتفقنا؟

(أم حمد): حسنًا سأعرض الصور عليه اليوم وغدًا سأعطيك الرد.

(الخاطبة): أرجوك يا (أم حمد) أن لا تزيد المدة عن الغد يجب أن أستعيد الصور غدًا سواء أعجبتكم إحداهن أو لا.

(أم حمد): لا تقلقي أعدك بذلك..

في المساء اجتمعت (أم حمد) بابنها (حمد) وأخته الصغرى (حصة) وتناقشوا في الموضوع..

(أم حمد): هل أنت جاهز لاختيار أم أحفادي؟

(حصة) وهي تضحك:

لن يختار فهو معقد وانتقائي جدًا وكأنه لا يملك مرآة في غرفته ليرى نفسه بها (حمد) بغضب: ما دخلك أنت؟ ثم لماذا أنت هنا؟.. اذهبي!

(حصة) وهي تنصرف وتضحك:

أشفق على المسكينة التي ستختارها (أم حمد): دعك منها وركز معي.. هذه هي الصورة الأولى (حمد) وهو يتمعن في الصورة الأولى: تبدو بلهاء يا أمي..

(أم حمد): إذا لم تعجبك فقل إنها لم تعجبك فقط ولا تتحدث في بنات الناس.

(حمد): حاضر.. لم تعجبني..

(أم حمد) تأخذ الصورة الأولى من يد (حمد) وتناوله أخرى..

(حمد) وهو ينظر للصورة: لا بأس بها لكنها ليست جميلة بما يكفي.

(أم حمد) تأخذ الصورة الثانية وتناوله الثالثة..

(حمد) يحدق بالصورة ويبتسم..

(أم حمد) وهي تبتسم: هل تريد مشاهدة الصورة الرابعة؟

(حمد) وعينه لازالت على الصورة مبتسمًا: لا (أم حمد): الحمد لله هيا أعطني الصورة وسوف أبلغ (الخاطبة) غدًا كي تخبرنا عنها أكثر.

مدت (أم حمد) يدها لأخذ الصورة لكن (حمد) وضعها في جيبه بسرعه وقال:

لا اتركيها معي!

(أم حمد): ماذا تفعل؟! لا يجوز أن تحتفظ بها..

(حمد): لمَ لا؟ فهي ستصبح زوجتي.

(أم حمد): عندما تصبح زوجتك افعل ما تشاء.

(حمد): أرجوك يا أمي فقط لليلة.

(أم حمد) وهي تزفر: حسنًا أمضى (حمد) ليلته تلك يحدق بصورة الفتاة التي كانت واقفة ترفع أربعة أصابع بيدها اليسرى. كان ينظر لتلك الأصابع الأربعة ويقول في باله مبتسمًا:

يبدو أنها تؤمن بالتعدد..

كانت الفتاة في تلك الصورة غير مبتسمة وتنظر بنظرة حادة ومع ذلك أعجب بها (حمد) وتملكته رغبة جامحة في معرفتها أكثر ومشاركتها أفراحها وأحزانها.

غفت عين (حمد) وهو يحدق في تلك الصورة..

في الصباح دخلت (حصة) لإيقاظ أخيها من النوم كما تعودت لأن نومه ثقيل ولا يمكن لأي منبه مها كانت قوته أن يوقظه فلم تجده في الغرفة، خرجت لسؤال أمها فأجابتها بأنها لم ترَه وأنه قد يكون خرج للعمل مبكرًا.

(حصة) باستغراب:

هذه ليست من عوائده.. ثم إن هاتفه لازال موجودًا بغرفته..

(أم حمد): ربما نسيه.

(حصة): هذه ليست من أطباعه أبدًا..

(أم حمد): يبدو أن تلك الفتاة في الصورة بدأت تغيره قبل أن يلتقي بها!

(حصة) وهي تبتسم: هل اختار عروسًا له أخيرًا؟

(أم حمد): نعم والخطابة في الطريق لنتفاهم في التفاصيل.. لقد تذكرت كان يجب أن آخذ تلك الصورة منه كي أعطيها ل(الخاطبة).. اذهبي وابحثي في غرفته لعله تركها هناك..

(حصة) وهي تتوجه لغرفة أخيها: حاضر!

(أم حمد): أتمنى أن لا يحرجني هذا الولد الطائش مع (الخاطبة).

دق الباب.. فتحت (أم حمد) واستقبلت (الخاطبة) في غرفة الضيوف..

(الخاطبة) مبتسمة: طمئنيني يا (أم حمد) هل هناك نصيب؟

(أم حمد) وهي تبتسم: نعم بإذن الله.

(الخاطبة): الحمد لله.. أخبرتك بأنه سيعجب بإحداهن.. أي واحدة أعجبته لقد أحضرت ملفاتهن جميعًا معي اليوم.

(أم حمد) وهي محرجة وتناولها بقية الصور:

لقد اختار إحداهن وصورتها مع ابنتي سوف أذهب لإحضارها.

(الخاطبة) وهي تتفحص الصور:

لا داعي لذلك لقد عرفتها..

(أم حمد): صحيح.. ما اسمها؟

(الخاطبة) وهي تخرج ملف الفتاة التي اختارها (حمد):

اسمها (مها) وهذا هو رقم الاتصال الوحيد الذي وضعته (أم حمد) ألا تعرفين مكان إقامتها؟

(الخاطبة): لا.. فبعض الفتيات لا يزودونني بكامل معلوماتهن إلا بعد أن يخطبهن أحد.

(أم حمد): وما المعلومات التي تملكينها عن هذه الفتاة؟

(الخاطبة) وهي تتمعن في ملف (مها):

بصراحة ليس الكثير صورتها ورقم هاتفها وبعض المعلومات العامة.

(أم حمد): اتصلي بها إذا.

(الخاطبة) وهي تخرج هاتفها من جيبها: حسنًا.

أجرت الخطابة الاتصال فرد عليها رجل فقالت:

السلام عليكم أليس هذا هاتف (مها)؟

(الرجل): نعم كان هاتفها (الخاطبة) باستغراب: هل غيرته؟

(الرجل): من معي؟

ارتبكت(الخاطبة) ثم قالت: صديقة قديمة لها.

(الرجل): (مها) توفيت منذ أشهر..

ثم أغلق الخط..

(أم حمد): ما الذي قالت؟

(الخاطبة) وهي لا تعرف ماذا تقول:...

(أم حمد): ما بك؟.. ما الأمر؟

(حصة) تشير لأمها من خارج غرفة الضيوف بالقدوم..

(أم حمد) تستأذن من (الخاطبة) وتذهب لابنتها..

(أم حمد): ما بك؟؟

(حصة) وهي تبتسم:

لقد وجدت الصورة لقد أحسن أخي الاختيار فعلًا..

(أم حمد) وهي تأخذ الصورة من يد ابنتها وتمعن النظر فيها:

فعلًا.. لكن لماذا ترفع الفتاة خمسة أصابع في الهواء؟

الشمس وحيدةٌ لأنها تحرق كل من يقترب منها وبرودُ القمرِ أحاطه بكل تلك النجوم..

أم اللهب حجرين من الصوان يطرقهما (نايف) لإشعال نار..

(ناصر) يجمع بعض الحطب الجاف المترامي حول خيمتهم..

القمر مكتمل والجو هادئ والريح تحمل نسمات باردة..

يجلس الاثنان أمام النار التي بدأت بالتهام الحطب..

(ناصر) وهو يجلس على الأرض:

بصراحة لا يوجد أجمل من التخييم في الصحراء والابتعاد عن ضوضاء المدينة (نايف) وهو يعد القهوة:

فعلًا فالهدوء هنا يجبرك على التفكير والتفكر في أمور كثيرة.

(ناصر): هل انتهيت من إعداد القهوة؟

(نايف) وهو يرفع الإبريق: بالطبع هل ترغب بفنجان؟

(ناصر) مبتسمًا: لا تسألني واسكب.

ضحك (نايف) وسكب ل(ناصر) وله بعضًا من القهوة العربية..

(ناصر) وهو يحتسي القهوة:

إتقانك في صنع القهوة يجعلني أغفر لك أمورًا كثيرة.

(نايف) وهو يضحك: مثل ماذا؟

(ناصر) وهو يبتسم ويحدق بالنجوم:

لا وقت لسرد هفواتك وحماقاتك دعنا نستمتع بالجو الآن.

صمت الاثنان وهما يتمعنان في النجوم والقمر تارة وفي لهب النار تارة أخرى..

(نايف): بالرغم من أننا في الشتاء إلا أنني أشعر بالدفء!

(ناصر) وهو يضحك:

ألا ترى ما تلبسه؟.. لم يبقَ جزءٌ من جسمك إلا وغطيته.. يا رجل لقد لبست خزانة ملابسك كلها.. فِراء وقفازات وغطاء للرأس والأذنين، أعطيتني إحساس أننا في أحد الأقطاب المتجمدة.

(نايف) وهو يضحك: ولا تنسَ النار..

(ناصر): آه نعم.. النار.

(نايف) وهو يبتسم: ما بها النار؟.. هل حركت قريحتك لتسمعنا شيئًا من كتاباتك؟

(ناصر) وهو يحدق بالنار المشتعلة:

مهما قلت فيها لن أوفيها حقها.

(نايف) وهو يضحك:

لأول مرة أسمع شخصًا يتغزل في النار..

(ناصر) مبتسمًا:

ولمَ لا أتغزل بها؟ فهي تملك من مقومات الجمال الكثير..

(نايف) وهو يضحك:

أعوذ بالله لو سمعتك جدتي لضربتك على رأسك.

(ناصر) مبتسمًا باستغراب: لماذا..؟

(نايف) وهو يسكب لنفسه فنجان من القهوة:

كانت دائمًا تحذرنا منها.

(ناصر) وهو يمد فنجانه ل(نايف):

ربما كانت تقصد نار جهنم.

(نايف) وهو يسكب ل(ناصر) بعض القهوة:

لا كانت تقصد نار الدنيا.. كانت تسميها (أم اللهب) وكانت تحذرنا منها دائما.

(ناصر) وهو يضحك:

الأمر لا يتعدى نصائح وقائية لا تختلف عن نصائح المطافئ.

(نايف) وهو يبتسم ويقلب النار بعود من الحطب:

أنت لا تفهم..

(ناصر) وهو يضحك:

أفهمني إذًا يا (أبا لهب).

(نايف) وهو يبتسم: اسمع إذًا، كانت جدتي تخبرنا دائمًا بأن النار تسمع.. تسمع كل أحاديثنا وتفهمها لكنها عاجزة عن التواصل معنا لذلك تجند أبناءها من الشياطين الذين خلقوا منها كي يغوونا عن الصراط المستقيم لينتهي المطاف بنا إليها لتأكلنا..

(ناصر) وهو يضحك بصوت مرتفع:

ألم أخبرك أنها تقصد نار جهنم.. على الأرجح أنها كانت تريدكم أن تحافظوا على الصلاة وعقولكم البطيئة لم تكن لتستوعب النصيحة إلا بهذا الفيلم المرعب (نايف) وهو يبتسم ويقلب النار: ربما.

(ناصر): هل بردت القهوة؟

(نايف) وهو يضع يده على الإبريق: نعم.

(ناصر) وهو يضحك:

ضعها على (أم اللهب) كي تسخن!

(نايف) وهو يبتسم:

يبدو أنك ستعيرني بهذه القصة طويلًا (ناصر) وهو يضحك:

لا لا أبدًا قصة جدتك ولو أنها خيالية لكن هدفها نبيل فأنا لم أرَك تفوت الصلاة أبدًا (نايف): لم تنتهِ القصة..

(ناصر) وهو يضحك: ماذا تبقى منها؟

(نايف) وهو يبتسم ويصب لنفسه بعض القهوة:

لن أخبرك فسوف تعيرني مدى الحياة.

(ناصر) وهو يضحك: أعدك بأن لا أفعل، أكمل أكمل..

(نايف): حسنًا.. قالت جدتي رحمها الله أن من يتحدث مع النار وكأنها شخص منصت له، قد يجد ردًا منها، وهذا الأمر حدث لأمها كما أخبرتنا، فقد كانت في شبابها تتحدث معها كل يوم وكأنها صديقة لها.. تشكي لها همومها وتحكي لها عن يومها وإذا بها يومًا ترد عليها.

(ناصر) وهو يحاول كظم ضحكاته:

وماذا قالت لها؟

(نايف) وهو يبتسم:

لا أعرف.. ولن أكمل القصة.

(ناصر) وهو يضحك: لا لا أرجوك أكملها..

(نايف) وهو يقلب النار بعود الحطب ويبتسم:

لم يعد هناك تكملة انتهت القصة.

(ناصر) وهو يبتسم: حسنًا لن أضغط عليك أكثر..

صمت الاثنان لفترة احتسيا فيها القهوة التي أعادا تسخينها..

(ناصر): لقد خطرت في بالي فكرة..

(نايف): ماهي؟

(ناصر): سأتحدث مع (أم اللهب)!

(نايف): ألم تنتهِ من الضحك علي؟

(ناصر): لا أنا جاد في ما أقول.

(نايف): تتحدث معها كيف؟

(ناصر): ألم تقل بأنها ترد على من يتحدث معها؟

(نايف): جدتي قالت وليس أنا!

(ناصر) وهو يبتسم: سأحاول التحدث معها ببعض العبارات.

(نايف): مادام الأمر سيكون من كلماتك يمكنك التحدث معها كما تشاء؛ فأنا لا أعرف لسانا يصف الكلمات بعذوبة مثلك.

(ناصر) وهو يبتسم: هل تقترح أن أتغزل بها؟

(نايف): تغزل إذا كان ذلك سيحرك قريحتك.

(ناصر) وهو يعتدل في جلسته ليكون أمام النار:

ضع المزيد من الحطب أريد أن تكون النار أكثر توهجًا (نايف) وهو يرمي بقطعة حطب على النار: هل ستتغزل أم ستحضر جن؟

(ناصر) وهو يحدق بالنار:

اصمت كي لا تقطع تركيزي..

(نايف) وهو يبتسم ويسكب لنفسه فنجانًا من القهوة:

تفضل أتحفنا..

(ناصر) وهو يحدق بألسنة اللهب المتراقصة وبعد صمت استمر دقائق:

لهب اللهب.. جمالٌ عجب..

ترقص طرب لصوت الغضب..

رماد الغضى.. ظلام الأبد..

ترمي إلى.. عذاب الولد..

(نايف) وهو ينظر ل(ناصر) باستغراب:

ما بك.. ماذا تقول؟.. لا تبدو طبيعيًا يستمر (ناصر) محدقًا بالنار دون أن يرد على صاحبه:

شهاب نزل.. عين رصد..

مات أحد.. عاشت بلد..

جلد يهب.. سيل الشهد..

أم اللهب.. حان الوجد..

(نايف) وهو يضحك:

ما هذه الهرطقات؟!

(ناصر) وهو فاغر فمه ويحدق في النار:

لم يكن أنا من تحدث.. كان الكلام يخرج بالرغم عني..

(نايف) وهو يضحك: لا يوجد غيرنا هنا!

(ناصر) وهو يلتفت إلى (نايف) بتوتر:

صدقني لم يكن أنا من تكلم!

(نايف) باستغراب: ماذا تقصد؟.. من الذي تحدث إذًا؟

(صوت أنثوي قادمٌ من وسط النار):

أحسنت أيها الشاعر.. استدعاء متقن قفز الاثنان ووقفا مرعوبين وابتعدا بضع خطوات من النار فعاود الصوت الحديث:

ما بكما؟.. لا تخافا.. اقتربا..

اقترب الاثنان بحذر من النار وجلسا في أماكنهما..

(النار): ارمِ لي قطعة حطب أخرى قبل أن أنطفئ..

نظر الاثنان لبعضهما باستغراب يخالطه القلق والرعب ولم ينطقا بكلمة..

(النار): هل سأنتظر طويلًا قبل أن تطعماني؟

أمسك (نايف) بقطعة من الحطب ورماها في النار بحذر..

(النار) وألسنتها تلتهم قطعة الحطب:

هذا أفضل.. يمكننا الحديث الآن لمدة أطول..

(ناصر) بتوتر: من أنتِ؟

(النار): أنا (أمُ اللهب)..

(نايف) بتوتر: (أم اللهب)!

(أم اللهب): نعم.. بجمرها ولهيبها..

(ناصر): وماذا تريدين؟

(أم اللهب): أريدك أنت وصاحبك..

(ناصر) بتوتر: ماذا تريدين منا؟

(أم اللهب): لقد ناديتماني وأجبتكما وحان الوقت لتطعماني حتى ولو بجسديكما..

(نايف) بتوتر: أرجوك اغفري لصاحبي كلامه وسامحينا..

(ناصر) بغضب: ما بك؟!.. هل ستخاف من هذه النار الضعيفة؟ أين إيمانك؟! كومة من الرمال أرميها الآن عليها وستخمد وتخرس للأبد.

صوت ضحكات كثيرة من النار وحولها..

(أم اللهب): اسمع أيها الشاعر.. لقد حكمت عليكما بالموت لكن لازال هناك أمل في الخلاص.

(ناصر) بغضب واستهزاء: لن تخيفيني بهذا الكلام!

(نايف) وهو يرتجف من الخوف:

أرجوك يا (ناصر) اخرس ولا تتسبب في موتنا.

(أم اللهب): استمع لكلام صاحبك أيها الشاعر.. لو خمدت ناري ستخمد حياتكما معي..

(ناصر) بغضب: وهل سنبقى هنا معك للأبد كي لا تخمدي؟!

(أم اللهب): حتى شروق الشمس فقط وبعدها سأخمد بنفسي ويمكنكما الرحيل..

نظر (ناصر) لصاحبه (نايف) والذي كان يرتعد من الخوف وهو يشير له بأن يوافق من أجله..

(ناصر): حسنًا سنجاريك فقط لأننا لا نريد المشاكل (أم اللهب): أنت من بحثت عنها..

(نايف) وهو متوتر وخائف:

ما المطلوب منا الآن يا (أم اللهب)..؟

(أم اللهب): أطعموني حتى الصباح وإذا خمدت ناري قبل ذلك ستموتون في الحال..

هرع (نايف) نحو كومة الحطب التي جمعوها سابقًا ورماها كلها في النار..

(ناصر) بصوت مرتفع: ماذا تفعل أيها المجنون؟!

(نايف) وهو يرتب الحطب الذي رماه على النار بتوتر:

يجب أن نطعم (أم اللهب).. يجب أن نطعم (أم اللهب)..

(ناصر): رفقا بالحطب فنحن لا نملك غيره والجو بارد جدًا (نايف) لم يبقَ على الفجر إلا ساعات معدودة وهذه الكمية ستكفي حتى الفجر..

جلس الاثنان يحدقان بالنار وهي تلتهم الحطب، وبعد نصف ساعة قال (ناصر):

هل يهيأ لي؟ أم أن النار تأكل الحطب بشكل أسرع من المعتاد؟

(نايف) بتوتر: نعم معك حق.

(ناصر): وما العمل الآن؟.. بهذا المعدل من الاحتراق النار ستخمد بعد قليل.

(نايف) وهو يلتفت يمينا وشمالًا بتوتر: يجب أن نحرق شيئًا آخرا (ناصر): مثل ماذا؟.. لا يمكننا جمع الحطب في الليل!

(نايف) بتوتر: حتى لو استطعنا فلن يسعفنا الوقت.. انظر للنار!

نظر (ناصر) للنار فوجد ألسنتها بدأت بالتناقص في طريقها لأن تخمد..

هرع (نايف) للسيارة وبدأ يخرج كل ما فيها من أوراق وأشياء يمكن حرقها ورماها في النار التي ما أن تلقت تلك الأشياء حتى بدأت بالتهامها بسرعة وبدأت ألسنتها بالارتفاع مرة أخرى..

لم ينتظر الاثنان خمود النار مرة أخرى؛ وبدآ بخلع مقاعد السيارة وتجهيزها للحرق في المرة القادمة التي تبدأ فيها النار بالخمود، ولم يكن انتظارهم طويلًا حتى بدأت ألسنة اللهب بالتناقص بعدما التهمت كل ما رمي فيها لذا بدأ الاثنان برمي مقاعد السيارة وأتبعوها لاحقًا بكل ما تبقى معهم من أشياء يمكن حرقها لكن تسارع الاحتراق كان أسرع بكثير من أن يجارياه.

(ناصر) وهو يحدق بالنار:

بقي على الفجر ساعتان ولم نعد نملك شيئًا لنحرقه (نايف): بقيت ملابسنا..

(ناصر): هل أنت مجنون؟ سنموت من البرد!

(نايف) وهو يخلع معظم ملابسه ويرميها في النار: ليس أمامنا خيار آخر (ناصر) بغضب: لن أخلع ملابسي وأطعمها لتلك النار!

(نايف) وهو يرتجف من البرد:

اخلع ملابسك وارمها في النار بسرعة!!

(ناصر) بغضب: لن أفعل!

(أم اللهب): أطعمني ملابس الشاعر وسوف أعتقك..

بعد سماع هذا الكلام اندفع (نايف) على (ناصر) وبدأ بالعراك معه؛ وهو يحاول خلع ملابسه، انتهى العراك بقتل (نايف) لصاحبه بعدما ضرب رأسه بصخرة على رأسه عندما كانا يتعاركان على الأرض..

بعد موت (ناصر) خلع (نايف) ملابسه ورماها في النار وهو يرتجف ويقول:

تفضلي يا (أم اللهب)..

(أم اللهب) وقد التهمت ملابس (ناصر) بسرعة:

أطعمني الشاعر أيضًا..

(نايف) وهو يحمل صاحبه باكيًا ويرميه في النار:

تفضلي يا (أم اللهب) أعتقيني الآن وسامحيني..

(أم اللهب): سوف أخمد الآن ولن أسلبك حياتك..

(نايف) مبتسمًا وهو يرتجف على الأرض معانقًا نفسه:

شكرًا.. شكرًا يا (أم اللهب)..

(أم اللهب) مع آخر وميض لها:

لقد عفوت عنك ولن أقتلك.. لكن أختي (زمهرير) لن تفعل ذلك..

جمالُ الوجهِ لا يخفِي قبحَ الروحِ..

عمل أبي مدرس للإنشاء والتعبير يطلب من طلابه فرضًا منزليًا..

طلب منهم التعبير بقطعة إنشائية لا تتجاوز الصفحة عن عمل أبيه..

جمع الأوراق في اليوم التالي..

أخذها معه للمنزل..

بدأ يقرأ فيها ويقيمها..

وقف أمام إحداها حائرًا..

عمل أبي.. بقلم الطالب (حمزة) دائمًا ماكنت أتساءل.. ما عمل أبي؟!

ما مصدر رزقه الذي يطعمني أنا وإخوتي منه..؟

لا أراه يخرج كبقية الآباء ليطلب الرزق.. بل أراه جالسٍا في المنزل والناس تأتيه من كل حدب وصوب..

أختلس النظر أحيانًا لأفهم.. ولا أفهم.

أراه يقرأ عليهم القرآن لكنه في خلوته يمتهنه.

أراه يمسح برفق على بعضهم وتارة أخرى يجلدهم بالعصي أو يحرقهم بالنار.

ما عمل أبي..؟!

لا يستحم أبدًا.. لكنه يتطيب كثيرًا.

ما عمل أبي..؟!

تركته أمي ونحن صغار وآخر جملة قالتها «سوف أهجرك بسبب عملك!» ما عمل أبي..؟!

رائحة المجلس مدخنة لكثرة البخور.. ورائحة أنفاسه كذلك.

ما عمل أبي..؟!

يرفض مصافحة النساء.. لكنه يلمسهن كثيرًا.

ما عمل أبي..؟!

الشرطة زارتنا اليوم.. امرأة مستاءة من شيء عمله لها أبي ما عمل أبي..؟!

يبصق كثيرًا في وجوه زواره.. ويبصق كذلك في الماء الذي يسقيهم!

ما عمل أبي..؟!

يهلل ويكبر في حضور الناس.. يسب ويلعن في خلوته بنا!

ما عمل أبي..؟!

أخبرني أبي اليوم بأني يجب أن أساعده في عمله ابتداء من الغد..

كيف أساعده، وأنا لا أعرف ما عمل أبي..؟!

هل يستطيع أحدٌ أن يخبرني.. ما عمل أبي..؟!

لن تستيقظَ من حياتِكَ حتى تنامَ..

حلم الحلم دائمًا كان لدي حلم أحلم به..

أن أحلم..

أن أحلم خلال نومي مرة واحدة..

يتعجب الناس ويستغربون عندما أخبرهم أني لم أحلم قط..

لا أرى عجبًا في ذلك لكنهم يصرون بأني لست طبيعيا..!

أتمنى يومًا أن أحكي أحلامي كما يفعل البعض.. أتمنى..!

كان (هاني) يحاور أحد أصدقائه ذات مرة بخصوص الأحلام، كان صديقه هذا يحلم دائمًا ويحكي له عن أحلامه ومغامراته الغريبة، خلال تلك الأحلام وكيف كان يطير مرة وكيف حكم العالم أو عاش كمغامر يطوف العالم في حلم آخر، أحس (هاني) أنه يبالغ أحيانًا؛ لكن ولأنه لم يجرب الأحلام من قبل كي يحكم لذا لم يمانع حديث صاحبه أو يعترض؛ فهذا العالم من وجهة نظره عالم محروم منه، وكلام صديقه كان نافذته الوحيدة التي تطل على ذلك العالم المجهول، خلال حواره أخبره صديقه بحل لمشكلة عقم أحلامه، قال له: إن الحل يكمن في التفكير بقوة والتركيز على أمر ما قبل النوم مباشرة وبهذه الطريقة سوف يحلم، جرب (هاني) طريقته عدة مرات لكنه لم يرَ سوى الظلام المعتم حتى خلال نومه حتى استيقظ.

خرج (هاني) يوما مع أبيه وحكى له معاناته فقال له:

هذه ليست مشكلة كبيرة يا بني..

(هاني): أعرف أن الأمر قد لا يستحق كل هذا الاهتمام لكن فاقد الشيء يتوق إليه من باب الفضول على الأقل؛ فهذه صفة وقد ترقى للرغبة أو الغريزة بالنسبة لي..

لا أعرف.. ربما كنت أبالغ لكن هذا ما أشعر به.

(والد هاني): لن تبقى عقيم الأحلام للأبد، فقد قابلت صديقًا قديمًا لي بالصدفة منذ أيام يعمل كطبيب نفسي وسأحكي له عن مشكلتك.

(هاني) مبتسما: شكرا يا أبي..

زار (هاني) الطبيب في نفس الأسبوع بعدما تحدث والده معه وجلس معه قرابة الساعة شرح له فيها أن ما يعاني منه ليس بنقمة بل البعض يراها نعمة فقال له:

كيف يكون فقدان الأحلام نعمة؟

(الطبيب): الأحلام سلاح ذو حدين (هاني): كيف؟

(الطبيب): هناك أحلام جميلة وهناك كوابيس، ونحن لا نختار أو نتحكم فيها أو أي منها سنشاهد..

(هاني): لا أحد يتحدث عن الكوابيس..

(الطبيب): لأنها مخيفة وأغلب الناس يريدون نسيانها..

(هاني): تبقى الأحلام جميلة وأرغب في تجربتها.

(الطبيب): هناك طريقة قد تنجح وقد تفشل لكني لا أضمن لك أحلامًا وردية، كل ما أستطيع ضمانه إن نجحت تلك الطريقة هو أنك سترى أحلامًا خلال نومك..

(هاني): وهذا ما أريده بالضبط.. لكن ما تلك الطريقة؟

(الطبيب): التنويم المغناطيسي.

(هاني): كيف سيساعدني ذلك؟

(الطبيب): استرخِ فقط وأغمض عينيك..

أغمض (هاني) عينيه وغطَّ بعد كلمات الطبيب في نوم عميق..

(هاني) وهو يستيقظ: هل انتهيت؟

(الطبيب): نعم انتهينا.

(هاني): هل نجحت الطريقة؟

(الطبيب): سنعرف ذلك في المرة القادمة التي تنام فيها.

خرج (هاني) من العيادة مع أبيه سعيدًا ومتحمسًا لأول حلم سيراه، ذهب للمنزل وقام بترتيب فراشه وتشغيل التكييف وتجهيز المكان بالرغم من أن العصر لا زال في أوله، لأول مرة كان (هاني) ينتظر حلول وقت نومه وكانت أمه تضحك عليه وتقول:

«الحمد لله على هذا الطبيب الذي بدل من حالك..» دقت الساعة التاسعة وحان موعد نوم (هاني)..

ذهب مسرعًا لفراشه..

استلقى فيه بعد إطفاء جميع الأنوار..

أغمض عينيه..

فتح عينيه وهو في فراشه..

وجد نور الشمس يخترق نافذته..

لم يحلم.. خيبة تعتريه.. خيبة حقيقية..

نهض (هاني) من فراشه وهو يسير نحو دورة المياه ليستعد للمدرسة فتح الباب وأدار الصنبور ليغسل وجهه، أغمض عينيه وأخذ حفنة من الماء البارد وبدأ يغسل وجهه، فتح عينيه وصعق من المنظر. رأى وجهه ملطخًا بالدماء، والماء الذي كان ينهمر من الصنبور أحمر اللون.. بدأ بالصراخ بقوة..

فتح عينيه وهو في فراشه..

وجد نور الشمس يخترق نافذته..

قال في نفسه:

«لقد كان مجرد حلم.. أو كابوس كما يسمونه.. لا أعرف..» نهض من فراشه وتوجه لدورة المياه ليستعد للمدرسة..

أدار الصنبور ليغسل وجهه..

لم تخرج أي دماء..

كان الماء صافيًا..

اغتسل وبدل ملابسه ونزل لتناول الإفطار مع عائلته..

جلس على المائدة حيث كان أبوه وأمه وأخته الكبرى قد سبقوه بتناول الطعام.. مد يده وأخذ قطعة من الخبز وقبل أن يضعها في فمه صرخت أخته وقالت:

ماذا تفعل؟!!

رمى القطعة من الخوف وقال لها بصوت عالٍ:

ما بك يا مجنونة؟!

عبست أخته وأخذت سكينًا من على الطاولة وغرستها في صدره بقوة..

فتح عينيه وهو في فراشه..

وجد نور الشمس يخترق نافذته..

قال في نفسه:

ما الذي يحدث لي؟.. هل أنا أحلم الآن؟

نهض من فراشه..

اغتسل..

بدل ملابسه..

نزل لتناول الإفطار..

جلس على المائدة..

مد يده وأخذ قطعة من الخبز وعينه على أخته..

لم تتحدث معه أو تنهره..

قال في نفسه: الحمد لله..

خرج (هاني) وركب السيارة مع أبيه كي يقله للمدرسة وخلال الطريق قال له:

هل تحقق حلمك وحلمت البارحة؟

(هاني) وهو يقضم أظافره:.. أعتقد..

(الأب) وهو يحيد بنظره عن الطريق وينظر ل(هاني):

ماذا تقصد.. هل حلمت أم لا..؟

(هاني) وهو يشير بإصبعه أمامه: انتبه يا أبي!!

اصطدموا بحافلة كبيرة كانت مسرعة نحوهم..

تهشم الزجاج..

لم يصب (هاني) بأذى..

أدار نظره نحو أبيه فوجده غارقًا في دمائه..

صرخ بقوة..

فتح عينيه وهو في فراشه..

وجد نور الشمس يخترق نافذته..

لم يتحرك..

سمع أمه تناديه..

نهض ولم يغسل وجهه..

نزل للطابق السفلي..

لم يجد سوى أمه على المائدة..

جلس معها وبدأ بتناول طعامه..

(هاني): أين أبي؟

(الأم): خرج (هاني): لماذا لم ينتظرني ليقلني للمدرسة؟

(الأم): كان مستعجلًا..

(هاني): وكيف سأذهب للمدرسة؟

(الأم) وهي تنهض من المائدة:

المدرسة قريبة يمكنك الذهاب مشيًا.

(هاني) وهو ينهض مستغربًا من كلام أمه: وداعًا يا أمي..

خرج (هاني) من المنزل وهو في حالة استغراب من حواره مع أمه ويقول في نفسه:

يبدو أنني في كابوس آخر وسينتهي بعد قليل..

وصل (هاني) للمدرسة وأكمل يومه الدراسي وعاد للمنزل ليجد أباه وأمه وأخته مجتمعين على مائدة الغداء يتناولون الطعام، انضم إليهم بهدوء ولم يتكلم.

(الأب): لماذا تأخرت اليوم؟

(هاني) وهو يتناول طعامه: لقد عدت مشيا فمن الطبيعي أن أتأخر!

(الأب): عندما تنتهي من طعامك أحضر لي صندوق الأدوات من القبو.

(هاني): لماذا؟

(الأب): أمك تريد مني إصلاح شيء ما.

(هاني): حاضر.

بعدما انتهى (هاني) من طعامه توجه مباشرة للقبو وبدأ بالبحث عن صندوق الأدوات وخلال بحثه في المكان المظلم نسبيًا صعق برؤية شيء أشبه بالقرد الأسود الصغير يقفز أمامه. تراجع (هاني) برعب وهو يحدق بذلك المخلوق الغريب الذي قال له بصوت أكثر رعبًا:

«إذا نزلت هنا مرة أخرى سوف أنتزع قلبك!!» فقد (هاني) وعيه بعدها مباشرة..

فتح عينيه وهو في فراشه..

وجد نور الشمس يخترق نافذته..

قال في نفسه مبتسمًا:

كان مجرد كابوس آخر..

نهض من فراشه..

اغتسل..

بدل ملابسه..

نزل لتناول الإفطار..

جلس على المائدة مع أهله..

(الأب): ماذا حدث لك بالأمس؟

(هاني) باستغراب: ماذا تقصد يا أبي؟

(الأم): لقد وجدناك مغميًا عليك في القبو وحملناك لفراشك ولم نطمئن حتى أخبرنا الطبيب أنك بخير.

(هاني) بوجه مرتعب:.. ألم يكن حلمًا؟

المبدعُ ما هو إلا مجنون لم يرفع عنه القلمُ..

خواطر خطرة يفجع الناس بوفاة أحد الأدباء المشهورين..

اشتهر بكتاباته النثرية والشعرية في الحب والغزل..

كانت له مؤلفات كثيرة في تلك المواضيع..

كتبه تربعت على قوائم الأكثر مبيعًا لسنوات حتى يوم وفاته..

زوجته الحزينة والتي تفتقده تقلب في أوراقه القديمة..

تجد مدونه كتبت بخط يده..

مدونه لم ترَها من قبل..

لمعت عيناها سعادة وحزن في نفس الوقت..

أحست أن الروح بعثت في زوجها من جديد..

احتضنت المدونة مشتاقة لقراءة من وقعت في حبه بسبب كلماته وعذوبة حرفه..

كانت المدونة مجموعة من السطور المتقطعة لأفكاره..

جلست في مكان هادئ وبدأت بالقراءة..

بعض محتوى المدونة:

.. أجمل صوت يمكنك سماعه هو ضحكات الأطفال.. إلا إذا كنت وحيدًا في المنزل..

.. الحديث مع النفس ممتع حتى ترد عليك..

.. أزور قبر أبي كل يوم.. لأخبره أن يتوقف عن زيارتي في المنام..

.. أكره الابتسام.. لكني لازلت أبتسم في الصور..

.. كلما بدأت استمتع بالوحدة سمعت طرقًا على الباب..

.. أقاوم الرغبة في إيذاء غيري بإيذاء نفسي..

.. أحرقت جميع ألعاب طفولتي لأنها لا تريد أن تصمت..

.. أسعد شخص في غرفة مليئة بالقتلى هو القاتل..

.. صوت صفير الرياح مخيف ومخيف أكثر عندما يكون داخل رأسك..

.. كلما حاولت إشعال سيجارة بعود ثقاب نفخها من كان معي..

.. لن أنتقدَ قوقعتك إذا لم تنتقدْ أجنحتي..

.. داخل كل منا طفل يرغب في الخروج ليلعب..

.. كنت أحب الابتسام للشخص الذي في المرآة حتى ابتسم يومًا قبلي..

.. اخترت أن أكون نباتيًا لأن لحوم البشر شحيحه..

.. صوت نقرات المطر على نافذتي يبهجني إلا إذا كانت السماء صافية..

.. لا أقفل الأبواب أبدًا لأنها لا تمنعهم من الدخول..

.. يتهموني بالنسيان.. كيف أخبرهم بأنني لست من يتحدث معهم دائمًا؟..

.. يدي تهتز وترتعش دائمًا إلا عندما أمسك سكينًا..

.. أصبحت أكره نور الشمس مؤخرًا.. مثلهم تمامًا..

.. الأمان وهم يغشينا وسراب نلاحقه..

.. لم يرزقني الله أطفالًا من صلبي ولكني محاط بأطفالهم رغمًا عني..

.. عدم إيمانك بشيء لن يحميك منه.. كدمات جسدي شاهدة على ذلك..

.. كنت دائمًا أقول إنه مجرد ظلي.. لكن حجتي تبددت عندما بدأ بالتحرك بدوني..

.. أحاول أن لا أنزعج من أحد لأن انزعاجي من جارنا يتم أطفاله..

.. تصلني رسائل كثيرة من القراء.. بديل جيد لحطب المدفأة..

.. الجميع يمتدح ما أطبخ.. لا أحد يتذمر من الطعام إذا لم يعرف محتواه..

أغلقت الزوجة المدونة بسرعة.. بأنفاس متسارعة ودموع متساقطة ولم تكملها وتوجهت للمطبخ وأحضرت عود ثقاب وأحرقتها..

بعضُ الأقرباءِ خيرُهم يعم الناسَ وشرهم يخصك..

مانيكان اتصال هاتفي..

(هدى) ترفع السماعة لتتلقى خبر وفاة عمتها الوحيدة..

تأثرت كثيرًا..

بكت طويلًا..

تلك العمة كانت عائلتها الوحيدة..

ربتها منذ وفاة والدها حتى كبرت واعتمدت على نفسها..

عمتها كانت تملك متجرًا لخياطة وبيع فساتين الأفراح..

وعدتها يومًا أن لا أحد سيهديها فستان زفافها غيرها..

(هدى) وهي تهاتف أعز صديقاتها:

لقد ماتت عمتي يا (رجاء)..

(رجاء): لا حول ولا قوة إلا بالله.. رحمها الله وغفر لها.

(هدى) وهي تبكي:

لا أعرف ماذا أفعل.. فالمستشفى اتصلوا بي وطلبوا مني القدوم لاستلام جثتها.

(رجاء): لا تقلقي سأتصل بأخي كي يأتي معنا لإنهاء إجراءاتها دُفنت العمة وأقيم لها عزاء متواضع لأن معارفها كانوا محدودين ولم يحضر عزاؤها إلا القليل من أصدقائها وبعض زبائنها المقربين منها..

(هدى) وهي تودع صاحبتها في مكان العزاء:

شكرًا يا رجاء على مساعدتك لي فلولاكِ لما عرفت كيف اتصرف في مثل هذا الموقف؟!

(رجاء) وهي تبتسم وتدمع: لا تقولي هذا الكلام فنحن أخوات والعمة رحمها الله كانت عزيزة علي بقدر معزتك فهي من أهداني فستان زفافي..

(هدى) تبكي بصمت..

انتهت أيام العزاء وعاد الجميع لممارسة حياتهم الطبيعية، وبعد عدة أيام تلقَّت (هدى) اتصالًا من محامي عمتها يخبرها فيه بأنه يرغب في مقابلتها كي يسوي معها أمور ممتلكات عمتها، توجهت (هدى) في اليوم التالي لمكتب المحامي وفهمت منه أنها الوريث الوحيد لعمتها وأن جميع ممتلكاتها أصبحت لها وأن هذه الممتلكات هي متجرها ومنزلها ورصيد متواضع في البنك، طلبت (هدى) من المحامي بالتبرع بجميع هذه الممتلكات للجمعيات الخيرية باسم عمتها وأنها لا ترغب في شيء منها لنفسها. ابتسم المحامي وقال:

يبدو أن عمتك كانت تعرفك جيدًا..

(هدى) باستغراب: ماذا تقصد؟

(المحامي): هناك بند في الوصية يقول:

في حال قرر المستفيد الوحيد التبرع بالتركة للجمعيات الخيرية فيجب عليه أن لا يتصرف في محتويات المتجر بالكامل من فساتين وأدوات وغيرها إلا بالإهداء أو الاستخدام الشخصي.

(هدى): ما معنى هذا الكلام؟

(المحامي): معنى ذلك أننا سننفذ طلبك في التصرف في جميع أملاكها لكن محتويات المتجر يجب أن تستلميها بنفسك.

(هدى): هذه قطع ومواد كثيرة ولا أملك مكانا لها.

(المحامي): هذا ما أوصت به عمتك.

(هدى) وهي تقف: لا بأس سأحترم وصيتها الأخيرة.

(المحامي) وهو يمد بعض المفاتيح:

هذه مفاتيح المتجر والمستودع الخاص به عندما تفرغينه بالكامل أخبريني كي أبدأ في إجراءات البيع.

(هدى) وهي تأخذ المفاتيح: شكرًا لك.

(المحامي) وهو يمد قلمًا:

أحتاج توقيعك هنا على توكيلي بالبيع (هدى) وهي توقع التوكيل: هل تحتاج شيئًا آخر؟

(المحامي): لا شكرًا آنسة (هدى) خرجت (هدى) من مكتب المحامي وأجرت اتصالًا هاتفيًا..

(هدى): (رجاء)؟.. أحتاجك في أمر ما.

(رجاء): ما الأمر؟

(هدى): هل يمكنك مقابلتي الآن عند متجر عمتي رحمها الله؟

(رجاء): بالطبع.. سأطلب من أخي أن يوصلني.

التقى الاثنان أمام متجر عمة (هدى) السابق ووقفا لبرهة يحدقون في اللوحة التي كتب عليها:

((أفراح للأبد)) زفرت (هدى) وفتحت المحل بالمفتاح الذي أخذته من المحامي..

دخلت الاثنتان وتجولتا في صمت بين الفساتين والخيوط والإبر، لفت نظر (هدى) فستان جميل كان مختلفًا عن بقية فساتين المحل الأخرى، كانت تلبسه إحدى مجسمات العرض والتي تسمى بالمانيكان، اقتربت منه ووجدت ورقة مثبتة بدبوس صغير على ظهره، كانت الورقة تقول:

((الفستان ليس للبيع)) اقتربت (رجاء) من (هدى) وهي تقرأ الرسالة وقالت: ما بك؟

(هدى) وعينها تدمع: هذا هو الفستان الذي وعدتني عمتي به في يوم زفافي.

(رجاء) وهي تضع يدها على كتف (هدى): رحمها الله.

(هدى) وهي تمسح دمعتها بظهر يدها:

هيا لنبدأ بترتيب المكان وجمع الحاجيات كي ننقلها لمنزلي.

(رجاء) بابتسامة يخالطها الحزن: هيا.

بعد ساعات من العمل انتهت الاثنتان من فرز وتصفيف الحاجيات في صناديق كبيرة كانوا قد طلبوا من أخي (رجاء) إحضارها لهن سابقًا..

(هدى) وهي تشرب بعض الماء:

لم أتوقع أن الأمر سوف يستغرق كل هذا الوقت..

(رجاء) وهي تأخذ الماء من (هدى) لتأخذ رشفةً منه:

المهم أننا انتهينا.. سأتصل بأخي كي يأتي ومعه سيارة النقل.

(هدى) وهي تنظر لكومة الحاجيات: لا أظن أن شقتي الصغيرة ستتسع لكل هذا.

(رجاء): لا تقلقي سوف أخذ ما يتبقى منهم عندما تمتلئ شقتك.

(هدى) وهي تعانق صديقتها مبتسمة: شكرًا يا (رجاء) (رجاء): لا تشكريني فأنتِ كنتِ ستقومين بنفس الشيء معي.

وصلت سيارة النقل وركبت الاثنتان مع أخي (رجاء) سيارته وتبعته سيارة النقل بعدما انتهت من تحميل جميع الحاجيات، بعد وصولهم وإنزالهم جزء من الحمولة في شقة (هدى) ودعت (رجاء) صاحبتها وقالت:

سوف نذهب الآن ونخزن بقية الحاجيات في منزلنا..

(هدى): أنا محرجة منكما..

(رجاء) وهي تضحك: لا تكوني سخيفة فمنزلنا كبير ويتسع لها وأكثر.

رحلت (رجاء) مع أخيها ولحقت بهما سيارة النقل..

أمضت (هدى) تلك الليلة في ترتيب وتوزيع وتخزين تلك القطع في أرجاء شقتها وعند انتهائها من ترتيبها عند منتصف الليل لم تجد بينها فستانها الذي فصلته عمتها لها فرفعت سماعة الهاتف واتصلت ب(رجاء):

أعتذر يا (رجاء) على الاتصال في هذه الساعة المتأخرة لكن يبدو أن العمال قد نقلوا فستاني مع الحاجيات التي أخذتموها معكم.

(رجاء): غريبة لم أرَ الفستان بينها عندما قمنا بتخزين الأغراض.

(هدى): كيف؟.. أنا لم أجده عندي كذلك.

(رجاء): لا تقلقي أنا متأكدة أنه عند أحد منا.

(هدى): سأبحث مرة أخرى ولكن من الصعب عدم ملاحظته لأنني أمرت العمال بنقله مع المانيكان ولم أخلع الفستان من عليه.

(رجاء): لاحظت أن بين الأغراض التي خزناها أربعة مانيكانات لكني لم أتفحصهم لأن أخي من نقلهم وخزنهم في القبو.. سأتفقدهم الآن.

(هدى): شكرًا (رجاء) أتعبتك معي.

(رجاء): لا تكوني سخيفة.. انتظري مني اتصال بعد قليل.

أغلقت (هدى) الخط وعادت تتفقد القطع التي خزنتها بالرغم من تأكدها أنها لم تخزن سوى الملابس والأدوات وأنها لم ترَ مانيكانًا بينها وخلال بحثها صعقت عندما رأت المانيكان الذي كان يلبس فستانها عاريًا دون الفستان وكان يقف عند مدخل شقتها من الداخل. اقتربت منه بحذر وقبل أن تضع يدها عليه ارتعبت مرة أخرى وصرخت بسبب رنة هاتفها. أجابت (هدى) على الهاتف بتوتر:

(هدى):.. نعم؟

(رجاء): لقد وجدت فستانك بين الحاجيات التي خزنها أخي في القبو (هدى) بتوتر وعينها على المانيكان الواقف أمامها:

وأين المانيكان الذي كان الفستان معروضًا عليه؟

(رجاء): لا أعرف فقد وجدت الفستان على الأرض وكأنه قد خلع.. لكني لم أجد المانيكان الذي كان يلبسه بين المانكينات الأخرى مع أن أخي أكد لي أنه خزن أربعة منها لكني لا أرى سوى ثلاثة (هدى) بتوتر: حسنًا.. شكرًا يا (رجاء) وعذرًا مرة أخرى على إزعاجك في هذه الساعة المتأخرة.

(رجاء): لا يوجد إزعاج يا عزيزتي.. تصبحين على خير أغلقت (هدى) الهاتف ولم ترفع عينها من على المانيكان الواقف عند مدخل شقتها. توجهت نحوه بحذر وحملته ووضعته في خزانة ملابسها وأغلقت عليه لأنها لم تكن لتستطيع النوم وهو عند المدخل، توجهت بعد ذلك لفراشها بالرغم من توترها الذي لم يهدأ إلا قليلًا لكنها تدريجيا خلدت للنوم وتجاهلت ذلك القلق.

استيقظت (هدى) متأخرة ذلك اليوم، نظرت للساعة لتجدها قد قاربت الواحدة بعد الظهر. نهضت بكسل وتوجهت لدورة المياه. أخذت حمامًا طويلا خرجت بعدها وتمددت على الفراش مرة أخرى، بدأت تحدق بالخزانة التي وضعت فيها المانيكان. انقطع تحديقها برنة الهاتف، أجابت وهي لازالت تحدق بالخزانة:

.. نعم؟

(رجاء): كيف حالك؟.. لقد وجدت المانكيان الرابع لقد كان في أحد زوايا القبو يبدو أني لم أنتبه له ليلة البارحة.. أحببت أن أطمئنك فقط (هدى) وصدمة كبيرة على وجهها وعينها تحدق بتوتر في الحزانة:

حسنًا.. شكرًا أغلقت (هدى) الخط ونهضت بهدوء وهي تتوجه نحو الخزانة..

وضعت يدها على مقبض الخزانة ودقات قلبها تخفق بشدة. استجمعت قواها وفتحت الخزانة بسرعة خاطفة لتجد أن المانيكان ليس في مكانه.

ارتبكت (هدى) وتناولت هاتفها واتصلت ب(رجاء)..

استمر الاتصال حتى انقطع ولم ترفع (رجاء) السماعة. كررت (هدى) الاتصال عدة مرات حتى أجابت وقد بدا صوتها وكأنها للتو استيقظت من النوم فقالت لها:

.. (رجاء)؟.. لمَ صوتك هكذا؟

(رجاء) وهي تتثاءب:

ماذا تتوقعين من شخص استيقظ للتو من منامه؟

(هدى) باستغراب: لقد تحدثت معك للتو!

(رجاء): مستحيل.. أنا لم أمسك هاتفي منذ أن خلدت للنوم البارحة لأنني كنت متعبة جدًا من تحميل أغراض المتجر.

(هدى) بخوف وقلق: متى خلدتي للنوم البارحة؟

(رجاء): لا أعرف تحديدًا.. مباشرة بعد انتهائي من الحديث معك بعد منتصف الليل على ما أعتقد ولم أستيقظ الا على اتصالك الأن (هدى):...

(رجاء): أين أنت هل لا زلتِ على الخط؟

(هدى): نعم نعم.. أراكِ لاحقًا.

(رجاء): حسنًا.. إلى اللقاء..

أغلقت (هدى) الخط وعلى وجهها ارتسمت نظرة تعجب كبيرة وهي تسترجع محادثتها مع (رجاء) ليلة البارحة وخلال تفكيرها رن هاتفها فأجابته:

(هدى):.. نعم؟

(المحامي): كيف حالك آنسة (هدى)؟

(هدى): الحمد لله (المحامي): اتصلت بكِ كي أخبرك أنني في المتجر أقوم بعرضه على بعض المهتمين بشرائه (هدى): شكرًا لقد اتعبتك معي.

(المحامي): لا بأس فهذا عملي لكن لدي سؤال (هدى): تفضل (المحامي): لماذا لم تفرغي المتجر بالكامل من الأغراض التي كانت فيه؟

(هدى): ماذا تقصد؟.. لقد أفرغته من محتوياته بالكامل.

(المحامي): نعم يمكنني رؤية ذلك لكن يبدو أنكِ نسيتِ شيئًا.

(هدى): ماذا تعني؟

(المحامي): يوجد مانيكان في وسط المتجر.

(هدى) وهي مصدومة:....

(المحامي): آنسة (هدى).. آنسة (هدى)..!

(هدى):.. نعم.. هل يمكن أن أطلب منك خدمة بعد إذنك؟

(المحامي): نعم تفضلي.

(هدى): هل يمكن أن تحضر لي هذ المانيكان لمنزلي؟.. أعرف أني سأثقل عليك لكنني أحتاجه.

(المحامي): لا أبدًا آنسة (هدى) سوف أحضره معي بمجرد انتهائي من هنا.

(هدى): شكرًا لك..

أغلقت (هدى) الهاتف واتصلت فورًا ب(رجاء) وقالت لها:

هل يمكنك الحضور لشقتي الآن؟

(رجاء): الآن؟

(هدى): نعم وأريدك أن تحضري معك بعض الأشياء.

(رجاء): أشياء ماذا؟

بعد نصف ساعة حضرت (رجاء) لشقة (هدى) وطرقت الباب ففتحت لها لتجد المانيكان في وسط الشقة، دخلت الشقة ووضعت الكيس الذي يحتوي على الأغراض التي طلبتها (هدى) على الأرض وقالت:

لماذا كنتِ تسألين عن المانيكان وهو موجود عندك؟

(هدى) وهي ترفع الكيس: لقد أحضره المحامي من المستودع (رجاء) باستغراب: المحامي؟.. لا أذكر اننا نسينا شيئًا في المستودع (هدى) وهي تفتح الكيس وتنظر بداخله: هل أحضرتِ كل شيء؟

(رجاء) وهي تنظر لصديقتها باستغراب: نعم.. لكن ما حاجتك لهذه الأشياء؟

(هدى) وهي تخرج حبلًا من الكيس: تعالي وعاونيني على ربط هذا المانيكان.

(رجاء) وهي تبتسم: ربطه؟.. لماذا؟.. هل تظنين بأنه سيهرب؟

(هدى) وهي تربط المانيكان: سنرى!

(رجاء) وهي تنظر لصاحبتها باستغراب: هل أنتِ جادة؟

(هدى) وهي تربط آخر عقدة على المانيكان:

سنرى الآن إذا كان يستطيع الحراك أم لا.

(رجاء) باستغراب: عن ماذا تتحدثين؟

(هدى): هل يمكنك البقاء عندي اليوم والمبيت معي؟

(رجاء): نعم لكن ألن تخبريني عن سبب ما تقومين به؟

(هدى) وهي تحدق بالمانيكان: سأخبرك الليلة..

(رجاء) وهي تخرج هاتفها من حقيبتها:

سأتصل بأهلي لأخبرهم بأني سأمضي الليلة معك.

حلَّ الليل وأخبرت (هدى) صديقتها عن شكوكها التي تساورها حول ذلك المانيكان، وأنها تعتقد أنه يتحرك ويتنقل من مكان لآخر..

(رجاء): ما هذا الكلام الغريب؟

(هدى): لقد وضعته في الخزانة وسنرى (رجاء) باستغراب: نرى ماذا؟

(هدى): لنخلد للنوم وفي الصباح سترين!

نامت الاثنتان تلك الليلة بعد سهرهما في الحديث عن الموضوع وخلال نومهما وبعد منتصف الليل سمعا صوتًا أشبه بسقوط شيء داخل الخزانة فاستيقظتا مفزوعتين..

(رجاء) بتوتر: ما هذا الصوت؟

(هدى) وعينها على الخزانة التي وضعت المانكيان بها: إنه يحاول الحركة.

(رجاء) وهي تلتفت على صديقتها بتوتر: من؟!.. من يحاول الحركة؟!

(هدى) وهي تنهض متوجهة للخزانة: سترين الآن.

فتحت (هدى) الخزانة أمام صديقتها لتجد المانيكان مربوطًا كما هو..

(رجاء) باستهزاء: ماذا تريدين مني أن أرى؟

(هدى) وهي تنظر للمانيكان باستغراب: غريبة.

(رجاء): ما الغريب في الأمر؟

(هدى) وهي تنظر للمانيكان:...

(رجاء): ماذا كنتِ تتوقعين؟.. أن المانيكان سيتحرك من مكانه!

(هدى) وهي تنظر للمانيكان:.. هل أحضرتِ الولاعة التي طلبتها منك مع الحبل؟

(رجاء) وهي تمد يدها داخل حقيبتها: نعم لكن لماذا؟

(هدى) وهي تأخذ الولاعة من (رجاء) وتشعلها وتقربها من وجه المانيكان:

لا أعرف لكني سأجرب..

(رجاء): ماذا تفعلين يا مجنونة سوف تحرقيننا جميعًا عندما يشتعل ذلك المانيكان!

(هدى) وهي تحرك لهب الولاعة أمام وجه المانيكان:

لا تقلقي لن تسمح لنا بأن نحرقها..

(رجاء) وهي تنهض من مكانها: توقفي عن هذا الجنون!

(هدى) وهي تلتفت نحو صديقتها مبتسمة وتبقي على لهب الولاعة أمام وجه المانيكان: لا تقلقي لن يحدث شيء..

(رجاء) وهي تشير بإصبعها نحو المانيكان: لقد.. لقد رمش!

(هدى) وهي تعيد نظرها نحو المانيكان: هل أنتِ متأكدة؟

(رجاء) وهي مرعوبة: نعم.. نعم متأكدة.

(هدى) وهي تضع لهب الولاعة أمام وجه المانيكان وتتفحص وجهه:...

في أقل من ثانية نفخ المانيكان لهب الولاعة مما دفع الفتيات للصراخ بقوة داخل الغرفة المظلمة وخلال صراخهم توجهت (هدى) لقابس النور وأشعلته لترى أن الدولاب خاوي وأن المانيكان قد اختفى..

حدقت الفتيات ببعضهما برعب وانقطع تحديقهما عندما رن هاتف (رجاء)..

(رجاء) وهي تنظر للهاتف بتوتر: إنه أخي..

(هدى) بقلق: أجيبي عليه.

(رجاء) وهي تجيب: آلو.. نعم.. ماذا؟!

(هدى) بصوت منخفض: ما بك ما الذي حدث؟

(رجاء) وهي تغلق الخط وسارحة في الدولاب الفارغ:

أخي يسألني عن سبب وضعي للمانيكان داخل دورة المياه..

عندما تقتنعُ بنقصِك ستصل للكمالِ..

ثلج (جمال).. كفيف منذ الولادة..

علاقته بكل شيء حوله كانت من خلال السمع واللمس والشم فقط..

يسكن وحيدًا بعدما تزوجت أخته الوحيدة (نسرين)..

زياراتها له كانت متكررة لكنها لم تكن منتظمة..

دخلت عليه يومًا ومعها هدية..

(نسرين): كيف حالك يا أخي اليوم؟

(جمال): الحمد لله.. افتقدتك.. لم تزوريني منذ مدة طويلة!

(نسرين) وهي تجلس بجانبه:

أعتذر يا أخي لكنني كنت مشغولة جدًا في الفترة السابقة مع زوجي وأطفالي (جمال): كان الله في عونك..

(نسرين) وهي تبتسم: لقد أحضرت لكَ هدية معي.

(جمال) وهو يبتسم: زيارتك لي هي أجمل هدية.

(نسرين): افتح ذراعيك سأضعها في حجرك.

فتح (جمال) ذراعيه ليمسك الهدية التي أحضرتها أخته وما إن وضعتها حتى أحس بكائن يتحرك وله فراء كثيف وبدأ يلعق وجهه..

(جمال) مبتسمًا وقد استوعب أنه حيوان ما:

هل أحضرتِ أحد أبنائك ليروا خالهم؟

(نسرين) وهي تضحك:

كف عن المزاح أنت كفيف لكنك لست أحمقًا.

(جمال) مبتسمًا: لا أظنه قطًا فهو أكبر ويتحرك كثيرًا..

(نسرين) مبتسمة: إنه كلب صغير.. سيكون مؤنسًا لك في وحدتك.

(جمال) وهو يضع الكلب جانبًا:

هل تمزحين يا (نسرين)؟.. أنا بالكاد أعتني بنفسي كيف سأعتني بهذا الحيوان؟

(نسرين) وهي تضع يدها على كتف أخيها:

أنت أكثر إنسان منظم رأيته في حياتي.. منزلك أكثر ترتيبًا ونظافة من منزلي فقدانك لبصرك لم يجعلك ناقصًا بل كان سببًا لكمالك.

(جمال) وهو يبتسم: في نظرك أنتِ فقط..

(نسرين) بحزم: في نظر الجميع.

(جمال) وهو يبحث حوله: أين الكلب؟

(نسرين) وهي تبتسم: بجانبك.

وضع (جمال) يده على رأس الكلب وبدأ يفركه...

(نسرين): لقد اشتريت كمية كافية من الطعام للكلب ووضعتها في المطبخ وسوف أشتري غيرها عندما تنفذ.. الكمية التي معك تكفي لشهر تقريبًا.

(جمال) وهو يطبطب على رأس الكلب:

وهل تنوين الغياب لشهر كامل؟

(نسرين) وهي تبتسم: لا تكن سخيفًا لن أطيل الغياب.

(جمال): سأسميه (ثلج) (نسرين) باستغراب: (ثلج)؟.. ولماذا هذا الاسم بالذات؟

(جمال): لأني أحب الثلج بأنواعه وأحب ملمسه على جلدي والإحساس الذي يشعرني به.

(نسرين): حسنًا اختيار موفق.. (ثلج) اسم جميل.

رحلت (نسرين) وتركت أخاها مع صديقه الجديد الذي تأقلم معه بسرعة وأصبحت علاقتهم مع مرور الأيام قوية جدًا.

لاحظت (نسرين) في زيارتها الثانية تغير حال أخيها للأفضل ولا حظت أيضًا أن معظم كلامه كان عن (ثلج)، وعن ماذا فعل وماذا أكل وعن أمور كثيرة، كان يتحدث عنه بشغف كبير، لم تمانع بل كانت سعيدة جدًا لأخيها، قبل رحيلها بقليل قال (جمال):

لقد حدث شيء بالأمس جعلني أقلق على (ثلج).

(نسرين) بقلق: ماذا حدث؟

(جمال): البارحة كان يصدر صوتًا وكأنه يتألم.. كنت في فراشي نائمًا واستيقظت بسبب صوته وقمت بمناداته لكنه لم يستجب لي!

(نسرين): لا تقلق لعله آذى نفسه بشيء وتألم لفترة قصيرة ثم إنه الآن أمامنا يقفز ويلعب ولا يبدو عليه المرض.

(جمال): أتمنى..

رحلت (نسرين) ذلك اليوم وفي نفس اليوم زار (جمال) أحد أصدقائه المقربين الذي كان مسافرًا للدراسة فاستقبله (جمال) بحفاوة وفرح:

(جمال): كيف حالك يا (حسن) لم أرك منذ زمن طويل!

(حسن) وهو يضحك: أنت لم ترَني أبدًا أيها الكفيف!

(جمال) وهو يضحك: لا زال حسك الفكاهي كما هو لم يتغير.

بقي (حسن) مع (جمال) ذلك اليوم وتناول معه الغداء وبعد انتهائهما قال:

ما هذا الكلب الذي يحوم حولنا منذ قدومي؟

(جمال) وهو يلتقط الكلب:

هذا صديقي الجديد (ثلج) كان يجب أن أبحث عن صديق يشابهك في غيابك ضحك (حسن) بقوة وقال:

يبدو أنك تمثل على الناس بأنك كفيف فالكلب أبيض كالثلج فعلًا!

(جمال): هل تصدق أني لم أعرف لونه إلا منك الآن؟ لكنني أحسست بأنه أبيض اللون.

(حسن) وهو مبتسم: يبدو لطيفًا.. يجب أن أرحل الآن..

(جمال): متى ستنتهي إجازتك؟

(حسن): إجازتي لم يتبقَ عليها سوى أسبوع، لكنني بالتأكيد سأزورك قبل رحيلي (جمال) وهو يبتسم: سعدت كثيرًا بزيارتك يا صديقي.

(حسن) وهو يضحك ويعانق صاحبه: أنا أسعد يا أبا (ثلج).

ضحك (جمال) وقال: رافقتك السلامة.

بعد أيام زارت (نسرين) أخاها كما تعودت وخلال حديثها معه قالت:

أين (ثلج) اليوم؟

(جمال) مبتسمًا: تجدينه يلعب في أحد الغرف.. هل ترغبين مني مناداته؟

(نسرين): لا لكن ما هذه الرائحة النتنة يا (جمال)؟.. هل نسيت رمي القمامة؟

(جمال): لا أعرف مصدرها فلقد نظفت البيت بالكامل ولا زالت الرائحة قوية!

(نسرين): ربما لم تنظف مخلفات (ثلج).

(جمال): بالعكس فأنا أنظفها على الدوام ثم إنه لا يقضي حاجته إلا في مكان معين ولم يغيره منذ قدومه.

(نسرين): من أين تأتي تلك الرائحة إذا؟

(جمال): لا أعرف..

(نسرين): هل تسمح لي بتفقد المكان؟

(جمال): بالطبع ما هذا السؤال؟.. البيت بيتك.

نهضت (نسرين) وبدأت تتجول في المنزل بحثًا عن مصدر الرائحة، لم تتجول كثيرًا حتى وقعت عينها على سقف إحدى غرف المنزل والذي تغطى بالدماء وبعض قطع اللحم والفراء التي جفت.

اقتربت (نسرين) من هذا المنظر المخيف وتأكدت أنه مصدر تلك الرائحة النتنة. زاد قلقها عندما لاحظت أن قطع الفراء الملتصقة بالسقف تشبه فراء (ثلج) فعادت لأخيها مسرعة وقالت بتوتر:

منذ متى وأنت تشم هذه الرائحة يا (جمال)؟

(جمال): منذ أيام.. لماذا تسألين هل وجدتي مصدرها؟

(نسرين) بتوتر: أين (ثلج)؟

(جمال) وهو يبتسم: موجود.. (ثلج)!.. (ثلج)!.. تعال هنا!

دب الرعب في قلب (نسرين) وهي تسمع نباحًا قادمًا من أحد الغرف يتبعه خطوات قادمة نحوهما، وضعت (نسرين) يدها على فمها تحاول كتم صرخة اعترتها وهي تحدق بكائن أسود بشع قزم شبه بشري يدخل الغرفة ماشيًا على قوائمه الأربعة ويقفز في حجر أخيها بسرعة ويبدأ بلعق وجهه ويحدق فيها بأعين حمراء وابتسامه مخيفة..

(جمال) وهو يطبب على رأس الكائن الغريب ويبتسم:

هل رأيتي؟..(ثلج) لا يستغني عني أبدًا..

العينُ ترى والقلبُ يفسرُ والعقلُ يشكك..

ممنوع التصوير شاب في السادسة عشر من عمره..

يعشق هواية التصوير الفوتوغرافي..

لم يؤمن يومًا بالتصوير الرقمي..

كان يحب التقاط صورًا للطبيعة بشكل عام..

يلتقط صورًا لما يشد انتباهه..

كرَّس معظم أمواله في صيانة تلك الكاميرا القديمة..

عاد الشاب يومًا من رحلة تصوير في الصحراء وكعادته بدأ بتحميض الصور بالطريقة القديمة في غرفة مظلمة باستخدام محاليل الإظهار القلوية، علَّق الشاب الصور على حبل كي تجف وتدريجيًا بدأت الصور بالظهور..

الصورة الأولى: كثبان رملية.

الصورة الثانية: طائر في السماء.

الصورة الثالثة: عشبة برية.

الصورة الرابعة: هضبة رملية كبيرة.

الصورة الخامسة: جمل يسير في الصحراء.

الصورة السادسة: صورة لسيارته التقطها قبل رحيله من المكان.

الصورة السابعة: صورة لأحد الإشارات المرورية التقطها وهو عائد للمنزل.

الصورة الثامنة: صورة لأخيه وهو يلعب في الشارع أمام المنزل.

الصورة التاسعة: صورة لأمه وهي في المطبخ.

الصورة العاشرة: صورة لنفسه أمام المرآة.

لم تكن الصور واضحة في البداية لذا انتظر الشاب جميع الصور المعلقة كي تجف بالكامل، بعد أن جفت أشعل النور كي يمعن فيها النظر أكثر، استغرب الشاب عندما رأى الصورة الأولى لكن مع تصفحه للصور الأخرى تحول استغرابه لخوف ورعب..

الصورة الأولى: كثبان رملية يقف فوقها جسم أسود كجسم إنسان!

الصورة الثانية: طائر في السماء بجانبه غيمة سوداء وكأن لها أرجل!

الصورة الثالثة: عشبة برية.

الصورة الرابعة: هضبة رملية كبيرة يظهر فيها جسم أسود ملامحه أوضح قليلًا!

الصورة الخامسة: جمل يسير في الصحراء ويركب فوقه جسم أسود وكأنه إنسان!

الصورة السادسة: صورة لسيارته التقطها قبل رحيله من المكان.

الصورة السابعة: صورة لأحد الإشارات المرورية التقطها وهو عائد للمنزل.

الصورة الثامنة: صورة لأخيه وهو يلعب في الشارع أمام المنزل ويقف بجانبه نفس الجسم الاسود!

الصورة التاسعة: صورة لأمه وهي تطبخ.

الصورة العاشرة: صورة لنفسه وهو مقابل للمرآة وخلفه رجل أسود يبتسم بابتسامة عريضة!

الكلام أحيانًا قد يكون منجاةً لكن الصمت نادرًا ما يكون مهلكةً..

العباءة سائق شاحنة للبضائع..

ينقل البضائع بين دولتين ذهابًا وإيابًا..

يعمل ليلًا ونهارًا.. لا يرتاح إلا ساعات محدودة في اليوم..

أغلب أوقات قيادته كانت في الليل..

كان السائق يستأنس خلال طريقه الطويل بإيصال بعض الركاب بين الدولتين وأحيانًا بين المدن في نفس الدولة. لم يكن يتقاضى مالًا في المقابل لأنه كان يرى أن حديثهم معه خلال الطريق خير مكافأة له فهم يساعدونه على التغلب على النعاس والنوم الذي قد يعرض حياته للخطر.

أغلب من كان يقلهم السائق ودودون وممتنون له في الغالب لأنه سيوصلهم لوجهتهم دون مقابل، لكن من وقت لآخر يركب معه بعض الركاب الفظين الذين لا يتحملهم في العادة لذا يقوم بإنزالهم في منتصف الطريق دون تردد.

كل الركاب الذين ركبوا معه في السابق كانوا ذكورًا، ولم تركب معه امرأة قط لأن حدوث هذا الأمر نادر جدًا في تلك المنطقة وفي ذلك الطريق المعزول وغير مأهول الذي يقطعه كل يوم، تغير هذا الأمر في إحدى الليالي التي كان يقود فيها شاحنته في منتصف الليل والقمر مكتمل، شاهد على قارعة الطريق الصحراوي الذي كان يقطعه امرأة تلوح وتشير بيدها له بالوقوف، كانت تلبس عباءة سوداء ولم يكن يظهر منها شيئ حتى عينيها وكفيها كانا غير ظاهرين. تردد الرجل في البداية بالوقوف لها لعدة أسباب أولها أنه شعر بالخوف كونها مغطاة بهذا الشكل فقد تكون قاطع طريق متخفيا أو أنها تخفي سلاحًا تحت تلك العباءة، لكنه في النهاية فضل الوقوف لها على أن يكون مخطئًا ويترك تلك المرأة في وسط الصحراء ليلًا وحدها.

بعد توقف الشاحنة فتحت المرأة الباب وصعدت وجلست بجانب السائق، لم يكن المكان يتسع إلا لثلاثة أشخاص لذا كان بينه وبينها مكان بمقدار كرسي واحد.

تحرك الرجل واستأنف طريقه. بعد دقائق من تحركه قال:

الى أين تريدين الذهاب يا سيدتي؟

(المرأة) وهي ممسكة بخمارها وتنظر أمامها:...

أعاد الرجل السؤال مرتين لكنه لم يحصل على جواب. في العادة وفي مثل هذه الظروف يقوم السائق بإنزال الراكب فورًا لكنه سكت هذه المرة واستمر في القيادة.

بعد مسيرة قاربت النصف ساعة سادها الصمت نطقت المرأة وقالت:

توقف..

السائق وهو لا زال يقود:.. ماذا؟

(المرأة): توقف..

أوقف الرجل الشاحنة وبمجرد وقوفها كليًا نزلت المرأة وتركت الباب خلفها مفتوحا وسارت نحو الصحراء..

(السائق) وهو ينزل من الشاحنة:

إلى أين؟!... توقفي!.. لا يوجد شيء في هذا المكان!

لم تلتفت المرأة للرجل وتدريجيًا اختفت عن أنظاره وسط الصحراء..

بدأ السائق ينظر بالاتجاه الذي مشت فيه المرأة يحاول تحديد الوجهة التي سارت إليها لكنه لم يرَ بنيانًا أو خيامًا، لم يجد سوى الرمال والكثبان على مد بصره لكن وبعد تفكير مطول قرر الرجل اللحاق بها، لم تكن هذه من عادة السائق ففي الغالب لم يكن ليهتم لمثل هذا الأمر وكان سيتركها وسيمضي في طريقه لكن هذه المرة تملكه شعور قوي ورغبة غريبة للاطمئنان على تلك المرأة.

سار الرجل مسافة ليست باليسيرة حتى اختفت شاحنته عن أنظاره ولم يكن يرى إلا بواسطة نور القمر المكتمل تلك الليل، سار لمسافة أطول بعد اختفاء شاحنته عن أنظاره وتوقف عند شيء غريب، رأى الرجل قطعة من القماش الأسود يتلاعب بها الهواء، كانت تتحرك في مكانها وكأن جزءًا منها مدفون تحت الأرض، جرى الرجل باتجاه قطعة القماش وبدأ بالحفر بسرعة وشيئًا فشيئًا بدأت معالم جسد تظهر من تحت الرمال. لقد كان جسد امرأة وعندما حفر الرجل أكثر وأظهر وجه ذلك الجسد صرخت المرأة صرخة قوية جدًا في وجه الرجل مما جعله يقفز فزعًا ويجري باتجاه شاحنته بلا عودة.

ومنذ ذلك اليوم لم يُقِلَّ الرجل أحدًا معه خلال سفره..

لا تضحي لأحد لاتثق بتضحيته لك..

الغريق الذي لا يغرق شاب في عقده الثاني من العمر..

يركب سيارة أجرة متوجهًا نحو مدينة ساحلية على الضفة الغربية للبحر الأحمر..

سائق السيارة رجل عجوز قليل الكلام..

يسأله الشاب بعض الأسئلة كي يسلي نفسه خلال الطريق..

العجوز يجيب بتحفظ دائمًا..

أحد الأسئلة ضربت وترًا حساسًا عند العجوز..

(الشاب): المدينة التي سأذهب اليها مدينة جميلة جدًا.

(السائق العجوز):...

(الشاب) وهو يبتسم:

أذهب إليها مرة كل شهر كي أستمتع بجولاتها البحرية فهذه المدينة مشهورة بها.

(السائق العجوز):...

(الشاب): لا يوجد أجمل من البحر في هذا الوقت من السنة..

(السائق العجوز): ولا يوجد أخطر منه..

(الشاب) مبتسمًا وهو سعيد بانحلال عقدة لسان العجوز: لماذا تقول هذا الكلام؟

(السائق العجوز) وهو ممسكٌ بمقود السيارة وينظر أمامه:

قبل أن أصبح سائق أجرة كنت أسكن تلك المدينة وأملك قارب سياحي أقوم بتلك الرحلات البحرية التي تتحدث عنها.

(الشاب) مبتسما: ولماذا تركتها؟ العائد المادي لجولة واحدة يعادل دخل سيارة الأجرة لأسبوع.

(السائق العجوز): لقد بعت القارب واشتريت هذه السيارة ولم أعد منذ تلك الحادثة (الشاب) باستغراب: أي حادثة؟

(السائق العجوز):...

(الشاب): ألن تخبرني؟

(السائق العجوز): لقد توقفت عن رواية تلك القصة منذ زمن طويل.. لقد سئمت تكذيب الناس لي!

(الشاب) مبتسما: لا تقلق لن أكذبك.

(السائق العجوز) وهو يحكم قبضته على المقود:...

(الشاب) وهو ينظر للسائق في ترقب:..

(السائق العجوز): لقد كانوا أربعة.. أربعة شبان.. في عمرك تقريبًا.. طلبوا مني أخذهم لمكان في عرض البحر.. كان المكان بعيدًا جدًا لكنهم أصروا عليه بالرغم من أني عرضت عليهم أماكن أخرى.. أغروني بالمال فوافقت..

(الشاب): وماذا حدث بعد ذلك..؟

(السائق العجوز): كانوا من هواة الغطس وكانوا فيما يبدو يبحثون عن أماكن جديدة لممارسة تلك الهواية، أحضروا معهم خرائط وأجهزة غريبة لم أرَها من قبل وكانوا يرشدوني طيلة الطريق للوجه التي يرغبون الوصول إليها، بعد مسافة سير طويلة لم أقطعها من قبل أمروني بالتوقف وبدؤوا بلبس أدوات الغطس وواحدًا تلو الآخر بدؤوا بالغطس في الماء، كان الوقت في بداية العصر وقد بقوا في الماء حتى بدأت الشمس في الغروب، وقبل غروب الشمس تماما بدؤوا بالخروج من الماء وقبل تشغيلي محرك القارب للعودة سمعنا صوت استغاثة يأتي من الماء..

(الشاب): هل كان أحد الشبان؟

(السائق العجوز): لا فكلهم قد صعد على متن القارب.. لقد كان صوت امرأة تستغيث.. كانت تصرخ طالبة النجدة.. كانت تقول إنها تغرق.. حدق الشبان في البحر حتى أشار أحدهم وقال إنه يراها. كانت تلوح بيدها وتغطس وتطفو وكأنها ستغرق. قفز أحدهم وبدأ بالسباحة نحوها.

(الشاب): وماذا حدث بعدما أنقذها؟

(السائق العجوز): لم ينقذها ولم نره مرة أخرى والمرأة لازالت تصرخ وتستنجد.

(الشاب): وماذا حدث بعد ذلك؟

(السائق العجوز): قفز شاب آخر وكما حدث مع صاحبه اختفى ولم يعد والمرأة لا زالت تصرخ وتستنجد. قبل محاولة الشاب الثالث القفز أوقفته وقلت له إن تلك المرأة لو كانت ستغرق لغرقت منذ فترة طويلة فنظر لي باستغراب وقال:

ماذا تقصد؟

أخبرته أني أملك كشافًا قويًا على القارب وسوف أشعله باتجاه تلك المرأة، وقتها كان الليل قد حل والظلام كان دامسًا ولم يكن هناك في البحر سوى صرخات تلك المرأة المستنجدة.

(الشاب):...

(السائق العجوز): أشعلت الكشاف باتجاه صوت المرأة وعندها فقط رأينا شكلها، توقفت المرأة عن الصراخ والتلويح وبدأت تحدق بنا بنظرة مخيفة، كانت امرأة طبيعية الشكل لكن عيناها كانتا مختلفة قليلًا..

(الشاب) بتوتر: مختلفة كيف؟

(السائق العجوز):لا أعرف.. ربما لأنها كانت تحدق بنا بخبث.. أحسست أنها واسعة أكثر من المعتاد ويغلب عليها السواد كأعين الدمى.. لم نرَ أثرًا للشابين اللذين قفزا وراءها وبعد مدة من تحديقنا بها وتحديقها بنا بصمت، ابتسمت وكشفت عن أنيابها المخيفة وبسرعة خاطفة غطست في الماء ورأينا ذيلها يغطس خلفها.

(الشاب): ذيلها؟!

(السائق العجوز): لو لم يؤكد الشابان الآخران ما رأيته لقلت أني كنت أتوهم.. نعم ذيلها.. ذيل كذيل السمكة.. لكنه كان كبيرًا متناسقًا مع حجم جسدها.

(الشاب): هل تحاول أن تخبرني أنك رأيت حورية بحرية؟

(الشاب العجوز): لا أعرف ماذا رأيت كل ما أعرفه أنني لم أدخل البحر منذ تلك الحادثة ولن أدخله مرة أخرى مهما حدث.

(الشاب):...

(السائق العجوز) وهو يوقف السيارة: لقد وصلنا..

(الشاب):...

(السائق العجوز):

ما بك؟.. ألن تنزل؟

(الشاب) وهو ينظر للبحر: أعدني لمدينتي..

اغماض عينك لن يحميك من الأصوات..

حارس الموتى شاب يقدم أوراقه لأحد مكاتب التوظيف..

يتلقى اتصالا منهم بعد شهر..

يعرضون عليه وظيفة براتب مغرٍ..

أوقات العمل في الليل.. يزوده المكتب بالعنوان.. (مقبرة المدينة)..

يتوجه الشاب بسيارته ليلًا لمقر عمله الجديد..

أوقف الشاب سيارته عند سور المقبرة، ونزل منها وتوجه لغرفة كانت مجاورة لبوابتها الرئيسية وقد كانت من الحديد ومقفلة بقفل كبير نسبيًا، طرق الشاب باب المكتب الخارجي ففتح له شاب متجهم في نفس عمره تقريبًا وقال له:

من أنت؟

(الشاب): أنا (مازن) الموظف الجديد..

تغيرت ملامح الشاب الآخر من العبوس إلى سعادة شديدة، ورحب ب(مازن) ترحيبًا كبيرًا وأدخله الغرفة التي كانت عبارة عن مكتب لإدارة المقبرة. جلس الاثنان وتحدثا:

(الشاب) وهو مبتسم ابتسامة عريضة:

أنا (خليل) الحارس هنا.. أنت الحارس الجديد كما أخبرتني أليس كذلك؟

(مازن) مستغربًا سعادة الحارس: نعم..

(خليل) وهو يفتح أحد الأدراج ويخرج بعض الأوراق مبتسمًا:

تفضل.. وقع هنا.

(مازن): أوقع على ماذا؟

(خليل) مبتسمًا: على عقد توظيفك (مازن): هل تحتاج المقبرة حارسين؟

(خليل) مبتسمًا: وقع أولًا ثم سأخبرك.

(مازن) وقد بدأ بالارتياب: هل يمكنني الاستفسار عن مهام عملي أولًا؟

(خليل) وهو يصفع بالأوراق على سطح المكتب بغضب: هل تريد الوظيفة أم لا؟!

(مازن) باستغراب:...

(خليل) وهو يشعل سيجارة: أعتذر.. لم أعد أطيق هذا المكان.. لقد قدمت استقالتي أكثر من مرة لكن عقدي ينص على أنه لابد من وجود بديل وإلا دفعت غرامة مالية كبيرة.

(مازن): ألهذا كنت متلهفًا كي أوقع؟

(خليل) وهو ينفخ سحابة من الدخان: نعم..

(مازن): هل يمكنك إطفاء السيجارة فأنا لا أحب رائحة الدخان.

(خليل) وهو يطفئ السيجارة ويضحك بخفة:

ولا أنا.. لم أبدأ بالتدخين إلا عندما قبلت بهذه الوظيفة.

(مازن): هل الأمر بهذا السوء؟

(خليل): لا أعرف.. ربما لا أصلح لمثل هذه الأعمال.

(مازن): أعطني الأوراق.

(خليل): لماذا؟

(مازن): سأقبل بالوظيفة.

(خليل): هل أنت متأكد؟

(مازن): نعم فالراتب مغري وأنا بحاجة للمال وقد مللت من تعيير الناس لي بعدم الاعتماد على نفسي والعمل.

(خليل) وهو يناول (مازن) الأوراق: تذكر أنك لا تستطيع الاستقالة دون أن يتوظف غيرك كبديل والوظيفة لن تطرح إلا بطلب خطي منك ترسله لهذا العنوان المكتوب في أسفل العقد.

(مازن) وهو يوقع العقد: متى يمكنني أن أبدأ؟

(خليل): من الغد لكن اليوم سأعطيك جولة تعريفية بالمكان.

(مازن) وهو يمد الأوراق ل(خليل) بعدما قام بتوقيعها: تفضل.

أخذ (خليل) الأوراق من يد (مازن) ووضعها في ظرف ثم نهض وقال:

سوف أرسلها للإدارة الرئيسية كي يعتمدوا تعيينك.. تعال معي.

تحرك (خليل) نحو البوابة الحديدية وأخرج سلسلة من المفاتيح وأدخل إحداها داخل القفل وقال:

سوف يكون معك أربعة مفاتيح.. واحدٌ منها للبوابة الرئيسية والثاني للمكتب الذي كنا فيه والثالث لدورة المياه..

قاطعه (مازن) وقال له:

لم أرَ دورة مياه في المكتب.

(خليل) وهو يدفع البوابة الكبيرة ليفتحها:

دورة المياه ليست هنا..

(مازن): أين إذًا؟

(خليل) وهو يشير بإصبعه الى آخر المقبرة: هناك (مازن) وهو يحدق في الظلام: أين؟

(خليل) وهو يبتسم: تعال معي وستراها.

سار الاثنان داخل المقبرة والتي انتشرت فيها القبور وبعض الشجيرات البسيطة..

(خليل) وهو يمشي بين القبور مع (مازن):

القبور هنا مقسمة إلى ثلاثة أقسام.. الجهة الشمالية لقبور النساء والشرقية للأطفال دون العاشرة وبقية المقبرة للرجال.

(مازن): ولماذا هذا التقسيم الغريب؟

(خليل): لا تسألني لأن الحارس الذي كان قبلي لم يعرف كذلك.

(مازن):...

(خليل): أنت لن تكون مسؤولا عن أي من إجراءات الدفن فهذه وظيفة شخص آخر يبدأ عمله في الصباح بعد انتهاء فترة عملك.

(مازن): ومتى تنتهي فترة عملي؟

(خليل): عملك سوف يكون يوميًا من السادسة مساءً حتى السادسة صباحًا (مازن): ومن يحرس المقبرة في الفترة الصباحية؟

(خليل): نفس الشخص المسؤول عن الدفن..

(مازن):...

(خليل): ها قد وصلنا نظر (مازن) بعد مسيرة مئتي متر تقريبًا لغرفة صغيرة مظلمة وبابها بلا قفل. نظر داخلها فلم يرَ شيئًا. أشعل (خليل) نورها بقابس كان موجودًا بالخارج، كان النور ضعيفًا وزاد ضعفه عندما اندفعت بعض الحشرات الليلية وبدأت ترتطم بالمصباح وتحدث نقرات خفيفة.

(مازن): ما هذه الغرفة؟

(خليل): ألا ترى المرحاض؟.. إنها دورة المياه (مازن) باستغراب: ولمَ هي مهملة بهذا الشكل؟

(خليل) وهو يطفئ نور دورة المياه:

لنعد الآن فالبوابة بلا حراسة خلال مسيرة العودة سأل (مازن) (خليل) وقال له:

لم تخبرني عن المفتاح الرابع..

(خليل): عندما نصل للبوابة سأخبرك وصل الاثنان للبوابة الرئيسية وبعدما أغلقها (خليل) بالمفتاح، توجه الاثنان ودخلا غرفة الحارس وجلسا وقام (خليل) بوضع ماء في السخان وكبس على زر التشغيل وجلس يحدق بها وهي تغلي الماء و(مازن) يحدق فيه مستغربًا لتحديقه في السخان لكنه لم يقاطع تركيزه بالتحدث معه وبقي صامتًا.

بدأ الماء بالغليان وبدأ بعد ذلك (خليل) بإعداد بعض القهوة وقال ل(مازن):

كم ملعقة من السكر تريد؟

(مازن) وهو سارح في الماء المغلي: لا أعرف.. كما تشاء (خليل) وهو يسكب الماء الساخن في الأكواب:

سلبيتك هذه ستوقعك في المشاكل..

(مازن) وهو يدير نظره نحو (خليل): ماذا تقصد؟

(خليل) وهو يضع قدح القهوة أمام (مازن):

لا يوجد شيء اسمه «لا أعرف» أو «كما تشاء» يجب أن تعرف دائمًا ما تريد.

(مازن): وهو يتناول قدح القهوة بيده:

و ما الفرق؟.. الحياة لا تأتي لي بالجديد.

(خليل) وهو يحتسي قهوته:

هنا تكمن مشكلتك فالحياة لن تسعى خلفك أبدًا، أنت من يجب أن يسخرها تحت أقدامه..

(مازن) وهو يأخذ رشفة من كوب القهوة: الكلام سهل..

(خليل): والفعل أسهل..

(مازن):...

(خليل) وهو يشعل سيجارة:

لم يبقَ شيء يمكنني إخبارك عنه، يمكنك الرحيل والعودة غدًا في السادسة كي تستلم عملك بشكل رسمي.

(مازن) وهو يهم بالنهوض: شكرًا على وقتك أراك غدًا بإذن الله.

(خليل) وهو ينفخ سحابة من الدخان في الهواء: انتظر.

(مازن): ما الأمر؟

(خليل) وهو يضرب بسبابته رأس سيجارته ويحدق بها:

هناك بعض النصائح التي أعطاني إياها الحارس الذي كان قبلي وجدتها مفيدة بعد مضي فترة من الزمن على وجودي هنا.

(مازن): لا أحتاجها.

(خليل) وهو يبتسم بهدوء: سبحان الله..

(مازن): ما بك؟

(خليل): كان هذا نفس ردي عليه تماما..

(مازن):...

(خليل) وهو يحدق ببوابة المقبرة الرئيسية:

على أي حال سأقوم بما قام به الحارس السابق معي وسأكتب لك تلك النصائح على ورقة وسأتركها لك على سطح المكتب.. أتمنى أن لا تحتاجها كما احتجتها أنا (مازن) وهو يخرج من المكتب: كما تشاء.. شكرًا على أي حال.

ركب (مازن) سيارته وقادها بعيدًا عن سور المقبرة متوجهًا لمنزله وخلال قيادته اتصل من هاتفه المحمول على أعز أصدقائه (ياسر) وأخبره عن وظيفته الجديدة:

(ياسر): مبروك على وظيفتك الجديدة أتمنى أن لا تمل منها وتتركها مثلما حدث مع وظيفتك السابقة.

(مازن) وهو يضحك:

لم يتركوا لي خيار فشروط العقد صارمة وسوف أغرم بمبلغ ضخم إن فعلت (ياسر) وهو يضحك:

هذا أفضل فأنت شخص مستهتر وقد تتركهم في أي لحظة.

(مازن): لم أتعلم الاستهتار إلا منك.

(ياسر): وأين مقر عملك الجديد؟

(مازن): حارس لأحد مقابر المدينة.

(ياسر) وهو يضحك بشدة: لا تمزح معي أخبرني الحقيقة!

(مازن): أنا لا أمزح معك لقد توظفت كحارس لمقبرة المدينة الثالثة الواقعة عند المخرج الأول من الطريق العام.

(ياسر) باستغراب: ولماذا تقبل مثل هذا العمل؟

(مازن): وما المشكلة في ذلك؟.. عمل شريف والراتب مُغْرٍ جدًا (ياسر): لا أظن أن هناك مبلغًا يجبرك للعمل كحارس مقبرة خاصة وأن مؤهلاتك العلمية تخولك للعمل في وظيفة أفضل من ذلك بكثير..

(مازن): هل تعرف كم سأتقاضى في الشهر مقابل هذا العمل؟

(ياسر) باستهزاء: كم؟

أخبر (مازن) صديقه عن المبلغ الذي سيتقاضاه كراتب شهري للعمل كحارس للمقبرة فقال له وهو يضحك:

ألا يوجد وظيفة كمساعد حارس للمقبرة بنفس الأجر؟

(مازن) وهو يضحك بشدة: كنت أظن أنه عمل لا يليق بك.

(ياسر) وهو يضحك:

بمثل هذا الأجر سوف أعمل كجليسة للأطفال الموتى وليس كحارس فقط.

(مازن) وهو يضحك:

لقد وصلت للمنزل الآن يجب أن أنال قسط كافيًا من الراحة كي أبدأ العمل غدًا.

(ياسر): متى ستبدأ العمل؟

(مازن): من السادسة مساءً حتى السادسة صباحًا (ياسر) وهو يضحك: هل الزيارة مسموحة؟

(مازن): بالطبع.. أحتاج شخصًا مثلك كي يسليني خلال ليلتي الأولى.

(ياسر): سأحاول أن أُعرج عليك خلال تلك الفترة.

(مازن): حسنًا سأكون في انتظارك.. إلى اللقاء.

(ياسر): مع السلامة.

أغلق (مازن) الخط وتوجه لمنزله لكنه لم يستطع النوم وبقي مستيقظًا حتى ساعة متأخرة من الفجر. في اليوم التالي وفي السادسة مساءً حضر (مازن) للمقبرة وركن سيارته بالقرب من السور وترجل

عنها متوجهًا لغرفة الحارس ليجد (خليل) بانتظاره يناوله المفاتيح ونسخة من العقد بعدما أرسل الأصل للشركة وقبل رحيله قال (مازن):

نسيت أن تخبرني بأمر المفتاح الرابع..

(خليل) وهو يركب سيارته التي كانت واقفة بجانب السور:

هذا مفتاح الخزانة وبها مسدس للحالات الطارئة فقط.

(مازن) مستغربًا: ولمَ أحتاج مسدسًا؟.. هل هناك شيء لم تخبرني به؟

(خليل) وهو يدير محرك سيارته ويطل من نافذة السيارة:

أنا لم أستخدمه قط فهو موجود للطوارئ فقط لا تقلق..

بعد هذه الجملة انطلق (خليل) بسيارته مبتعدًا عن سور المقبرة..

عاد (مازن) للمكتب ووجد الورقة التي أخبره (خليل) أنه سيتركها على سطح مكتبه. لم يفتحها وبدأ بإعادة ترتيب المكان..

بعد ساعتين من الجلوس بملل غفت عين (مازن) بعدما أسند ظهره للجدار لكنه أفاق على صوت طرق خفيف لم يعرف مصدره، فتح (مازن) عينيه ووجهها نحو أدراج المكتب الذي أمامه، فتح الدرج الأول فوجده خاويًا، فتح الدرج الثاني فوجد كشافًا يدويًا صغيرًا، فتح الدرج الثالث فوجد مفكرة صغيرة.

أخذ المفكرة وبدأ يتصفحها..

كانت المفكرة مليئة بالأرقام والتواريخ ولم يكن بها كلام كثير عدا بعض العبارات المتفرقة مثل:

«ليلة أخرى مثل التي سبقتها..» «لا وجود للظلام فهو مجرد غياب للنور..» «لن أرد عليهم..» «النساء أكثر إزعاجًا من غيرهم حتى في مماتهم..» قاطع قراءة (مازن) للمفكرة صوت غريب. كان الصوت أشبه بشيء سقط داخل المقبرة، وضع (مازن) المفكرة جانبًا وتوجه للبوابة الرئيسية والتي كانت مغلقة، وقف أمامها لفترة ولم يسمع صوتًا آخر فقرر العودة للمكتب لكنه وبمجرد إدارته لظهره سمع صوتًا آخر.

الصوت كان طرقًا قويًا وشديدا على البوابة من الداخل، وقف (مازن) مرعوبًا وهو يشاهد البوابة وهي تهتز وترتجف من قوة الطرق، بعد طرق استمر لأقل من دقيقة عاد الهدوء يعم المكان، بقي يحدق بالبوابة بفم مفتوح ولم يقوَ على الحراك، بعد قليل استجمع (مازن) قواه وعاد للمكتب وجلس

وبدأ يفكر في الصوت الذي سمعه وخلال تفكيره ارتسمت ملامح الحيرة والاستغراب على وجهه وقبل أن يسترسل في أفكاره سمع صوت صراخ امرأة قادمٌ من المقبرة.

نهض (مازن) من مكانه مفزوعًا لكنه لم يتحرك.. توقف الصراخ بمجرد وقوفه.. بقي متسمرًا في مكانه وعيناه تحدق في بوابة المقبرة.. انقطع تحديق (مازن) عندما دخل عليه فتى صغير لم يتجاوز السابعة وابتسم له وقال:

هل يمكن يا سيدي أن تساعدني في استعادة كرتي؟

(مازن) وهو متوتر: أي كرة؟.. من أنت ومن أين أتيت؟

(الفتى) وهو يبتسم: كنت ألعب بالقرب من هنا بكرتي وركلتها بقوة فوق سور المقبرة وأرغب في استعادتها.

(مازن) وقد تحول قلقه لخوف:

ما الذي أتى بك لهذا المكان وفي هذه الساعة؟

(الفتى) وقد بدا الحزن على وجهه: أريد كرتي..

(مازن) وقد تجهم قليلًا: اذهب من هنا!

(الفتى) وقد بدأ بالبكاء: أريد كرتي!

(مازن) وقد بدا عليه القلق من صوت البكاء الذي بدأ بالتزايد:

حسنا حسنا لكن توقف عن البكاء.

(الفتى) وقد توقف عن البكاء بسرعة خاطفة وحدق ب(مازن) مبتسما والدموع لم تجف من على خده ويشير بإصبعه لبوابة المقبرة:

افتح الباب..

(مازن) وهو يخرج المفاتيح من جيبه بتوتر: اتبعني توجه (مازن) لبوابة المقبرة وأخرج المفاتيح وهم بفتح الباب وهو يقول:

ابقَ هنا وسوف أخرج كرتك في الحال..

لم يرد (الفتى) على (مازن) الذي كان قد بدأ يدير القفل بالمفتاح..

التفت وراءه قبل فتح القفل بالكامل لكنه توقف عندما لم يرَ الفتى خلفه، لم يكمل (مازن) فتح القفل وعاد مسرعًا للمكتب بحثًا عن الفتى لكنه لم يجد له أي أثر، وقف في المكتب مستغربًا وقد بدأ يشك أنه رأى الفتى من الأساس، جلس على مكتبه وبدأ بتصفح جريدة قديمة كانت ملقاه على الطاولة أمامه، لم يمضِ وقت طويل على تصفحه للجريدة حتى سمع صوت امرأة تناديه من وراء سور المقبرة؛ كان النداء فيه نبرة قلق واستغاثة:

هل هناك أحد؟.. أرجوك ساعدني!

توجه (مازن) لبوابة المقبرة الكبيرة ووقف عندها وقال: من هناك؟

(المرأة): الحمد لله.. أرجوك ساعدني!

(مازن): من أنتِ وكيف دخلتي للمقبرة؟

(المرأة): أرجوك افتح لي الباب كي أخرج فالمكان هنا مخيف!

(مازن) بقلق: أخبريني قبلها من أنت وكيف دخلتِ إلى هنا؟

(المرأة):...

(مازن) وهو يضع أذنه على بوابة المقبرة الحديدية الباردة:

أين أنتَ؟.. لماذا لا تردين؟

(المرأة) وهي تضرب الباب بشدة وبصوت غليظ تقول: افتح الباب!!

(مازن) وهو يتراجع بسرعة مرعوبًا مما سمع:

من أنتِ وماذا تريدين؟!

استمر الطرق بقوة على بوابة المقبرة حتى توقف بالكامل ليتبعه هدوء تام..

بقي (مازن) يحدق بالباب وهو يتنفس بعمق حتى أحس بيد تمسك كتفه من الخلف مما دفعه للصراخ بقوة والالتفات بسرعة ليرى صديقه (ياسر) وهو يبتسم ويقول:

ما بك؟

(مازن) وهو يضع يده على صدره ويتنفس بتسارع: أنت؟

(ياسر) وهو يضحك: ما بك؟.. لمَ أنت مرعوب هكذا؟

(مازن) وهو يتوجه للمكتب: اتبعني دخل الاثنان غرفة الحارس وجلسا، وبدأ (مازن) بغلي الماء والتحديق بالغلاية بصمت..

(ياسر) بقلق: ما بك تبدو متوترًا؟

(مازن) وهو لا يزال يحدق بالماء وهو يغلي:...

(ياسر): ما بك لمَ لا ترد علي؟

صوت منبه الغلاية يرتفع بعد غليان الماء..

(مازن) وهو يسكب الماء الساخن في الكوب:

كم ملعقة من السكر تريد؟

(ياسر): لا أريد قهوة أريدك أن تخبرني ما بك؟

(مازن) وهو يحدق بالكوب:

يبدو أني تسرعت بقبول هذه الوظيفة!

(ياسر): لماذا؟.. ما الذي حدث؟

(مازن) وهو يضع ملعقتين من السكر ويقلبها في الكوب: لا أعرف.

(ياسر): لا تقلق يبدو أنك متوتر قليلا لأنه أول يوم لك.

(مازن) وهو يخرج الملعقة من الكوب ويضعها على الطاولة:

هذه المقبرة ليست طبيعية.

(ياسر) وهو يتفحص الغرفة بنظره:

وهل هناك مقابر طبيعية؟.. كلها مخيفة وتثير القلق..!

(مازن) وهو يرتشف من كوب القهوة ويحدق ببوابة المقبرة:

لا أقصد ما تعنيه.

(ياسر) وهو يوجه نظره ل(مازن) ويبتسم: ماذا تقصد إذا؟

قبل أن يرد (مازن) على صديقه سمع الاثنان صوت ضحكات لمجموعة من النساء وكان الصوت آتيا من عمق المقبرة..

(مازن) وهو ينظر لصديقه الذي بدا على وجهه الخوف والتوتر:

هذا ما أقصده.

(ياسر) وهو متوتر وخائف:

ما هذا؟!.. ما هذا الصوت؟!

(مازن) وهو يقف ويخرج سلسلة المفاتيح من جيبه:

هذا ما سنعرفه الآن.

(ياسر) وهو يقف: ماذا تقصد؟ ماذا تنوي أن تفعل؟

(مازن) وهو يخرج الكشاف الصغير من الدرج:

أعتقد أن هناك من يريد إخافتي لكني أجهل السبب ويجب أن أعرف من؟

(ياسر): ولماذا يريد أحدٌ إخافتك؟

(مازن) وهو ينظر لصاحبه المرتعد:

هل الخوف يزيد من نسبة غبائك؟.. هذا ما سنعرفه عندما ندخل المقبرة.

(ياسر) بخوف: المقبرة؟! لا لا لن أدخل معك..

(مازن): ابقَ هنا إذًا.

(ياسر): هل ستتركني وحدي؟

(مازن) وهو يخرج من المكتب: اتبعني إذا أردت..

تبع (ياسر) صاحبه على مضض لأنه لم يقوَ على البقاء في المكتب وحده..

فتح (مازن) البوابة ودفع أبوابها الضخمة بمعاونة صاحبه (ياسر) الذي وقف يشاهد منظر القبور الممتد أمامه وقال:

هل سنسأل الموتى؟

(مازن) وهو يشعل الكشاف ويحركه في الأفق:

لنتجول قليلًا..

(ياسر) بقلق: نتجول أين؟

(مازن) وهو يغلق باب المقبرة: داخل المقبرة.

(ياسر) وهو يقترب من (مازن):

لماذا أغلقت الباب؟ هل تخاف أن يهرب أحد من هنا؟

(مازن) وهو يسير داخل المقبرة:

ماذا تقصد؟.. يجب أن يبقى باب المقبرة مغلقًا في جميع الأحوال.

(ياسر) وهو يلحقه ويسير بجانبه: كما تشاء فهي مسؤوليتك وليست مسؤوليتي..

استمر الاثنان بالمسير حتى انتصف بهم الطريق وعندها توقف (مازن) وقال:

من هنا تبدأ قبور النساء..

(ياسر) باستغراب: قبور النساء!

(مازن): نعم (ياسر) وهو يضحك: ولمَ الحرص على عزلهن حتى بعد مماتهن..؟!

(مازن) وهو يتفحص بكشافه القبور حوله:

لا أعرف ولا تسألني..

(ياسر) وهو يحدق في القبور حوله:

عن ماذا نبحث بالضبط؟

(مازن) وهو يبحث بكشافه:

عن مصدر الصوت الذي سمعناه قبل قليل..

(ياسر): وهل تعرف من أو ماذا تسبب في الصوت؟

(مازن): لا لكن سنرى..

استمر الاثنان بالسير ببطء وتفحص المكان من حولهما بالكشاف الذي كان مع (مازن) حتى تكلم (ياسر) وقال:

يجب أن نعود..

(مازن) وهو يوجه الكشاف لوجه (ياسر):

ما بك هل أنت خائف؟

(ياسر) وهو يرفع كفه ليحجب نور الكشاف عن عينه:

أبعد هذا الضوء عني!

(مازن) وهو ينزل ضوء الكشاف عن وجه (ياسر) مبتسما:

ما بك؟ لماذا تريد العودة؟

(ياسر) وهو يمسك كتف (مازن) ويضغط عليه بخفة ويقول بصوت صارم لكن هادئ محدقًا في عينيه:

صدقني يجب أن نعود..

استغرب (مازن) من طريقة كلام صاحبه لكنه لم يعارض وبدأ الاثنان بالسير عائدين نحو بوابة المقبرة وقبل وصولهما بأمتار قليلة قال (مازن):

ما بك؟.. لمَ أجبرتنا على العودة؟

(ياسر) وهو ينظر للبوابة بقلق: لنتجاوز البوابة أولًا ثم سأخبرك.

فتح (مازن) الباب وبمجرد ما سمع (ياسر) صوت القفل وهو يطق دفع الباب بسرعة وخرج قبل (مازن)، خرج (مازن) خلفه ببطء وهو مستغرب ممًا قام به صاحبه وأقفل البوابة وعينه على صاحبه المتوتر وقال له:

هل ستخبرني الآن ما بك؟

(ياسر) بصوت مرتفع قليلًا وهو يشير بسبابته لبوابة المقبرة:

ألم ترَ ما رأيته؟!

(مازن) باستغراب: لا.. ماذا رأيت؟

(ياسر) وهو يرتعد: أنت تمزح صح؟!

(مازن) بتوتر: ما بك؟!.. ماذا رأيت؟!

لم يرد (ياسر) على (مازن) وتوجه لغرفة الحارس. دخل (مازن) خلفه وقال بنبرة غاضبه:

ما بك؟!.. هل جننت؟!

(ياسر) وهو يجلس على الكرسي ويحتضن نفسه ويرتعد:

يجب أن تترك هذا المكان وبأسرع وقت..

(مازن) باستغراب: عن ماذا تتحدث؟.. ماذا رأيت؟

(ياسر) بصوت مرتفع: لا يهم ما رأيته المهم أن نخرج من هنا وفورًا!

(مازن) وهو يجلس بجانب صاحبه بهدوء: ما بك أخبرني؟

(ياسر) وهو ينهض بغضب:

أنا راحل من هنا وأنصحك بأن تفعل الشيء ذاته قبل أن تلقى حتفك في هذا المكان!

خرج (ياسر) من الغرفة وتوجه للشارع فخرج (مازن) وراءه لكنه لم يدركه لأنه ركب سيارته وغادر بسرعة..

بعد دقائق من عودة (مازن) للغرفة سمع صوت سيارة تركن في الخارج تلاها بعض الزمارات من بوقها فخرج ظنًا منه أن (ياسر) قد عاد لكنه لم يكن صاحبه الذي كان يزمر بوق سيارته بل كان شخصًا غريبًا لم يرَه من قبل، نزل الرجل من سيارته وقدم باتجاه غرفة الحارس و(مازن) يراقبه من على عتبتها وعندما وصل إليه قال الرجل الغريب:

هل أنت حارس المقبرة؟

(مازن): نعم (الرجل الغريب): منذ متى وأنت تعمل هنا؟

(مازن): لقد ترك الحارس السابق العمل بالأمس وأنا تعينت مكانه.

(الرجل الغريب): هذا ماتوقعته..

(مازن) باستغراب: من أنت؟

(الرجل الغريب) وهو يبتسم: كيف وجدت العمل؟

(مازن): من أنت وما شأنك؟

(الرجل الغريب): هل لازالت غلاية الماء مكانها؟

(مازن) باستغراب:...

(الرجل الغريب): هل يمكنني الدخول وإعداد كوب من القهوة لنفسي؟

(مازن): ليس قبل أن أعرف من أنت وماذا تريد؟

(الرجل الغريب): أنا من سيشرح لك ماذا حدث معك الليلة من أمور غريبة وما سيحدث معك في المستقبل من أمور أغرب بعدها دخل الرجل الغرفة وبدأ بغلي الماء..

(مازن) وهو يراقب الرجل يعد كوب القهوة لنفسه: من أنت؟

(الرجل الغريب) وهو يحتسي أول رشفة وينظر لبوابة المقبرة:

أنا أول حارس عين لحراسة هذه المقبرة..

(مازن): ماذا؟

(الرجل الغريب): وأول شخص يفصل من عمله كحارس لها (مازن) باستغراب: لماذا فصلوك؟

(الرجل الغريب) وهو يضع كوب القهوة على الطاولة ويتفحص الأدراج:

لأنني الوحيد الذي عرف حقيقة هذا المكان.

(مازن): وما تلك الحقيقة؟

(الرجل الغريب): أين الكشاف الذي كان هنا؟

(مازن) وهو يخرج الكشاف من جيبه: تقصد هذا؟

(الرجل الغريب) وهو يتقدم نحو (مازن) ويأخذ الكشاف من يده: نعم (مازن): لم تخبرني.. ماهي الحقيقية التي اكتشفتها عن هذا المكان؟

(الرجل الغريب) وهو يتفحص الكشاف ويشغله: تعال معي وسأريك، خرج الرجل الغريب وتبعه (مازن) وفتحا بوابة المقبرة ودخلا داخلها وقبل أن يغلق (مازن) البوابة قال له الرجل الغريب:

اتركها مفتوحة.

(مازن): لماذا؟

(الرجل الغريب): كي يخرج.

(مازن) باستغراب: من الذي يخرج؟

(الرجل الغريب) وهو يدير نظره نحو القبور ويسلط ضوء الكشاف عليها:

من كان يزعجك طيلة الليل..

(مازن): لقد أزعجني أكثر من شيء..

(الرجل الغريب) وهو يتفحص القبور بالكشاف ويبتسم:

لم يكن سوى شيء واحد.. هل ظننت أن الموتى استيقظوا ليزعجوك؟

(مازن): لا أعرف..

(الرجل الغريب): هذا المكان يسكنه شيء لا يمكنه الخروج إلا بإذن حارس المقبرة وإذا لم يحصل على الإذن سيبقى يزعجه ويرعبه حتى يفتح له البوابة ويسمح له بالخروج.

(مازن): لم أفهم.

(الرجل الغريب): هذا الشيء مربوط.

(مازن): مربوط؟!

(الرجل الغريب): نعم مربوط.. مربوط بهذا المكان ولا يمكنه الرحيل من هنا إلا بإذن صاحبه..

(مازن): وما علاقة ذلك بمن وظفوك وفصلوك؟

(الرجل الغريب): هيا سر معي وسأخبرك.

سار (مازن) مع الرجل الغريب داخل المقبرة وخلال سيرهما استأنف الرجل حديثه قائلًا:

خلال أحد نوباتي في المقبرة عندما كنت حارسًا عليها أمسكت بشخص كان قد تسلل خلسة داخل المقبرة.. كان يريد دفن شيء في أحد القبور..

(مازن): دفن ماذا؟

(الرجل الغريب): كان فيما يبدو ساحرًا ويريد دفن أحد أعماله الشريرة..

(مازن): ولماذا يدفنه؟

(الرجل الغريب): الأعمال المدفونة في القبور تكون ذات تأثير أقوى.

(مازن): وماذا حدث بعد أن قاطعته؟

(الرجل الغريب) وهو يحرك الكشاف يمينًا ويسارًا خلال سيره:

خاف من أن أسلمه للشرطة وبدأ يتوسلني لأتركه..

(مازن): وهل تركته؟

(الرجل الغريب): نعم لكن ليس قبل أن أجبرته على إخباري باسم الشخص الذي أعطاه نسخة من مفاتيح بوابة المقبرة فلقد كنت أملك النسخة الوحيدة وكنت أسلمها للموظف التالي في الفترة الصباحية.

(مازن): هل كان موظف الفترة الصباحية هو المتعاون مع الساحر؟

(الرجل الغريب): لا (مازن): من كان إذًا؟

(الرجل الغريب): كان المسؤول في مقر البلدية وقد كان يأخذ رشوة من هذا الساحر ليسهل له الدخول للمقابر ودفن أعماله.

(مازن): وماذا فعل بعدما كشفت هذه المعلومة؟

(الرجل الغريب): توجهت لمكتبه في الصباح وهددته بكشف أمره ففصلني من العمل.

(مازن): كلامك ليس له معنى.. لماذا عدت اليوم إذا؟

(الرجل الغريب) وهو يتفحص بكشافه القبور خلال سيره:

لأن الشيء الذي كان مربوطًا بالعمل تحرر وقتل الساحر والمسؤول وكل حارس استلم العمل من بعدي.

(مازن): غير صحيح.. ماذا عن (خليل) الحارس الذي استلمت نوبته؟ لقد ترك العمل بسلام (الرجل الغريب) وهو يوجه الكشاف نحو وجه (مازن):

لقد جئت للتو من منزل (خليل) ولقد أخبرني جيرانه أنه مات البارحة.

(مازن) بذهول:.. كيف؟!

(الرجل الغريب) وهو يعيد ضوء الكشاف نحو القبور:

(خليل) كان أحمق ولقد حذرته أنه لن يستطيع الفرار بترك العمل لكنه لم يستمع لي.

(مازن): وكيف نجوت أنت؟.. بقاؤك على قيد الحياة يناقض كل كلامك.

(الرجل الغريب) وهو يبتسم:

لأني الوحيد الذي يعرف كيفية إيقافه وصده لذا فهو يتجنب مواجهتي.

(مازن): من؟.. من يتجنب مواجهتك؟.. عن من تتحدث؟

(الرجل الغريب) وهو يرفع يده في وجه (مازن) ليصمت: صه (مازن):...

(الرجل الغريب) وهو يضع سبابته على شفتيه ثم يشير بها للأمام:...

(مازن) يدير نظره حيث كان الرجل الغريب يشير بإصبعه..

(الرجل الغريب) وهو يبتسم ويوجه نور الكشاف حيث كان يشير: هل تراه؟

(مازن) بفم مفتوح وصوت خافت:

نعم.. نعم إني أراه.. ما هذا المسخ المخيف؟

(الرجل الغريب) مبتسمًا:

الشيطان المربوط بهذه المقبرة ويتوق للخروج منها بإذن منك.

(مازن) وهو منبهر وخائف: كنت أظن أنه لا يمكننا رؤية الشياطين.

(الرجل الغريب): هو متشكل الآن وقد يختفي في أي لحظة.. حاول أن لا ترمش (مازن): ماذا.. لا أرمش؟.. لماذا؟

(الرجل الغريب) وهو يتقدم ببطء نحو المسخ:

لا تتحدث سأحاول ربطه.

(مازن) باستغراب: عن ماذا تتحدث.. ربطه بماذا؟

قفز الرجل الغريب على المسخ ثم تعالت أصوات الصراخ والعويل من الاثنين فما كان من (مازن) إلا الجري نحو الكشاف الذي أوقعه الرجل والإمساك به ورفعه تجاه مكان العراك ليرى المسخ ينظر إليه بأعين حالكة السواد ولا أثر للرجل الغريب، لم يمضِ الاثنان وقتًا طويلًا في التحديق حتى اندفع المسخ باتجاه (مازن) والذي صرخ بلا تفكير وقال:

أسمح لك بالخروج!

وقف المسخ مكانه أمام (مازن) الذي كان يرتعد بأعين مغمضة..

فتح (مازن) عينيه والتقط الكشاف الذي وقع منه على الأرض خلال اندفاع المسخ نحوه، وبدأ بالبحث حوله ولم يجد له أثر فعاد مسرعًا وأغلق البوابة ودخل غرفة الحارس ونظر من النافذة ولم يرَ أثرًا لسيارة الرجل الغريب، فجلس على الكرسي وهو يرتجف وبعد فترة من الجلوس بخوف أسند مازن ظهر كرسيه للجدار وغفت عينه من التعب ونام.

لم تمض ساعة حتى قفز (مازن) مرعوبًا من مكانه بسبب طرق على باب الغرفة، كان الطارق حارس الفترة الصباحية أتى ليستلم نوبته:

(مازن): من أنت؟

(حارس الفترة الصباحية) مبتسمًا:

أنا زميلك المسؤول عن الفترة الصباحية (مازن) وهو ينظر لساعة الحائط:

لا زال الوقت مبكرًا على السادسة بقي ساعة كاملة.

(حارس الفترة الصباحية) وهو يدخل مبتسمًا ويشغل غلاية الماء:

لقد سمعت أن (خليل) ترك العمل وأحببت الاطمئنان على زميلي الجديد.

(مازن) وهو يحدق بالماء وهو يغلي:...

(حارس الفترة الصباحية) وهو مبتسم: يبدو أنك نمت طيلة فترة حراستك.. لن أخبر أحدًا بهذا الأمر لكن لا تكررها مرة أخرى.

(مازن): نمت؟

(حارس الفترة الصباحية) وهو يسكب الماء الساخن في الكوب مبتسمًا:

كم ملعقة من السكر تريد؟

(مازن) وهو يحدق في أبخرت الكوب المتصاعدة:...

(حارس الفترة الصباحية) وهو يقلب الماء والسكر في الكوب مبتسمًا:

كيف وجدت ليلتك الاولى هل واجهت أي مشاكل؟

(مازن) وهو يحتضن نفسه ويحدق بباب المقبرة:

لا أبدًا لم تكن هناك مشاكل كانت ليلة هادئة جدًا..

بين الحب والكرهِ مشاعرٌ كثيرة لا يعرفها إلا القليل..

لازلت صغيرًا اسمي (فهد) عمري ثلاثة عشر عاما..

وحيد أمي وأبي..

كوني الابن الوحيد لهما فهذا جعل من حياتي صعبة أحيانًا..

حرصهما الشديد علي يخنقني في أوقات كثيرة..

أبي يسافر من وقت لآخر للمدينة المجاورة لقضاء بعض الأعمال..

كان دائمًا يأخذنا معه..

رحلاته في الغالب لا تزيد عن يوم..

كنا نضطر في الغالب للمبيت في تلك المدينة..

كنت أسعد بتلك الرحلات العارضة والمبيت خارج منزلنا في تلك الفنادق..

مؤخرًا بدأت أضجر منها..

منذ أن بدأت أتمنع في الذهاب معهم لم يصر أهلي على سفري لكنهم كانوا يتركونني عند الجيران ويرفضون تركي لوحدي نهائيًا؛ بالرغم من أني لم أعد طفلًا كالسابق، قرر أبي يومًا السفر كعادته ليوم واحد لتلك المدينة المجاورة وكانت أمي مسرورة جدًا بعكسي تمامًا، عبرت عن استيائي وعدم رغبتي في الذهاب معهم فتُرك لي الخيار بين الذهاب معهم أو البقاء مع جيراننا فترة غيابهم.

جيراننا أناس طيبون وزوجة جارنا صديقة لأمي وتحبني بشكل جنوني، ربما لأن الله لم يرزقها بأطفال، ففضلت البقاء مع الجيران على الذهاب في تلك الرحلة المملة والتي سأقضي معظمها في غرفة فندق كئيب.

سافر أهلي بعدما تركوني عند جارتنا التي أغرقتني بالقبل والعناق كعادتها وكانت متحمسة جدًا لمبيتي عندهم تلك الليلة وبعد العشاء ذهب زوجها للنوم لكنها طلبت مني البقاء حتى ينام زوجها لأنها أعدت لي مفاجأة كما قالت، جلست أمام التلفاز أشاهد بعض البرامج الرياضية وبعد قرابة الساعة خرجت زوجة جارنا ومعها علبة مغلفة وهي تقول:

لقد نام أخيرًا..

وضعت العلبة بجانبي وهي تبتسم وقالت: افتحها..

فتحت العلبة ووجدت فيها لعبة إلكترونية كنت أتوق لاقتنائها منذ مدة طويلة لكن أمي كانت ترفض دائمًا لأنها تقول إنها عنيفة جدًا ولا تصلح لمن هم في سني، لم أتمالك نفسي من الفرح وعانقت جارتنا وأنا أقول:

شكرًا.. شكرا يا خالتي..

ابتسمت وقالت: لا تخبر أحدًا بأمر اللعبة خصوصًا زوجي وأمك فهم يعارضون اقتناءك مثل هذه اللعبة.

قلت لها وأنا أحدق باللعبة:

أعرف يا خالتي.. لا تقلقي لن يعرف أحد.. هل يمكنني تجربتها؟

التفَتَتْ جارتنا خلفها ونظرت لباب غرفتها ثم أعادت نظرها نحوي وقالت:

لا بأس لكن اخفض صوت التلفاز.

تعجبت من كلامها وقلت: كنت أقصد تجربتها في منزلي.. في غرفتي تغير وجه جارتنا للاستغراب وقالت:

لمَ لا تحضر جهاز ألعابك هنا؟.. كيف تقضي ليلتك لوحدك في منزلكم؟

ابتسمت وقلت:

هل ستصبحين مثل أمي الآن؟.. لست صغيرًا وأستطيع الاعتماد على نفسي ابتسمت جارتنا وناولتني المفتاح الاحتياطي الذي كانت أمي تبقيه معها وقالت:

بشرط أن تعود قبل عودة أهلك.

بادلتها الابتسام وقلت: أعدك بذلك.

توجهت للمنزل مسرعًا وفتحت الباب ودخلت غرفتي مباشرة وبدأت اللعبة..

مضى الوقت ولم أشعر به، كنت مشدودًا لتلك اللعب ولم يقطع تركيزي معها إلا صوت ضحكة قادمة من غرفة أبواي.. لقد كان صوت أمي.. قلت في نفسي:

متى عادوا؟

بعدها بقليل سمعت ضحكات أخرى.. لقد كان صوت أبي..

بدأت أسمع بعدها أصوات كلام غير مفهوم بينهما لذا أغلقت الباب بالمفتاح حتى يتسنى لي الوقت لإخفاء اللعبة متى ما طرقت أمي الباب ووضعت السماعات على أذني وأكملت اللعبة لأني اطمأننت بأن أهلي قد عادوا للمنزل ولم يبيتوا تلك الليلة خارج المدينة.

استمررت باللعب حتى بدأ النعاس يتمكن مني، نظرت للساعة فوجدتها قد تجاوزت الرابعة فجرا، أغلقت اللعبة ورفعت السماعة عن أذني.. صدمت.. سمعت أصواتًا كثيرة تتحدث وتضحك فيما بينها في غرفة المعيشة وكأن حفلة مقامة في منزلنا، تبدد الرعب مني عندما أقنعت نفسي بأن أمي وأبي استغلوا فرصة غيابي عن المنزل وأقاموا حفلة صغيرة، لم أقاطعهم وخلدت للنوم بالرغم من صعوبة ذلك مع كل هذا الإزعاج الصادر من الضيوف.

استيقظت في الظهيرة على هدوء يعم المكان واستغربت أنه لا أثر لوجود احتفال فقررت العودة لمنزل جارتنا كي لا تقع في أي إحراج مع أمي خاصة وأنهم لم يعلموا بقدومي..

توجهت للباب وعندما مددت يدي رأيت أنني قد أقفلته بالمفتاح الذي أخذته من جارتنا والمفتاح لازال بداخله ولن يتمكن أحد من الدخول، وهذا الباب هو المدخل الوحيد لمنزلنا..

لم أرَ في حياتي شيئًا أكثرَ رعبًا وقسوةً من البشر..

أنا وأخي ولد أخي في يوم خالطه الفرح بقدومه والحزن لذهاب عقله..

أخي كان مكتمل الجسد ناقص العقل كما يقال..

أحببناه بالرغم من كثرة كلام الناس عنه وقلة كلامه..

كان يومًا مؤلما على أمي عندما رحل..

رحل ليبقى تحت رعاية الأطباء..

لم يعد يسكن معنا..

رحل وهو في العاشرة من عمره..

كانت مشاكله أكبر من عمره..

أفتقد أخي..

أفتقد تواجده في المنزل..

أفتقد عناقه لي..

أشعر بالملل منذ رحيله لتلك المصحة العقلية..

أفتقد سماع «أحبك يا أختي الكبرى..» من لسانه الثقيل..

أمي تقول إن هذا لمصلحته..

أعتقد أنه لمصلحتها مع أبي فقط..

أحاول من وقت لآخر إقناعهم بأن يحضروه لزيارتنا ولو لأيام..

يستجيبون.. ثم يندمون..

يندمون عندما يشاهدون تلك الفظائعْ التي لا تظهر إلا بعودته..

الحيوانات الصغيرة التي تقتل ببشاعة..

القاذورات التي تلوث كل ركن من أركان المنزل..

ملابس أمي التي تقطع بالمقص..

الحرائق التي تنشب فجأة في غرفنا..

كتب أبي ومخطوطاته النادرة التي تمزق..

أمور كثيرة لا ترحل إلا برحيل أخي..

عندما نزوره يتعلق بنا ويبكي..

يبكي كثيرًا..

يرق قلب أمي عليه لثواني لكنها سرعان ما تبعده عن صدرها لترحل..

تشفق عليه وتشتاق له أحيانًا وتطلب من أبي إحضاره معنا ليزورنا..

كل زيارة له تكون أقصر من السابق..

بسبب تلك الأعمال الشنيعة التي تصاحب قدومه..

أفتقد أخي..

أفتقده كونه الغطاء الأمثل لي ولكل ما كنت أقوم به من أعمال ممتعة أثناء تواجده في المنزل..

أكره إدعاء المثالية والطيبة التي تستمر طوال فترة غيابه..

حقًا أفتقده..

لن تعرفَ قيمة الهواءِ حتى تغرقَ ولن تعرفَ قيمةَ الكلامِ حتى تصمتَ..

صرخة بلا صوت أغمضت عيناي..

أحس بالماء البارد يطعن جسدي..

حلكة الظلام تزداد تدريجيًا..

أَلَمٌ يحطم صدري..

فقاعات هواء تهرب من فمي وتداعب أنفي وجبيني..

حركاتي السريعة وصراعي العنيف لا يفيد..

نزولي بطيء لكنه حتمي..

لم أعرف أن الغرق مؤلم لهذا الحد..

كنت بين الماء والهواء والأن أنا دون أحدهما ومطمور بالآخر..

أُجر للأسفل بأسنان مغروسة في ساقي..

أتمنى أن يفترسني ذلك الشيء بعد مماتي لأني لا أريد أن أموت مرتين..

أحس بأسنانه الحادة وقد بدأت تنهش بي..

لم يصبر حتى أفارق الحياة..

أفتح عيناي لبرهة..

دمائي تزيد من حلكة المكان حولي..

فقدت ساقي..

لا زلت انتظر ما هو حتمي..

قبري المائي بارد وقاسي..

صرختي لن تسمع مهما كانت قوتها..

من ينتقص في الناس خِلقة تكتمل فيه البشاعة..

قل خيرًا محقق في المباحث..

يدخل متحفًا..

يأخذ جولة بين المعروضات..

يلفت انتباهه قناع معروض في قسم الآثار التاريخية..

يقف أمامه قليلا..

(المحقق): ما أبشع هذا القناع!

يقترب منه حارس الأمن في المعرض..

(الحارس): هل يمكنني خدمتك يا سيدي؟

(المحقق) وهو لازال يحدق بالقناع: نعم.. أنا هنا أحقق في سلسلة من جرائم القتل وهذا المتحف هو العامل المشترك الوحيد الذي وجدناه بين الضحايا.

(الحارس): لم أفهم قصدك يا سيدي.

(المحقق) وهو يخرج خمس صور من جيبه ويريها للحارس:

هؤلاء الضحايا وُجدوا مقتولين في منازلهم بطريقة غريبة.. أعينهم كانت مفقوءة وصدورهم مفتوحة.

(الحارس) وهو ينظر للصور: يا إلهي!

(المحقق) وهو يعيد الصور لجيبه: هذا ليس الغريب في الأمر.

(الحارس): ما الغريب إذا؟

(المحقق) وهو يتحرك ببطء حول المعروضات:

الغريب أن جميعهم قد زاروا هذا المعرض في نفس اليوم الذي قتلوا فيه (الحارس): أمر غريب فعلًا!

(المحقق) وهو ينظر في أحد اللوحات:

هل تعرفت على أحدهم؟.. أقصد من الصور التي شاهدتها قبل قليل.

(الحارس): نعم..

(المحقق) وهو يدير نظره نحو الحارس: غريبة (الحارس): لماذا؟

(المحقق): الجرائم حدثت قبل أسابيع ولم نستطع معرفة أنهم يشتركون في كونهم زاروا المتحف إلا بعد تحقيقات مطولة مع أقاربهم وأنت هنا تشاهد عشرات بل ربما مئات الوجوه يوميًا فكيف تذكرتهم؟

(الحارس): لم أتذكر سوى اثنين منهم فقط ولسبب جيد.

(المحقق) وهو يقترب من الحارس ويداه خلف ظهره: ما هو؟

(الحارس): تذكرت المرأة لأنها تسببت في مشكلة قبل رحيلها.

(المحقق): أي امرأة تقصد هناك امرأتان بين الضحايا؟

(الحارس): المرأة ذات الشعر الأسود.

(المحقق): آه.. السيدة (نبيلة) (الحارس): لا أعرف اسمها كل ما أعرف عنها أنها تشاجرت مع مدير المعرض قبل رحيلها.

(المحقق): لماذا؟

(الحارس): كانت مستاءة من وجود ذلك القناع في قسم التحف الأثرية كانت تقول: إنه قبيح جدًا ومشوه للمعرض وبقية المعروضات.

(المحقق) وهو يبتسم: أتفق معها.. وماذا حدث بعد ذلك؟

(الحارس): لم يحدث شيء طلب مني المدير إخراجها بهدوء من المتحف ففعلت.

(المحقق): ماذا عن الشخص الآخر الذي تعرفت عليه؟

(الحارس): الرجل الأصلع (المحقق): السيد (ربيع) (الحارس): ظل يحدق بالقناع فترة طويلة لدرجة أنني ظننت أنه سيسرقه.

(المحقق): ماذا حدث إذًا كي تتذكره؟

(الحارس): بصق في وجه القناع ثم رحل.

(المحقق) وهو يضحك: لماذا تحتفظون بهذا القناع إذا مادام أن الناس تكرهه.

(الحارس): هذا ليس من اختصاصي أنا مجرد حارس هنا.

(المحقق) وهو يمد يده لمصافحة الحارس:

شكرًا على إفادتك لكن هل يمكن أن تمر على المركز غدًا وتوقع على ما أفدت به (الحارس): بكل سرور.

(المحقق): طبت مساءً..

(الحارس): طبت مساءً سيدي..

خرج المحقق من المتحف وهو يفكر في أمر الضحايا وعلاقة قتلهم بزيارتهم للمتحف لكنه لم يجد عاملًا مشتركًا سوى ما ذكره الحارس لكره اثنين منهم لذلك القناع، عاد المحقق لشقته وقلب في ملف القضية قليلًا ثم قرر الخلود للنوم، عندما استلقى على فراشه وأطفأ الأنوار سمع صوتًا كالهمس يقول:

«كان يجب أن تصمت..» نهض المحقق مرعوبًا مما سمع وأشعل النور في غرفته وأشهر سلاحه لكنه لم يرَ شيئًا. عاد لفراشه وقبل أن يغمص عينيه رأي أمامه منظرًا مخيفًا، رأى القناع الذي شاهده في المتحف يتوهج في أحد زوايا الغرفة وسمع مرة أخرى صوتًا يقول:

«كان يجب أن تصمت..» لم يذهب المحقق لعمله في اليوم التالي ولا الذي يليه وبعد عدة أيام زاره أحد أصدقائه الذين يعملون معه في قسم الشرطة وطرق بابه لكنه لم يجد إجابة، قرر صديق المحقق الدخول للشقة للاطمئنان عليه لذا تسلل من النافذة بعدما استأذن من الشقة المجاورة لشقته وبمجرد دخوله توجه لغرفة النوم ليجد صديقه مقتولا وعينيه مفقوءتين وصدره مشقوق ومفتوح على مصراعيه.

لا يوجد تطور دون شيء من الجنون..

اليقين شاب جعل من العلم منهج حياته..

تخرج من جامعة علمية مرموقة في بلده..

مبتعث لإكمال دراسته العليا بالخارج..

يملك عدة قنوات على وسائل التواصل الاجتماعي..

لديه لكل شيء تفسير علمي..

يتحدث في مواضيع متنوعة من زوايا علمية بحتة..

عالم الماورائيات ليس في مجال قناعاته..

نيته طيبة.. منهجه واضح.. خبرته قليلة..

يواجه يوميًا اختبار له ولمنهجه..

سجل (علوان) يومًا أحد حلقات برنامجه وكان موضوعها عن خرافة الجاثوم وكيف أن التفسير العلمي البسيط هو حالة تعرف ب(شلل النوم) وأن الكل يفسرها حسب خلفيته الدينية وبيئته التي نشأ فيها، لم تكن أول مرة يستطرد فيها (علوان) في تفسير مثل هذه الظواهر بشكل علمي كي يضفي عليها شيئًا من المصداقية لمتابعيه، وهو إلى حد ما يؤمن بما يقول كونه لم يرَ شيئًا في حياته يناقض تحليله أو تصوره حتى حلَّ الليل ذلك اليوم وقرر الخلود لفراشه بعد سهر طويل على الإنترنت تابع فيه ردود الفعل على حلقته المميزة التي أزال من خلالها في نظره الغشاوة عن عيون آلاف الشباب في عالمه العربي من خرافة آمنوا بها طويلًا، وقد أثلجت صدره الأصداء الإيجابية لحلقته، وختم يومه بالإطلالة على متابعيه في الشبكات الاجتماعية طالبًا منهم تعلم العلم ونشره وشاكرا لهم على فضولهم.

نهض (علوان) من أمام جهاز الحاسوب بعد إغلاقه وتوجه لغرفته وخلد للنوم مباشرة، خلال نومه تعرض لضيق شديد في التنفس صاحبه بعض الأصوات الغريبة، استيقظ وفتح عينيه لكنه لم يستطع التحرك، الحركة الوحيدة التي كان يمكنه القيام بها هي رمش عينيه فقط، بدأ يشعر بالقلق خاصة بعد إحساسه بشيء يتحسس جسده لكن وخلال هذا الوضع أدرك أنه يتعرض ل(شلل النوم) الذي كان يتحدث عنه سابقًا في حلقته وأنه لربما أوحى لعقله الباطن بهذا الأمر فبقي مطمئنا حتى زال الضغط

من عليه وأصبح قادرًا على تحريك أطرافه بسهوله، نهض من فراشه بعد زوال الحالة التي اعترته وتوجه للمطبخ لشعوره بالعطش الشديد وهو يقول في نفسه:

«فعلًا العلم نور فما مررت به يخيف العاقل فما بالك بالجاهل؟» دخل المطبخ وتناول كوبًا من الماء وعاد متوجها لغرفته وبمجرد إمساكه لمقبض بابها سمع صوتًا يأتي من خلفه يقول:

ما الذي أيقظك في منتصف الليل بالرغم من إرهاقك وتعبك؟

التفت (علوان) بسرعة وارتباك ليرى رجلًا يجلس في منتصف غرفة المعيشة واضعًا قدمًا على قدم مبتسمًا له ويقول:

«حلقتك عن الجاثوم كانت جميلة ومميزة.. أعجبتني..» صرخ (علوان) في الرجل وقال:

من أنت؟!.. وماذا تفعل هنا؟!

(الرجل) وهو يبتسم ويضع سبابته على شفتيه: ششششش.. تعال واجلس معي..

(علوان) وهو غاضب ومرتبك ويخرج هاتفه من جيبه ويحاول الاتصال بالشرطة:

إذا لم تخرج الآن سوف..

(الرجل) مبتسمًا: أعرف أعرف.. سوف تتصل بالشرطة.. تفضل لن أمنعك..

بدأ (علوان) بالضغط على أزرار هاتفه لكنه فوجئ بأن هاتفه مغلق فحاول تشغيله ولكن الرجل قال وهو يبتسم:

هل يمكن أن تهدأ وتجلس معي قليلًا.. لن آخذ من وقتك الكثير.. ولا تحاول تشغيل هاتفك فهو لن يعمل..

(علوان) وعلى وجهه نظرة ارتباك:

من أنت؟.. وماذا تريد؟.. إذا كنت تريد مالًا سوف أعطيك.

(الرجل) وهو يبتسم:

هل هذا هو التفسير المنطقي والعلمي لوجودي هنا؟

(علوان) باستغراب وصوت مرتفع قليلًا:

عن ماذا تتحدث؟!.. من أنت؟!

(الرجل) مبتسمًا وهو يشير ل(علوان) بالجلوس:

اجلس وسوف أخبرك..

لم يكن (علوان) مرتاحًا لتلبية طلب ذلك الرجل لكن خوفه جعله يجاريه حتى يفكر بشيء ينقذه من هذا الرجل والذي فيما يبدو كان لصًا أو مختلًا عقليًا أو كلاهما. جلس (علوان) أمام الرجل ولم يتحدث لكنه كان ينظر إليه بنظرات حادة خالطها القلق والحذر والرجل يبادله النظرات تلك بابتسامة عريضة.

بقي الاثنان في صمت حتى خرج الرجل عن صمته وقال وهو يبتسم:

لا أريد أن أطيل عليك فمن الواضح أنك مرهق وتريد أن تنام بعد أن عكر (شلل النوم) منامك..

(علوان) بوجه غاضب ومتوتر:..

(الرجل) وهو يبتسم:

ما بك؟.. أنا من أشد المعجبين بك وببرنامجك على اليوتيوب؟

(علوان) بغضب مكظوم:

وهل المعجب يتسلل لمنازل الناس ليلًا؟

(الرجل) وهو يضحك:

ومن أين تسللت؟.. أنت محكم إغلاق بابك وجميع نوافذك (علوان): الأمر ليس بهذه الصعوبة فربما تسللت في غيابي وانتظرت حتى حل الليل.

(الرجل) وهو يبتسم وينظر ل(علوان) بنظرة حادة:

ولماذا أتكبد كل هذا العناء؟

(علوان) بغضب بدأ يخف قليلًا: هذا ما أود معرفته!

(الرجل) وهو يبتسم ويجول بنظره حول المكان:

كنت أظنك تملك تفسيرًا علميًا لكل شيء.

(علوان) بغضب: هل انتهيت من التهريج؟!.. هل يمكنك الرحيل الآن؟!

(الرجل) وهو يحدق بباب أحد الغرف: ليس بعد..

(علوان): متى إذا؟!

(الرجل) وهو يوجه نظره ل(علوان):

عندما تجيب على ثلاث أسئلة فقط..

(علوان): باستغراب: أسئلة؟.. أي أسئلة؟

(الرجل) وقد زالت ابتسامته:

ثلاث أسئلة لا رابع لها ولو أجبتني سوف أرحل ولن تراني مرة أخرى.

(علوان): هات ما عندك (الرجل) مبتسمًا: لكن بشرط (علوان) بوجه يخالطه الغضب والسخرية: وما هو شرطك؟

(الرجل) مبتسمًا: أن تجيب إجابة علمية منطقية (علوان) وهو يبتسم باستهزاء:

وهل يوجد شيء بلا تفسير علمي أو منطقي؟

(الرجل) وهو يضحك ويهز كتف (علوان) بقوة:

يعجبني تفكيرك!.. لنبدأ إذا..!

(علوان) باستغراب وتوتر من حماس الرجل المفاجئ: تفضل..

حكى الرجل قصة حدثت ل(علوان) عندما كان صغيرًا.. قصة لا يعرفها أحد سواه ولم يحكها لأحد من قبل.. بل إنه نسي أحداثها حتى رواها له الرجل مرة أخرى ثم قال وهو يبتسم:

كيف لي أن أعرف هذه القصة يا (علوان)؟

(علوان) بتوتر:...

(الرجل) وهو يبتسم: تذكر أني أريد إجابة علمية ومنطقية (علوان) بتوتر: المنطق يقول أن أحدًا أخبرك بها.

(الرجل) وهو يبتسم ابتسامه عريضة ويقترب من وجه (علوان) ويقول بصوت منخفض:

ألم تكن وحدك ذلك اليوم؟

(علوان) وهو يبعد وجهه قليلًا عن وجه الرجل الذي كاد أن يلتصق به:

نعم.. لكن..

(الرجل) وهو يبتعد عن وجه (علوان) ضاحكًا: لكن ماذا؟!

(علوان): لا أعرف..

(الرجل) وهو يصفق بيديه ويضحك:

رجل المنطق لا يعرف!

(علوان) بغضب خفيف يخالطه توتر: ماذا تريد؟!

(الرجل) وهو يبتسم: أن تجيب على السؤال الثاني.

(علوان) بتوتر: هيا لننتهِ من لعبتك السخيفة.

(الرجل) بوجه عابس وصوت يحمل نبرة غضب:

هل تظن أننا نلعب؟!

(علوان) بارتباك: لا لا تفضل أسأل.

(الرجل) وهو يبتسم بسرعة: أغمض عينيك (علوان) وهو يقف مبتعدًا عن الرجل: لم نتفق على ذلك!

(الرجل) وهو يبتسم: لم نتفق على ماذا؟

(علوان): الاتفاق كان على أن أجيب على أسئلتك فقط.

(الرجل) وهو يضحك: ماذا تظن أني سأفعل بك يا رجل المنطق؟

(علوان) وهو يأخذ خطوة للوراء بتوتر:

لا أعرف ولا أريد أن أعرف!

(الرجل) وهو يشوح بيده مبتسمًا:

حسنًا.. حسنًا.. ارمش فقط (علوان): ماذا؟

(الرجل) بغضب: ارمش!.. أم إن هذه صعبة أيضًا؟!

رمش (علوان) بسرعة ثم قال: ماذا تريد الآن؟

(الرجل) وهو يبتسم ويعقد أصابعه ويسند ذقنه عليها:

انظر لمن يقف على يمينك..

التفت (علوان) على يمينه وقفز لليسار قفزةً سريعة من المفاجأة عندما رأى شخصًا يشبهه تماما بل كان نسخة منه..

(علوان) بتوتر ورعب: من هذا؟ ومن أين دخل؟!

(الرجل) وهو لازال على وضعه مبتسمًا:

هذا مَن أخبرني بسرك الصغير..

(علوان) وهو يحدق بشبيهه بتوتر واستغراب:

ومن يكون هذا؟

(الرجل) وهو لازال على وضعه مبتسمًا:

هذا هو سؤالك الثاني يا رجل المنطق..

(علوان) بتوتر وعينه لازالت على الرجل الذي يشبهه:...

(الرجل) وهو يعدل في جلسته ويبتسم:

التفسير المنطقي الوحيد هو أن يكون لديك أخ توأم.. هل لديك أخ توأم يا (علوان)؟

(علوان) بتوتر وهو يحدق بشبيهه والذي بدأ يبتسم ويحدق به: لا..

(الرجل) وهو يبتسم: ما رأيك بالاستنساخ؟.. هل هذه إجابة علمية مقنعة؟

(علوان) وهو يوجه نظره للرجل: نعم نعم الاستنساخ (الرجل) وهو يبتسم: وهل الاستنساخ يفسر معرفته بسرك الصغير؟

(علوان) وهو يصرخ: ماذا تريد مني؟!

(الرجل) وهو مبتسم: لننسَ الأسئلة الماضية ولنركز على السؤال الأخير..

(علوان) وهو يراقب شبيهه وهو يجلس بجانب الرجل:

هات سؤالك بسرعة وارحل أنت وصاحبك بعدها!

(الرجل) وهو يبتسم: هذا صاحبك وليس صاحبي..

(علوان) باستغراب وغضب خفيف: ماذا؟

(الرجل) وهو يبتسم ويشيح بيده:

لا عليك لا عليك.. السؤال الثالث.. إلى أي مدى تظن أن البشر وصلوا من العلم؟

(علوان) باستغراب: ماذا؟

(الرجل) مبتسمًا: فقط أجب..

(علوان): لا أعرف لكنهم وصلوا إلى الشيء الكثير.

(الرجل) وهو ينهض وينهض معه شبيه (علوان) ويحدق ب(علوان) بصرامه:

(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا).. عد إلى نومك الأن يارجل العلم والمنطق توجه بعد ذلك الرجل وخلفه شبيه (علوان) ودخلوا دورة المياه وأغلقوا الباب و(علوان) خلفهم يقول:

باب الخروج ليس من هنا يا سادة!

فتح علوان الباب خلفهم..

لم يرَ أحدًا منهم..

أبلغ الشرطة بعدما عمل هاتفه..

لم يسفر التحقيق عن شيء..

لم ينم تلك الليلة..

الباحثُ عن الحق أصدق مِمَّن ادعى أنه وجده..

عين الذئب رجل يدخل لحديقة الحيوان..

ليمارس هوايته الأسبوعية في التجول بين الحيوانات والطيور المأسورة..

لفت انتباهه حيوان جديد.. ذئب..

ذئب رمادي ضخم.. يقترب الرجل من قفصه ويحدق به..

امرأة تقف بجانب القفص لكن ظهرها كان مدارًا له..

نظرت المرأة للرجل وهو يحدق بالذئب وقالت:

هل يحدق بك؟

(الرجل) وهو يحيد بنظره عن قفص الذئب ويوجهه نحو المرأة:

ماذا؟.. من تقصدين؟

(المرأة) وهي تنظر في الاتجاه المعاكس للقفص: الذئب.. هل يبادلك التحديق؟

(الرجل) وهو يعيد نظره نحو القفص: لا.. فهو منشغل بشيء آخر.

(المرأة) وظهرها لازال للقفص: جيد.

(الرجل) باستغراب: لماذا تسألين؟

(المرأة): لا أريدك أن تخسر حياتك.

(الرجل) وهو يضحك ويدير نظره نحو المرأة:

أخسر حياتي!.. ألا ترين بأنه في قفص؟

(المرأة) وهي توجه نظرها لتحدق بالرجل: لن تخسرها بتلك الطريقة..

(الرجل) ونظره لازال على المرأة: ماذا تقصدين إذًا؟

(المرأة) وهي تحيد بنظرها عن الرجل:

قبل أكثر من سنة زرت مع زوجي حديقة حيوان في مدينة أخرى وكان هذا الذئب أحد حيواناتها قبل أن ينقل هنا وعندما مررنا به وبدأنا نتمعن به حدق الذئب فجأة في زوجي ووقف متسمرًا ينظر إليه بحدة.. ابتسم زوجي وبادله التحديق كي يرى من منهم سيحيد بنظره أولًا.. لعبة طفولية مارسها زوجي مع ذلك الكائن..

(الرجل): وما دخلي بهذا الأمر؟

(المرأة): كنت أضحك على زوجي خلال تحديقه بالذئب والذي استمر لأكثر من خمس دقائق متواصلة في تلك اللعبة الغبية.. كنت أحاول إقناعه بالتوقف لكنه لم يفعل واستمر يحدق به لدقائق إضافية أخرى..

(الرجل): وما الذي حدث بعد ذلك؟

(المرأة): قفز رجل بين زوجي والذئب وقطع تحديقهما ببعض وقال لزوجي غاضبًا «ماذا تفعل؟!» استغرب زوجي ممَّا قام به ذلك الرجل لكن بعد كلامه معه تفهم نوعا ما (الرجل): ماذا قال له؟

(المرأة): أخبرنا الرجل أن الذئاب من وقت لآخر تختار التحديق مطولًا بمن يحدق بها.. ومن يجاريها ويحدق بها لمدة معينه يموت خلال سنة.

(الرجل) وهو يبتسم مُستهزِئًا: ما هذا الكلام الفارغ؟

(المرأة) وهي سارحه في قفص الطيور المقابل لقفص الذئب:

هذا ما قاله زوجي بالضبط.

(الرجل):...

(المرأة): أخبرنا ذلك الرجل أن من يحدق بذئب ويتنفس مئة نفس وزفير خلال تحديقه له ستصيبه تلك اللعنة.. زوجي أمضى أكثر من ذلك بكثير..

(الرجل): وهل حدث له مكروه؟

(المرأة): أصيب بالسرطان بعد ثلاثة أشهر وصارع المرض بعدها لشهرين ثم مات..

(الرجل): لعلها مصادفة؟

(المرأة): أنا هنا لأتأكد..

(الرجل): وكيف ستتأكدين؟

(المرأة): قررت التحديق في أعين الذئب وسوف أرى مدى صحة كلام ذلك الرجل.

(الرجل): وماذا ستستفيدين لو متِ؟

(المرأة): سألحق بزوجي..

(الرجل): حدقي إذا لماذا تعطين القفص ظهرك؟

(المرأة): حاولت لكن الذئاب تختار من تحدق به.. كنت أنتظر قليلًا كي أعيد الكرة حتى أتيت أنت وقاطعتني.

(الرجل) وهو يوجه نظره للذئب: لقد رفع رأسه.. إنها فرصتك الآن..

(المرأة) وهي تدير وجهها باتجاه القفص وتحدق بالذئب:...

بدأ الذئب بالتحديق لكنه كان يحدق بالرجل وليس المرأة..

(الرجل) وهو يحدق بالذئب: لماذا يتجاهلك ويحدق بي؟

(المرأة) وهي تحدق بالذئب وهو يحدق بالرجل: يبدو أنه اختارك أنت..

(الرجل) محدقًا بالذئب وهو يبتسم:

هل تظنين أنني صدقت تلك الخرافة؟

(المرأة) وهي تبتسم: بقى أنفاس قليلة وتحل عليك لعنته.. لوكان لها وجود (الرجل) مُستهزِئًا: سأكمل التحديق وسأثبت لكِ أن الأمر كان مجرد مصادفة بعد دقائق مطولة من التحديق كسر الرجل تحديقه وقال:

تبًا لهذا الذئب لم يرمش حتى مرة واحدة خلال تحديقه بي!

(المرأة) وهي تدير ظهرها للقفص:

اليوم هو الثاني من ديسمبر أليس كذلك؟

(الرجل): وما المهم في ذلك؟

(المرأة): سوف أكون هنا بعد عام بالتمام والكمال.. كن هنا لتثبت لي خطأي (الرجل) ضاحكًا وهو يرى المرأة تبتعد:

سأكون هنا وسأثبت لكِ أنها خرافة!

بعد عام وفي الثاني من ديسمبر..

(المرأة) وهي تقترب من قفص الذئب: نلتقي من جديد أيها الذئب..

(رجل غريب) يقف بجانب القفص: عفوًا هل تنتظرين شخصًا ما؟

(المرأة) وهي تدير ظهرها للقفص كما تعودت: نعم كيف عرفت؟

(الرجل الغريب): أنا هنا لأن صديقًا لي أوصاني بأن أوصل لكِ رسالة.

(المرأة) وهي تصف شكل الرجل الذي قابلته من سنة: هل هو نفس الشخص؟

(الرجل الغريب): نعم هو..

(المرأة) ولماذا لم يحضر بنفسه؟

(الرجل الغريب) وهو يمد ظرفا مغلقًا:

لقد طلب مني إعطاءك هذه فقط قبل وفاته بالسرطان قبل عدة أشهر.. أخبرني أنكِ ستكونين بانتظاره عند قفص الذئب في حديقة الحيوانات في الثاني من ديسمبر ولا أعرف شيئًا غير ذلك.

أخذت المرأة الظرف وفتحته وقرأت عبارة واحدة:

«كان معكِ حق..»

لا تحكم على الناس وهم في ضعف انتظر حتى يكتسبوا بعض القوة لترى حقيقتهم..

أسنان المشط مُقعد..

مشلول..

مُعاق..

صاحب احتياج خاص..

كلها مسميات ألصقت بي فقط لأني لا أسطيع المشي..

أقبلها من الغرباء وأمقتها من الأقرباء..

أشقائي يطعنوني بإحداها من وقت لآخر..

دائمًا ما يقولون لي «نتمنى يومًا أن تصبح مثلنا..» أحب أن أشاهد إخوتي وهم يلعبون الكرة..

أبتسم عندما يتعاركون مزاحا فيما بينهم..

يقتلون ابتسامتي تلك عندما يمرون بجانبي ويقولون:

«نتمنى يومًا أن تصبح مثلنا..» أخي الأكبر اليوم حصل على رخصة القيادة..

الكل في المنزل متحمس له..

إخوتي يتفقون على أخذ جولة معه في سيارة أبي..

كنت سعيدًا جدًا لهم حتى مروا بجانبي وقالوا:

«نتمنى يومًا أن تصبح مثلنا..»..

زفرت بدمعة وقلت «آمين»..

طلبت منهم أن يأخذوني معهم..

خرجوا.. تركوني وحيدًا كعادتهم..

الهاتف يرن..

ترفع أمي السماعة..

تسقط السماعة.. يتبعها سقوط دمعة.. وقع حادث..

لم يمت أحد من إخوتي..

حقق الله أمنياتهم..

أصبحوا مثلي تمامًا..

تغيير الطريق لن يضمن لك تفادي نفس الأخطاء..

تمنّى امرأة تستيقظ في المستشفى..

بجانبها رجل أسمر بملامح غريبة ونظرة حادة..

لا تستطيع تذكر أي شيء عن نفسها.. ولا حتى اسمها..

تصمت وتحدق بالرجل الأسمر بتوتر..

يكسر الرجل الصمت بقول: ماهي أمنيتكِ الثالثة؟

(المرأة): أي أمنية؟

(الرجل): لقد استهلكتِ أمنيتين وبَقِيَتْ واحدة (المرأة): لا أذكر أني تمنيت شيئًا منك (الرجل) بصرامة: لا تكثري الكلام وتمني!

فكرت المرأة قليلًا وقررت مجاراة الرجل في كلامه وقالت:

أتمنى معرفة من أنا..

(الرجل) وهو يبتسم: غريبة.. لقد كانت هذه أمنيتكِ الأولى.

(المرأة) باستغراب: وماذا كانت أمنيتي الثانية؟

(الرجل): أن تنسي من أنت..

لا أستطيعُ زرعَ القيمِ لكني أجيدُ حرث السيئات..

صخب الخسيف رجل يهوى الخروج بسيارته ذات الدفع الرباعي للصحراء..

لا يستمتع إلا عندما يقطع مسافات طويلة جدًا تنتهي به في قلبها..

ينفذ منه الوقود يومًا.. هاتفه لا يعمل لفقدان التغطية..

يترك سيارته ويبدأ في السير بحثًا عن النجاة..

ينتهي به المسير الطويل ليلًا عند بئر..

يرمي الدلو المربوط به ليروي عطشه..

لا يجد به ماء.. يتوسد البئر وينام..

استيقظ الرجل في منتصف الليل على صوت يناديه ويقول:

«هل ترغب في الماء؟» التفت الرجل يمينًا وشمالًا ولم يرَ أحدًا فظن أنه يحلم وعاد للنوم..

لم تمضِ دقائق على نومه حتى عاود الصوت الحديث معه:

«هل ترغب في الماء؟» نهض الرجل من مكانه مفزوعًا ليقينه هذه المرة بأنه سمع أحدًا يتحدث إليه وقال بصوت مرتفع:

مَن هنا؟!.. من هنا؟!

(صوت قادم من البئر): لا داعي للصراخ فأنا قريب منك..

توجه الرجل بسرعة ونظر في فوهة البئر المظلمة وقال:

من أنت؟!.. هل سقطت في البئر؟!

(الصوت القادم من البئر): أنا هنا منذ سنين..

(الرجل) بتعجب: ماذا تقصد؟.. من أنت؟

(الصوت القادم من البئر): خلق من خلق الله..

(الرجل) بوجه متوتر: هل أنت من الإنس؟

(الصوت القادم من البئر): لا..

(الرجل) بتوتر: جن؟!

(الصوت القادم من البئر): لا..

(الرجل) باستغراب: ما أنت إذًا؟

(الصوت القادم من البئر): خلق من خلق الله..

(الرجل) بقلق: وماذا تريد مني؟

(الصوت القادم من البئر): أريد أن أسقيك..

(الرجل): تسقيني ماذا؟

(الصوت القادم من البئر): ماء..

(الرجل): البئر جافة (الصوت القادم من البئر): لن تكون جافة عندما تعطيني المقابل (الرجل) بتوتر: وما المقابل؟

(الصوت القادم من البئر): أن تحل أحجية..

(الرجل): أحجية؟

(الصوت القادم من البئر): نعم..

(الرجل): وإذا لم أستطع؟

(الصوت القادم من البئر): سأعطيك أخرى..

(الرجل): موافق.. ما أحجيتك؟

(الصوت القادم من البئر): كيف تتكلم دون أن تتكلم؟

(الرجل) باستغراب: ما هذا السؤال الغريب؟

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل): حسنًا.. سأجيب (الصوت القادم من البئر):...

(الرجل): في الحلم (الصوت القادم من البئر): بالكتابة..

(الرجل) غاضبًا: إجابتي صحيحة أيضًا!

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل) بوجه عابس: نعم (الصوت القادم من البئر): كيف تتغلب على عدوك؟

(الرجل):...

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل): قتله؟

(الصوت القادم من البئر): بمصاحبته..

(الرجل): هل تهزأ بي؟

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل) وهو يزفر: هات ما عندك (الصوت القادم من البئر): ما الذي يبدأ لحظة ولادتك؟

(الرجل) مبتسمًا: هذه سهلة.. حياتي (الصوت القادم من البئر): بل موتك (الرجل) بصوت مرتفع: إذا كنت تريد مني أن لا أحل أحاجيك فقل ذلك لكن لا تختلق الأجوبة!

(الصوت القادم من البئر): لا يوجد موت بلا حياة وبمجرد ولادتك يبدأ عداد حياتك بالنقصان نحو موتك لذلك فولادتك هي بداية مماتك..

(الرجل) مبتسمًا: غير صحيح (الصوت القادم من البئر):...

(الرجل) مبتسمًا: ماذا عن قبل ولادتي وأنا في بطن أمي.. أليس من المحتمل أن أموت قبلها؟

صوت زمجرة قادمة من البئر..

(الرجل) مبتسمًا: أجبني (الصوت القادم من البئر): ارمِ الدلو في البئر..

(الرجل) وهو يحمل الدلو سعيدًا ويرميه داخل البئر ممسكًا بالحبل المربوط فيه:

تأكد من تعبئته جيدًا!

بعد ثوانٍ رفع الرجل الدلو المملوء بالماء وشرب منه بنهم لشدة عطشه، وعندما ارتوى جلس وأسند ظهره للبئر وبدأ يحدق بالنجوم، بقي الرجل على هذه الحال بعض الوقت حتى تحدث معه الصوت مرة أخرى وقال:

هل ترغب بالخروج من هنا؟

(الرجل) محدقًا بالنجوم دون أن يغير جلسته:

لا شك في ذلك..

(الصوت القادم من البئر):

سوف أرشدك لأقرب طريق يمكنك أن تسلكه لتصل لبشر (الرجل) وهو ينهض بحماس ويطل في البئر: كيف؟

(الصوت القادم من البئر): أشترط مقابلًا..

(الرجل) بوجه محبط: أحاجي أخرى؟

(الصوت القادم من البئر): نعم (الرجل) بوجه مكتئب: هات ما عندك (الصوت القادم من البئر): أي جزء من البعير به أكثر شعره؟

(الرجل) وهو محتار: سنامه؟

(الصوت القادم من البئر): جلده..

(الرجل) بصوت مرتفع: هذه الأحاجي غبية وكلها مراوغات!

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل) وهو يزفر: ليس لدي حل آخر (الصوت القادم من البئر): ما الذي يرغب الكثير في قتله لكنه يقتلنا جميعًا؟

(الرجل) مستهزئًا: أنت!

(الصوت القادم من البئر): الوقت..

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل) بحسره: تفضل (الصوت القادم من البئر): ما الشيء الذي يختفي عندما ننطق اسمه؟

(الرجل): دعني أفكر فهذه تبدو سهلة..

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل):...

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل):...

(الصوت القادم من البئر): الصمت..

(الرجل): لماذا حللتها؟!.. كنت أحتاج وقتًا أطول!

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل) بعصبية: إذا لم يكن لديك شيء آخر تقدمه فلا تسأل!

(الصوت القادم من البئر): ما الشيء الذي لن تراه أبدًا؟

(الرجل) بحسرة: طريق النجاة (الصوت القادم من البئر): الأمس..

(الرجل) بصوت مرتفع: هذه لم تكن إجابتي!

(الصوت القادم من البئر): لقد كانت إجابة (الرجل) بصوت مرتفع: ثم إن إجابتك خاطئة.. (الأمس) رأيناه ولن نراه مرة أخرى لكن ما لن نراه هو (الغد) لأنه عندما يحل يكون (اليوم)!

صوت زمجرة قادم من البئر...

(الرجل) مبتسمًا: ما هو الطريق؟

(الصوت القادم من البئر): اتجه شرقًا أو جنوبًا وسترى بشر..

(الرجل) مبتسمًا: سوف أتحرك مع أول إطلالة للفجر.. شكرًا أيها البئر (الصوت القادم من البئر): أنا لست البئر..

(الرجل) وهو يجلس مسندًا ظهره للبئر محدقًا بالنجوم:

أيًّ كنت.. شكرًا (الصوت القادم من البئر):...

بعد نصف ساعة تقريبًا غفت عين (الرجل) لكنه استيقظ على الصوت مرة أخرى وهو يقول:

هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل) والنعاس على وجهه: ماذا؟

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل) مبتسمًا وهو يغمض عينيه للعودة للنوم:

لم أعد بحاجة لحل أحاجيك فقد حصلت على طريق النجاة.

(الصوت القادم من البئر): ماذا عن ابنك المريض؟

(الرجل) وهو ينهض بسرعة: ماذا تقصد؟!.. ماذا تعرف عن ابني؟!

(الصوت القادم من البئر): أعرف أنه مصاب بمرض عضال لا يرجى منه شفاء وعلاجه سهل جدًا بالنسبة إليّ..

(الرجل) بصوت مرتفع: أخبرني!.. أخبرني ما علاجه؟!

(الصوت القادم من البئر): أحتاج مقابل..

(الرجل) بصوت مرتفع: اسأل ما تشاء!

(الصوت القادم من البئر): المقابل هذه المرة سيختلف عن السابق (الرجل): كيف؟

(الصوت القادم من البئر): الخطأ هذه المرة لن يغتفر..

(الرجل): ماذا ستفعل؟

(الصوت القادم من البئر): ستعاقب..

(الرجل): لا حاجة لي بأحجياتك!

(الصوت القادم من البئر): دع ابنك يموت إذًا..

(الرجل):...

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل): بشرط (الصوت القادم من البئر):...

(الرجل): أن تمهلني وقتًا أطول للإجابة (الصوت القادم من البئر): سأمهلك عشرة أضعاف الوقت السابق..

(الرجل) بحزن: حسنًا.. ما أحجيتك؟

(الصوت القادم من البئر): ما الذي لا نستطيع رؤيته عند حضوره؟

(الرجل) بقلق:...

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل) بحزن: الهواء؟

(الصوت القادم من البئر): الظلام..

(الرجل) بقلق: هل ستقتلني؟

(الصوت القادم من البئر): لا..

(الرجل) بتوتر: ماذا ستفعل إذا؟

سمع الرجل بعد سؤاله صوت طنين صاخب يزداد شيئًا فشيئًا وعندما التفت خلفه رأى سربًا من الجراد قادمًا نحوه وخلال ثوانٍ مر السرب من خلاله وبدأ بقرص وقضم جسده فبدأ بالصراخ من الألم ومع استمرار مرور سرب الجراد نزل الرجل على الأرض وأمسك برأسه حتى تجاوزه السرب، لم ينهض الرجل وظل على الأرض بثيابه الممزقة وبعض الجروح النازفة حتى سمع صوتًا يقول:

هل ترغب في أحجية أخرى؟

وقف الرجل واقترب من البئر وقال: نعم (الصوت القادم من البئر): ما الذي يفقد رأسه في الصباح ويستعيده في الليل؟

(الرجل):...

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل): بحسره: لا أعرف (الصوت القادم من البئر): الوسادة..

(الرجل) مبتسمًا بحزن: ما هو عقابك؟

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل):...

خرج من الأرض مجموعة من العقارب وبدأت بمطاردة الرجل الذي لاذ بالفرار مسرعًا مبتعدًا عنها لكن أعدادها الكبيرة والتي كانت تخرج من كل حدب وصوب تمكنت من اللحاق به ولم تنسحب حتى لدغته إحداها.

(الرجل) وهو يصرخ من الألم: أنت قلت بأنك لن تقتلني!

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل) بغضب: وما الفائدة إذا كنت سأموت؟!

(الصوت القادم من البئر): الإجابة ستكون ترياقك (الرجل) وقواه بدأت تخور: اسأل بسرعة!

(الصوت القادم من البئر): أولد من رحم الماء والماء هو قبري.. من أنا؟

(الرجل) وهو يمسك رأسه من الألم:...

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل):.. الثلج صوت زمجرة قادم من البئر..

بدأ الرجل بالشعور بالتحسن بعد إجابته..

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل): ما علاج ابني لقد حللت أحجيتك؟

(الصوت القادم من البئر): الحل كان ترياقك (الرجل) بحزن: أنا لن أخرج من هنا أبدًا، أليس كذلك؟

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل): هات ما عندك (الصوت القادم من البئر): تراه ولا يراك.. تلحق به ولن تصل إليه أبدا.. ما هو؟

(الرجل) مبتسمًا: السراب صوت زمجرة قادم من البئر..

(الرجل): ما علاج ابني؟

صوت زمجرة قادم من البئر..

(الرجل) بصوت مرتفع: ما علاج ابني؟!

(الصوت القادم من البئر): أن لا يتناول أي طعام لعشرة أيام ويكتفي بشرب منقوع العشبة المزهرة التي تنمو حول البئر (الرجل) وهو يجمع بعض من الأعشاب ويضعها في جيبه:

هل أنت متأكد؟

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل) وهو ينظر للشمس التي بدأت تشرق:

لا.. لقد اكتفيت منك ومن أحاجيك (الصوت القادم من البئر): لكنك لازلت تحتاجني..

(الرجل): أنا لا أحتاج شيئًا منك (الصوت القادم من البئر):

أحد الجهات التي ستسلكها ستكون خلاصك والأخرى هلاكك (الرجل): ماذا تقصد؟

(الصوت القادم من البئر): أحد الاتجاهات التي زودتك بها تنتهي إلى خيام قاطعي طرق وبمجرد رؤيتهم لك سيقتلونك (الرجل) بغضب: لقد خدعتني!

(الصوت القادم من البئر): أنا لم أخدعك.. لقد زودتك بالطريق الذي يقودك لبشر (الرجل): من أنت وماذا تريد؟

(الصوت القادم من البئر): خلق من خلق الله.. هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل): وهل ستعاقبني هذه المرة أيضًا لو أخطأت؟

(الصوت القادم من البئر): نعم (الرجل): لماذا؟

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل) بيأس: ما أحجيتك؟

(الصوت القادم من البئر): يدفن تحت التراب حيًا ويُخرج منه عندما يموت؟

(الرجل):...

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل): لا أعرف (الصوت القادم من البئر): البذرة (الرجل) وهو يتلفت حوله:...

لم يحدث شيء لثوانٍ حتى صرخ الرجل من ألم في يده وعندما رفعها وجد أن أحد أصابعه قد بتر والدماء بدأت تفور منه..

(الرجل): هل جننت؟!.. سوف أموت!

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

الرجل يصرخ من الألم ويركل البئر بقدمه..

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل) بصوت مرتفع: نعم!.. نعم!

(الصوت القادم من البئر):

كيف ترمي حجرًا لمسافة بعيدة وتجعله يعود إليك دون أن تتحرك؟

(الرجل) وهو يصرخ: لا أعرف!!

(الصوت القادم من البئر): ترميه للأعلى..

صرخ الرجل بعدها عندما بترت يده بالكامل..

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل) وهو يتنفس بثقل:...

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الرجل): نعم أيها اللعين..

(الصوت القادم من البئر): كيف تحيي الموتى؟

(الرجل) وهو يحس بالتعب والدوخان ويتكئ على البئر:...

(الصوت القادم من البئر):...

(الرجل) وهو يمسك نهاية ذراعه النازف: بتذكرهم..

صوت زمجرة قادم من البئر..

(الرجل) وهو يجلس من التعب ويغمض عينيه:...

(الصوت القادم من البئر): اتجه شرقا..

اتجه الرجل شرقًا..

سقط في منتصف الطريق..

لم ينهض الرجل..

نزف حتى فارق الحياة..

معظم من يتمنون العودة للماضي لايتذكرون سبب نسيانهم له..

ذلك الشعور هناك شعور ينتابني كل ليلة عندما أطفئ أنوار غرفتي وأقرر الخلود للنوم.. لا أعرف إذا كان هناك أحد غيري يمر بنفس ما أمر به كل ليلة.. أشعر دائمًا بأن أحدًا يراقبني.. يحدق بي من خلال تلك العتمة الحالكة بصمت.. لا يشاركني فراشي سوى أفكاري التي تحلق بين خيالاتي وتخطيطي للغد.. تفكير في الماضي والمستقبل..

في الأمس واليوم.. أعتقد أن هذه الأفكار التي تجتاحني كل ليلة ماهي إلا وسيلة للهروب.. للهروب من ذلك الهدوء المخيف في الغرفة والذي يحيط بي من كل جانب ويحتضنني بقوة.. خاصة في ليالي الشتاء الباردة.. أتعمد أحيانا التقلب في الفراش فقط لكسر ذلك الصمت والهدوء الخانق بصوت جسدي وهو يحتك بالوسادة واللحاف.. من وقت لآخر أسمع صوتًا أو أتوهم أني سمعت صوتًا.. صوتًا من آخر الغرفة.. صرير.. أو شيء مشابه له.. هنا تبدأ معاناتي وتتبدل أفكاري الجميلة لهواجس مخيفة تغزو عقلي وتجثم على صدري.. أسوأ ما في تلك الأصوات هو عدم قدرتي على التنبؤ بموعدها، فبمجرد سماعي لها أول مرة خلال استعراض شريط أفكاري تصيبني بالشلل التام والتسمر والتجمد المؤلم ترقبًا للمرة التالية التي ستباغتني فيها.. أحاول قدر الإمكان تبرير تلك الأصوات بأنها أمر طبيعي وأحاول بصعوبة العودة لتلك الأفكار والخيالات الجميلة التي كنت أتصفحها منذ قليل في عقلي، لكني أعود لها لأجدها أصبحت مظلمة ومخيفة ومليئة بالوساوس والقلق.. بعدما كانت تلك الأفكار هروبي من ذلك الصمت والهدوء المخيف أصبحت هي من يقودني عنوة نحوه.. بعد سماعي لذلك الصوت أصبح الصمت والهدوء مطلبي وجل أمنياتي بعدما كان هاجسي.. تمنيت أن يبقى الصمت حاضرًا حتى أغفو لكن ترقبي لصوت آخر يكسر حاجزه يجعلني في تكهن مؤلم وتوتر دائم.. صوت أنفاسي أصبح يخيفني.. أتمنى عدم سماعه.. الهدوء المؤقت أسوأ بكثير من الهدوء الدائم.. أشعر أن شيئًا قريبًا من وجهي.. يراقبني في تلك العتمة.. يهيأ لي أن أنفاسي ترتد من على وجهه لوجهي.. لا يمكنني الجزم فالظلام دامس.. أغمض عيناي خشية رؤية شيء يوقف قلبي حتى وإن كانت العتمة تعمي بصري.. أشعر براحة أكبر بعدما أغمضت عينيي.. أحس بأنها غطاء واقي من كل الشرور التي تتربص بي في الظلام وتختبئ خلف الصمت.. الخوف يتراكم شيئًا فشيئًا في قلبي من شيء أجهله ولا أراه لكني أحس به.. أحتاج غطاء آخر.. سأرفع اللحاف فوق رأسي.. شعور جديد بالأمان.. أحس بأن الخوف بدأ يزول بعدما وضعت حاجزًا بيني وبين من يراقبني.. الحرارة الخانقة لأنفاسي تزداد.. أحتاج للنفس.. لا يمكنني الاستغناء عن درعي الواقي.. ماذا أفعل؟.. سأحاول الاسترخاء واستعادت أفكاري الجميلة.. لا فائدة.. يجب أن أرفع الغطاء وأحرر تلك الحرارة الخانقة لأنفاسي.. سأرفع الغطاء وعيناي مغمضة.. هذا أفضل بكثير..

أحس بنسمة باردة تعيد الحياة لأنفاسي.. كنت كالغريق وقد خرجت للتو من الماء.. أشعر بالنعاس الآن.. سأنام وأخوض تلك التجربة وذلك الشعور المرير مرة أخرى غدًا..جواهر ١٩٩١ م

الأسئلةُ في هذا العالمِ أكثرُ من الأجوبةِ فلا تحرص على المساهمةِ في فائضٍ وتهمل التعويضَ في نقص..

هذا ما حدث معي قناة إذاعية تقدم برنامجًا بعد منتصف ليل كل جمعة..

يتلقى البرنامج مشاركات هاتفية من المستمعين الراغبين في الحديث عن أمور غريبة حدثت معهم..

(المذيع): صباح الخير.. نلتقي في حلقة جديدة من برنامجنا الأسبوعي ((هذا ما حدث معي)) وكي لا نضيع الوقت ولنتلقى أكبر عدد من المشاركات سوف نتحول مباشرة للاتصال الأول.. تفضل
(المتصل ١): السلام عليكم.

(المذيع): وعيلكم السلام.. تفضل.

(المتصل ١): اسمي (ماجد) وأرغب في المشاركة.

(المذيع): تفضل يا (ماجد)..

(ماجد): حسنا.. أنا إنسان منطقي ولا أؤمن بمسألة الأشباح أو العفاريت والجن وغيرها من هذه الأمور، لا شك أني مؤمن بوجود الجن كما ذكر بالقرآن لكني لست مؤمنًا أبدًا بظهورهم أو قدرتهم على الدخول لعالمنا أو رؤيتنا لهم بأي شكل من الأشكال.

(المذيع): ألا تؤمن بتشكلهم؟

(ماجد): أومن بقدرتهم على ذلك لكن لست مقتنعًا بأن هذا يحدث في زماننا فالمسألة لا تدخل العقل.. على أي حال دعني أكمل..

(المذيع): تفضل..

(ماجد): في أحد المرات التي كنت أقطع فيها طريق سفر طويل بالسيارة ليلًا توقفت عند محطة مهجورة تقع عند مفترق الطريق الكبير قبل البلد التي كنت متوجها لها..

(المذيع): ولمَ توقفت عندها إذا كانت مهجورة؟

(ماجد): كنت بحاجة ملحة للذهاب لدورة المياه (المذيع): وما حاجتك للمحطة فالعراء حولك على مد البصر أليس كذلك؟

(ماجد): أعرف لكنني لا أستطيع قضاء حاجتي في مكان مفتوح.. الأمر نفسي لا أكثر.. كنت أحتاج نوعًا من الغطاء أو الجدران كي أستطيع قضاء حاجتي براحة فقلت في نفسي إن دورات المياه القديمة ستكون مكان مناسبًا لذلك.

(المذيع): فهمت قصدك.. أنا لا أستطيع شرب الماء إلا إذا كان معبأ في قارورة ولا أستطيع شربه من كأس أبدًا مثل حالتك تمامًا.

(ماجد):.. نعم.. مع فارق التشبيه طبعًا..

(المذيع) وهو يضحك: نعم أكمل..

(ماجد): المهم.. أوقفت السيارة ودخلت لدورات المياه المهجورة وبالرغم من أنها هجرت لفترة من الزمن إلا أن رائحتها كانت سيئة جدا، وكان الهواء في ذلك المكان مكتومًا بشكل غريب، ولم يكن هناك أي إنارة سوى بصيص من نور القمر المكتمل والذي كان يمر من خلال بعض النوافذ ذات الزجاج المهشم، لذا استعنت بنور هاتفي كي أجد طريقي حتى وجدت مكانا مقبولًا بعض الشيء لقضاء حاجتي.

(المذيع) وهو يضحك: أتمنى أنك لن تغوص في التفاصيل أكثر فلقد وصلنا إلى حدث لا يهم المستمعين معرفة تفاصيله.

(ماجد): وقتها سمعت ذلك الصوت.

(المذيع): صوت ماذا!

(ماجد) وهو يزفر: صوتًا مخيفًا كان قادمًا من إحدى دورات المياه المجاورة لي.. صوتًا أشبه بشخص يضحك وفي فمه ماء.. قهقهة غريبة.. لا أعرف.. كان صوتًا بشعا جدًا.. كانت الضحكة الأولى خفيفة لكنها كانت كافية كي أنهض قبل أن أقضي حاجتي.

(المذيع): وماذا حدث بعد ذلك؟

(ماجد): تحركت نحو باب الخروج بالطبع.. لقد اهتز كل ماكنت مؤمنًا به ذلك اليوم.. وعند وصولي للسيارة توقفت.

(المذيع): لماذا؟

(ماجد): لم أكن مصدقًا لانجراف خيالي وكنت وقتها مقتنعًا أن هناك تفسيرًا منطقيًا لما سمعت لذا قررت العودة.

(المذيع): تفكير منطقي..

(ماجد): كان يجب أن أتأكد مما سمعت أو تخيلت سماعه.

(المذيع): وهل تأكدت؟

(ماجد): عدت لدورة المياه ودخلت بحذر وتوجهت للمكان الذي صدر منه الصوت وقبل وصولي للمكان سمعت الضحكة مرة أخرى.. سمعت تلك القهقهة البشعة.. كانت أعلى من السابق وكأنها سعيدة بعودتي.. لم أستطع التقدم أكثر في الظلام لذا قررت استخدام إضاءة هاتفي كي أرى أمامي..

(المذيع): وماذا حدث بعد ذلك؟

(ماجد): رأيته.

(المذيع): رأيت ماذا؟!

(ماجد): رأيته يطل برأسه مبتسمًا من إحدى دورات المياه.. كانت ابتسامته عريضة جدًا ووجهه مغطى بمادة مخاطية شفافة غريبة.. عيناه.. عيناه سوداء وخالية من البياض كأعين الدمى.. جلده أبيض يميل للزرقة.. كان بشعًا جدًا (المذيع): وماذا فعلت؟

(ماجد): ماذا تظن أني فعلت؟... هربت جريًا بسرعة من المكان ولم أسمع سوى قهقهته خلفي.. لم ألتقط أنفاسي إلا بعدما ركبت السيارة مبتعدًا عن ذلك المكان..

ومنذ ذلك الوقت لا أستطيع دخول دورات مياه الطرق.

(المذيع):...

(ماجد): أعرف أنك لا تصدقني.. أنا لا زلت لا أصدق ما رأيته..

(المذيع): لا لا أبدا أنا أصدقك الحمد لله على سلامتك وشكرًا لمشاركتك.. لنأخذ اتصال آخر (المتصل ٢): صباح الخير (المذيع): صباح النور.. تفضل (المتصل ٢): أنا (سعد).. قصة المشارك الذي كان قبلي ذكرتني بقصة حدثت لي على طريق سفر أيضًا لكني بعكسه مؤمن جدًا بالعالم الآخر ومؤمن أنهم حولنا دائمًا وتواصلهم معنا ممكن لكن لا أعرف كيف ومتى يحدث ذلك!

(المذيع): هل تود مشاركتنا بتلك القصة؟

(سعد): نعم.. خلال سفري بالسيارة في أحد الليالي، أدركتني صلاة العشاء في الطريق وكنت أقود بسرعة؛ كي أتوقف عند أحد محطات الطريق لأصلي في مساجدها، لكن كانت المسافة بيني وبين

أقرب محطة طويلة لذا قررت التوقف جانبًا لأداء الصلاة كي أقود باطمئنان، تيممت لأن الماء كان شحيحًا معي وقتها..

كبّرت بنية صلاة العشاء قصرًا.. بدأت بقراءة الفاتحة سرًا.. قبل أن أركع للركعة الأولى لمع نور قوي خلفي فتوقعت أنها سيارة قد توقفت خلفي، أحسست بالارتباك خلال صلاتي فالمكان كان مقطوعًا، وقطاع الطرق يملؤون المنطقة وأنا في هذا الوضع غنيمة سهلة.

(المذيع): لماذا لم تنتظر حتى تصل لمكان آمن لأداء الصلاة فوقت صلاة العشاء ممدود؟

(سعد): لا أعرف لم أكن مرتاحًا لتأخيرها..

(المذيع): ماذا حدث بعد ذلك؟

(سعد): انطفأ النور الذي لمع خلفي وبعدها بقليل وقف بجانبي شخص وكبر للصلاة فعرفت أنه مسافر مثلي وتوقف ليصلي معي، انتهيت من الركعة الأولى وعند وقوفي للركعة الثانية بدأت بالقراءة جهرًا. وخلال قراءتي ظهر نور آخر كما في المرة السابقة، واختفى النور وبعدها بقليل تراجع الشخص الذي كان بجانبي فعلمت أن هناك شخص آخر انضم للجماعة، أكملت الفاتحة ولم يرد أحدٌ خلفي بقول «آمين» فكبرت وأتممت ركعتي، في التشهد الأخير وبعد التسليمة الثانية شعرت بالخوف..

(المذيع): لماذا؟

(سعد): بدأت اسمع دويًا كدوي النحل..

(المذيع): من أين كان يأتي الصوت؟

(سعد): اعتدلت في جلستي والتفت خلفي فشاهدت منظرا مهيبًا.

(المذيع): ماذا شاهدت؟

(سعد): شاهدت المصلين الذين كنت أؤمهم..

(المذيع): ما بهم؟

(سعد): لقد كانوا بالمئات.. بل الألوف.. كانت خلفي حشودًا جالسة تسبح وتهلل.. كانت أعدادها ممتدة على مد البصر..

(المذيع): وماذا فعلت؟

(سعد): جريت مباشرة نحو سيارتي وأدرت المحرك وانطلقت مسرعًا مبتعدًا عن ذلك المكان قدر الإمكان..

(المذيع): قصة غريبة..

(سعد): هل تظن أني كنت أتخيل؟

(المذيع): لا أعرف.. لا أعتقد.. شكرًا على اتصالك ومشاركتك يا (سعد)..

(المذيع): معنا اتصال جديد.. تفضل عرفنا بنفسك (المتصل ٣): هل أنا على الهواء؟

(المذيع): نعم تفضل.

(المتصل ٣) بتوتر: لدي قصة غريبة..

(المذيع): لا بأس لكن هل يمكننا التعرف عليك أولًا؟

(المتصل ٣): هل أنا مجبر على الإفصاح عن اسمي؟

(المذيع): لا أبدًا تفضل.

(المتصل ٣): شكرًا.. حدث معي شيء في أول أيام زواجي.. كنت لازلت متعودًا على السهر بعكس زوجتي التي كانت تنام مبكرا، كانت لا تمانع سهري ما دمت في المنزل ولم أخرج مع أصدقائي.. كانت تتضايق من هذا الأمر في بداية زواجنا.

(المذيع) وهو يضحك: هذا أمر طبيعي في بداية الزواج..

(المتصل ٣) وهو يضحك: نعم أعرف ذلك الآن، فهي من يذكرني بمواعيد خروجي لأصدقائي الآن..

(المذيع): ما القصة إذًا؟

(المتصل ٣): في ليلة من الليالي استيقظت زوجتي في ساعة متأخرة وجلست بجانبي وأنا أشاهد التلفاز واقترحت علي أن ألعب معها لعبة.

(المذيع): لعبة؟

(المتصل ٣): نعم لعبة.. لعبة الاستغماء.. كانت تريد تسليتي على حد قولها بدل السهر أمام التلفاز..

(المذيع): وما المشكلة في ذلك؟

(المتصل ٣): اشترطت إطفاء أنوار غرف المنزل كلها وأن تكون أماكن الاختباء في الطابق السفلي فقط.

(المذيع):...

(المتصل ٣): اختبأت وبدأت بالعد.. أخبرتني بأن أعد للرقم ١٢، ولا تسألني لماذا لأني تحديدًا لا أعرف.

(المذيع): وماذا حدث بعد ذلك؟

(المتصل ٣): انتهيت من العد وبدأت بالبحث عنها.. بحثت في جميع الغرف ولم أجدها وعندما يئست من إيجادها ناديت عليها وطلبت منها الخروج فسمعتها تضحك من غرفة كنت قد بحثت سابقًا فيها ولم أجدها بها، توجهت لتلك الغرفة التي أتى منها الضحك وبحثت مرة أخرى ولكني لم أجدها أيضًا لكني سمعت ضحكتها مرة أخرى آتيه من غرفة مختلفة وتكرر الأمر أكثر من مرة بين غرفة وأخرى حتى بدأت أناديها بصوت عالٍ وأخبرتها أني عجزت وأنها قد انتصرت علي وأني سأتوقف عن اللعب الآن..

(المذيع): ثم ماذا حدث؟

(المتصل ٣): أشعلت جميع الأنوار وبدأت بمناداتها كي تظهر.

(المذيع): وهل ظهرت؟

(المتصل ٣): نعم.. رأيتها تنزل من الطابق العلوي.

(المذيع) وهو يضحك: هل كانت تغش في اللعبة؟

(عادل): لم تكن تعرف شيئًا عن اللعبة لأنها قد استيقظت للتو من النوم بسبب مناداتي لها بصوت مرتفع ولم تكن تعرف شيئًا عندما أخبرتها عمَّا حدث..

(المذيع): من الذي كان يلعب معك إذًا؟

(المتصل ٣): لا أعرف ولا أريد أن أعرف..

(المذيع): شكرًا لاتصالك.. لنأخذ اتصالًا آخر.

(المتصل ٤): آلو..

(المذيع): تفضل عرفنا بنفسك.

(المتصل٤): آه.. أنا (سعيد).. لدي قصة لا أعرف إذا كانت مناسبة لموضوع البرنامج!

(المذيع): أخبرنا بها وسنحكم..

(سعيد): أنا أهوى صيد السحالي في الصحراء منذ صغري كنت ألاحقها دائمًا وأمسكها بيدي وألعب معها..

(المذيع): تلعب معها أو بها؟

(سعيد): وما الفرق..؟

(المذيع): لا عليك.. أكمل..

(سعيد): في يوم لمحت سحلية كبيرة جدًا لكن حجمها لم يكن سبب انجذابي لها بل لونها..

(المذيع): لونها؟

(سعيد): نعم لونها.. كانت بيضاء وهذا أمر لم أرَه في حياتي من قبل.

(المذيع): وماذا فعلت؟

(سعيد): قمت بملاحقتها.

(المذيع): لتلعب معها بالطبع؟

(سعيد): نعم.

(المذيع): عذرًا على السؤال يا (سعيد).. كم عمرك؟

(سعيد): ٢٢ عامًا (المذيع): وكم كان عمرك عندما رأيت هذه السحلية البيضاء؟

(سعيد): الحادثة حدثت منذ أسبوع فقط..

(المذيع): آه.. فهمت.. تفضل أكمل.

(سعيد): حسنًا.. لحقت بها بالسيارة في بادئ الأمر، وعندما اقتربت منها انطلقت بسرعة غريبة.. لم أرَ سحلية تنطلق بهذه السرعة من قبل.. قمت بملاحقتها حتى دخلت جحرها فنزلت من السيارة وتوجهت للجحر..

(المذيع): متى كان ذلك؟.. أقصد في أي وقت من اليوم؟

(سعيد): نهاية العصر وبداية المغرب تقريبًا.

(المذيع): تفضل أكمل وعذرًا على المقاطعة.

(سعيد): لا أبدًا لا بأس.. وصلت للجحر وكما هي العادة عندما تدخل السحالي جحورها أقوم بملء ذلك الجحر بدخان عادم السيارة بواسطة خرطوم كنت أحتفظ به لهذا الغرض كي تختنق السحلية وتخرج وأمسك بها..

(المذيع): وهل خرجت؟

(سعيد): لا.. وهذا نادرًا ما يحدث إلا إذا كان للجحر مخرج آخر..

(المذيع): ماذا فعلت إذًا؟

(سعيد): مددت يدي داخل الجحر.

(المذيع): ألم تخشَ وجود دواب أخرى في ذلك الجحر؟

(سعيد): في العادة يكون هناك بعض العقارب في جحور السحالي لكني لم أهتم (المذيع):...

(سعيد): بدأت بالبحث والتحسس بيدي داخل الجحر حتى أحسست بشيء فأمسكته وبدأت أشده لإخراجه (المذيع): هل كانت السحلية؟

(سعيد): لا أعرف لأن ذلك الشيء بعدما شددته أمسك بذراعي وبدأ هو يشدني لداخل الجحر.

(المذيع):...

(سعيد): قاومت بكل قوتي لكن ذلك الشيء كان قويًا جدًا وعندما وصل كتفي لفوهة الجحر بدأت أسمع عظامي وهي تفرقع من قوة السحب.. وقتها أحسست أن ذراعي سينفصل عن جسدي..

(المذيع): ماذا فعلت إذا؟

(سعيد): بدأت بالصراخ والاستنجاد من الألم والخوف عندما رأيت قرص الشمس يحط في المغيب..

(المذيع): وكيف تحررت؟

(سعيد): عندما نزلت من السيارة لم أطفئ المحرك وكانت السيارة والمذياع يعملان وكنت استطيع سماع المحطة الإذاعية التي كنت أستمع إليها قبل نزولي من السيارة لأني أحب سماع المذياع بصوت مرتفع خلال القيادة..

(المذيع): وما علاقة هذا بتحررك؟

(سعيد): انتقلت المحطة إلى فاصل لآذان المغرب، وبمجرد أن بدأ المؤذن بالآذان تركني ذلك الشيء الذي كان ممسكًا بذراعي..

(المذيع): قصة غريبة.. هل لازلت تمارس هواية مطاردة السحالي بعد هذه الحادثة..

(سعيد) وهو يضحك: نعم فبعد خروجي من المستشفى لعلاج الكسور التي أصابت ذراعي وكتفي عدت مباشرة لهوايتي لكني هذه المرة أصبحت أكثر حذرًا..

(المذيع): كيف..؟

(سعيد): أصبحت أشغل القرآن دائمًا بصوت مرتفع عندما أخرج للصحراء لوحدي (المذيع) وهو يضحك:

بالتوفيق يا (سعيد) وكان الله في عون السحالي.. لنأخذ اتصالًا آخر..

(المتصل ٥): السلام عليكم..

(المذيع): وعليكم السلام.. أنتِ أول متصلة معنا اليوم تفضلي..

(المتصل ٥): أنا (مرام).. ليس لدي قصة محددة لكني أعاني من حالة مستمرة معي إلى اليوم..

(المذيع): حدثينا عنها (مرام): أملك قدرة.. لا أعرف إذا كانت هبة أم لعنة لكنها تضايقني وتضايق من حولي.

(المذيع): ماهي؟

(مرام): أستطيع توقع الأحداث.. السيء منها على وجه الخصوص..

(المذيع): لم أفهم قصدك.

(مرام): على سبيل المثال عندما أتحدث مع شخص ما أستطيع الإحساس ما إذا كان سيتعرض لحادث أو مشكلة ما.. لا أرى أي تفاصيل لكني أحس بذلك ودائمًا ما يكون حدسي في محله.

(المذيع): وما المشكلة في ذلك؟

(مرام): في مرة كنت أتحدث مع صديقة لي وأخبرتها بأني أحس أن أيام أبيها معدودة وبالفعل توفى أبوها بعد أيام من حديثي معها ومنذ ذلك الوقت لم تتحدث معي.

(المذيع): لا يعلم الغيب إلا الله وفي الغالب إنها مجرد مصادفة.

(مرام): لم أخطئ يومًا أبدًا..

(المذيع) وهو يضحك: وما هو إحساسك تجاهي إذا؟

(مرام): الإحساس لا يأتي باختياري..

(المذيع): متى يأتي إذا؟

(مرام) لا أعرف كل ما أعرفه أنه إذا جاء يصيب.

(المذيع): لا تحكي إحساسك لأحد إذا.

(مرام): هذا ما أقوم به الآن.. لقد خسرت الكثير من الأقرباء والأصدقاء بسبب أحاسيسي ولا أرغب في خسارة المزيد..

(المذيع): أتمنى لكِ التوفيق يا (مرام) في حياتك، هل لديك شيء آخر ترغبين في إضافته؟

(مرام): لا شكرًا (المذيع): معنا اتصال من (عدي) تفضل..

(عدي): السلام عليكم (المذيع): وعليكم السلام تفضل ماهي مشاركتك؟

(عدي): أنا لا أعاني من شيء لكن أمي تعاني.

(المذيع): كم عمرك يا(عدي)؟

(عدي): ٩ سنوات (المذيع): ولماذا أنت مستيقظ في هذه الساعة؟

(عدي): بسبب أمي.. أخبرتك أنها تعاني من مشكلة.

(المذيع): وماهي مشكلتها؟

(عدي): تبكي طيلة الليل ولا تنام.

(المذيع): لماذا؟

(عدي): تغير حالها منذ أن حاولت غسل الحمام.

(المذيع): لم أفهم قصدك.

(عدي): أنا وأمي نعيش مع أخوتي منذ وفاة أبي وتقوم بكل مهام المنزل لوحدها.. أحاول مساعدتها على قدر استطاعتي لكنها تجهد نفسها كثيرًا.. تعمل في الصباح وتعود من عملها مرهقة وتبدأ في التنظيف والطبخ طيلة اليوم.

(المذيع): هل لديك إخوة؟

(عدي): نعم.. أخ وأخت أصغر مني (المذيع): ربما يكون بكاؤها بسبب افتقادها لأبيك.

(عدي): لا فهي لم تكن تبكي هكذا قبل غسل للحمام.

(المذيع): ما حكاية غسلها الحمام هذه لم تخبرني؟

(عدي): أمي تقوم ببعض مهام الغسيل في الليل.. تغسل ملابسنا والأطباق وتمسح الأرض في الليل دائمًا لا أعرف لماذا لكنها تحب القيام بهذه الأعمال في الليل فقط.

(المذيع): قلت أن لديك أخوة.. كم عددهم؟

(عدي): في يوم قررت غسل دورات المياه في المنزل ورأيتها غاضبة عندما اكتشفت أن مساحيق التنظيف نفذت فقررت غسل الحمامات بالماء الساخن لأنها مهووسة بالنظافة والتعقيم ولم تكن تستطيع النوم دون تنظيف كل شيء.

(المذيع): وما الذي حدث بعد ذلك؟

(عدي): لا أعرف بالضبط لكنها دخلت دورة المياه وأغلقت على نفسها الباب، وبدأت بالتنظيف بالماء الساخن وبعد قليل سمعنا أنا وأخوتي صوت صرخة مخيفة (المذيع): هل كانت أمك التي صرخت؟

(عدي): لا فالصوت كان مختلفًا..

(المذيع): وماذا حدث بعد ذلك؟

(عدي): خرجت أمي مفزوعة من دورة المياه وأخذتني أنا وإخوتي لغرفتها واحتضنتنا ونامت معنا تلك الليلة ومنذ ذلك اليوم وهي تبكي كل ليلة.

(المذيع): هل عرضت نفسها على طبيب؟

(عدي): لا يسمحون لها..

(المذيع): من الذين لا يسمحون لها؟

انقطع الاتصال.. (المذيع): يبدو أن الاتصال مع (عدي) قد انقطع.. لنأخذ اتصالًا أخر.. آلو تفضل أنت على الهواء.

(المتصل ٧):...

(المذيع): هل لا زلت على الخط؟

(المتصل ٧):.. أنا..

(المذيع): تفضلي (المتصل ٧): أنا.. (نورة) (المذيع): أهلًا (نورة) هل لديك مشاركة؟

(نورة): أهلي يقولون أني أتكلم وأضحك خلال نومي.. وأبكي أحيانًا كما يقولون.

(المذيع): هذا أمر طبيعي.

(نورة): أستيقظ بكدمات وجروح متفرقة على جسدي أحيانًا..

(المذيع):...

(نورة): لا أستيقظ بها إلا عندما يأتيني في أحلامي..

(المذيع): من؟

(نورة): لا أعرف.. رجل بلا ملامح..

(المذيع): هل يقوم بإيذائك؟

(نورة):...

(المذيع): إنها مجرد كوابيس.

(نورة): مؤخرًا بدأت أراه..

(المذيع): تقصدين ملامحه.

(نورة): لا.. أقصد أني بدأت أراه في الواقع.

(المذيع): كيف؟

(نورة): أراه في المرآة مرات ومرات، أصطاد لمحة منه وهو يتجول في المنزل أو أرى انعكاس صورته في الأواني وغيرها.. لا أحد يصدقني لكني أراه وأحس به.

(المذيع): هل قمتِ بمراجعة الطبيب؟

(نورة): لا أشكو من أي علة.

(المذيع): متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟

(نورة): إنه معي الآن في غرفتي.. يجب أن أذهب الآن.

انقطع الاتصال..

(المذيع): آلو.. آلو... لنأخذ.. لنأخذ اتصالًا آخر (المتصل ٨): السلام عليكم.

(المذيع): وعليكم السلام تفضلي.

(المتصل ٨): أنا (هند) وحكايتي حدثت عندما كنت صغيرة في سن السابعة.. كنت ألعب في المنزل لوحدي وأمي كانت في الطابق العلوي وأبي كان خارج المنزل.. كنت ألعب بالكرة.. أركلها بقوة في الجدار كي ترتد علي لأركلها مرة أخرى.. كان الوقت في المساء قرابة التاسعة.. خلال لعبي سمعت أو تخيلت أني سمعت صوتًا يقول «متى ستنامين؟» لم أُعِر أي انتباه لذلك الصوت وشيء في داخلي أقنعني بأنها أمي تناديني من الطابق العلوي؛ لذلك استأنفت اللعب وركل الكرة في الجدار.

(المذيع): هل يمكنك وصف ذلك الصوت.. أقصد هل كان صوت رجل أو امرأة مثلًا..

(هند): لا هذا ولا ذاك كان أشبه بصوت طفلة في عمري (المذيع): كيف ظننتِ إذًا بأن صاحب الصوت هو أمك؟

(هند): كما أخبرتك كنت صغيرة ولم أفكر كثيرًا وقتها.

(المذيع): حسنًا أكملي..

(هند): ظللت أركل الكرة في الجدار وبعد قليل سمعت صوت أمي تناديني وتقول «انتهي وقت اللعب اصعدي لغرفتك ونامي».. وقفت مكاني ولم أستجب لها..

(المذيع): لماذا؟

(هند): لأن الصوت كان قادمًا من المطبخ وأنا متأكدة من أن أمي كانت في الطابق العلوي.

(المذيع): ماذا فعلت إذا؟

(هند): عدت لركل الكرة وتجاهلت الصوت لكن لم تمضِ دقائق حتى سمعت صوتًا آخر قادما من الطابق العلوي.. كانت أمي.. تنادي وتقول «تعالي يا (هند) إلى غرفتي أريد التحدث معك»
(المذيع): وهل ذهبتِ؟

(هند): نعم وبدأت بصعود السلم لكنني فوجئت بأمي وهي تنزل من الأعلى وهي مرعوبة وتقوم بالتقاطي وحملي لخارج المنزل.. بقينا في الخارج حتى عاد أبي فذهبت إليه أمي مسرعة وهي تبكي وتتحدث معه.. لم أسمع حوارهما لكني علمت منها بعدما سألتها بعد سنوات عن سبب ما قامت به وسبب رعبها ذلك اليوم فقالت لي:

«لقد سمعت من كان يناديك من غرفتي وأنا كنت أنظف غرفتك»..

لم نرَ أحدًا ذلك اليوم ولم يتكرر الصوت بعدها ولم نبقَ في ذلك المنزل طويلًا بسبب إصرار أمي على الانتقال إلى منزل آخر وهو ما قام به أبي بعد عدة أسابيع.

(المذيع):.. قصة غريبة.. كم عمرك الآن (هند)؟

(هند): خمس وعشرون سنة (المذيع): شكرًا لمشاركتك وأتمنى لكِ حياة سعيدة.. لنأخذ اتصالًا آخر.. آلو تفضل.

(المتصل ٩): آلو.. السلام عليكم.

(المذيع): وعليكم السلام.

(المتصل ٩): أنا (فراس) وأرغب في المشاركة (المذيع): تفضل يا (فراس) كلنا نسمعك (فراس): أنا حارس في أحد المجمعات التجارية.. أوقات عملي تبدأ بعدما يفرغ المجمع بالكامل من الزوار أقوم بعدها بجولة تفقدية أخيرة للتأكد من عدم وجود أي أشخاص داخل المجمع قبل إغلاق جميع بواباته بالكامل والخروج.

(المذيع): ألا تبقى داخل المجمع للحراسة؟

(فراس): لا فمكاني موجود خارج البوابة الرئيسية.. كشك صغير (المذيع): تفضل أكمل.

(فراس): في الغالب أقضي ليالي عملي في قراءة الجرائد والتدخين وشرب الشاي والقهوة.. عملي ممل لكنه مريح فأنا لا أضطر لمواجهة الناس والاحتكاك معهم والتعامل مع مشاكلهم التي لا تنتهي فهذا عمل زملائي الآخرين المسؤولين عن النوبات الصباحية والمسائية، لكن في إحدى الليالي تغير كل ذلك فخلال جلوسي وأنا أقرأ الجريدة سمعت طرقًا قويًا على زجاج المجمع من الداخل، فالتفت لأرى فتاة صغيرة تبكي وتدعك وجهها في الزجاج بصورة غريبة.. نهضت من مكاني مسرعًا وتوجهت لفتح البوابة لإخراجها فالأمر لم يكن غير مألوف فبعض العائلات ينسون أطفالهم في المجمع ولا يكتشفون ذلك إلا متأخرًا.

(المذيع): أمر غريب.. كيف لا يلاحظون فقدان أطفالهم بمجرد ركوبهم السيارة؟

(فراس): لا أعرف لقد رأيت ذلك يحدث أكثر من مرة وفي بعض الأحيان لا ينتبهون إلا في اليوم التالي.

(المذيع): أمر غريب غريب.

(فراس): ليس هذا ما أثار استغرابي.

(المذيع): ماذا إذًا؟

(فراس): عندما وصلت للبوابة الرئيسية لفتحها توجهت الفتاة ووقفت أمام الباب وتوقفت عن البكاء وبدأت تبتسم بطريقة غريبة..

(المذيع): لعلها كانت سعيدة لأنك ستفتح لها الباب.

(فراس): لقد كانت لا تتجاوز الخامسة؛ وأي طفلة في عمرها لن تتوقف عن البكاء بهذه السهولة ولن تبتسم بتلك الطريقة المخيفة، وما زاد قلقي هو أنني كنت متأكدًا من أني تفحصت المجمع جيدًا قبل إغلاقه، ولم أرَها أو أسمعها تبكي فلو كانت تبكي لكان من السهل سماع بكائها لأن المكان كان خاليًا وهادئًا جدًا.

(المذيع): كل هذا خطر ببالك وأنت تقف أمام الباب؟

(فراس):عندما تكون في الحراسة الليلية يكون الحذر من أساسيات عملك.

(المذيع): ماذا فعلت إذًا؟

(فراس): تحدثت معها من خلف الباب وسألتها مع من كانت في المجمع؟.. قالت إنها كانت مع أمها.. لم تعجبني إجابتها لأنها لم تبدُ قلقة أو حزينة، بل كانت تجيب بثقة غريبة فسألتها سؤالًا آخر لكنها لم تجب عليه بل بدأت بالصراخ بغضب وبصوت مرتفع ومخيف، وبدأت تركل في الزجاج بقوة حتى ظننت أنه سينكسر.. تراجعت للخلف واتصلت بالشرطة فقامت بالجري داخل المجمع بسرعة..

(المذيع): وماذا حدث بعد حضور الشرطة؟

(فراس): فتحت لهم البوابة ولم أدخل معهم وأخبرتهم أن هناك طفلة ضائعة في المجمع فاستغربوا من عدم مصاحبتي لهم وتحججت بأني لا يمكنني ترك البوابة بدون حراسة ويجب أن أغلقها خلفهم خلال بحثهم عنها.

(المذيع): وهل وجدوها؟

(فراس): لا.. أمضوا داخل المجمع قرابة الساعة من البحث، أشعلت لهم فيها جميع الأنوار لكن دون جدوى.. ومنذ ذلك اليوم استبدلت مناوبتي الليلة مع زميلي الآخر الذي كان سعيدًا ومستغربًا لأنني تخليت عن تلك الفترة الليلية المريحة.

(المذيع): شكرًا لمشاركتك يا (فراس) لكن هل لي بسؤال قبل أن ترحل؟

(فراس): تفضل.

(المذيع): ماذا كان السؤال الثاني الذي سألته للطفلة والذي غضبت بعده ولم تجب عليه؟

(فراس):.. لماذا تسأل؟

(المذيع): مجرد فضول..

(فراس):.. كان سؤالًا عارضًا ولم أفكر به لكن يبدو أنه أثار حفيظتها.. سألتها وقلت لماذا شعرك مبتل بالماء؟

(المذيع): فقط؟

(فراس): نعم فقط (المذيع): شكرًا (فراس).. لنأخذ فاصل إعلاني ثم نعود بعدها بعد الفاصل..

(المذيع): عدنا لكم أعزائي المستمعين والساعة الآن الواحدة صباحًا ومستمرين في أخذ اتصالاتكم حتى الثالثة فجرًا.. معنا الآن اتصال.. تفضل (المتصل ١٠): مرحبًا (المذيع): مرحبًا بك عرفنا بنفسك وماهي مشاركتك؟

(المتصل ١٠): حسنًا.. أنا (نبيل) أعمل كطبيب عام في أحد المستشفيات الخاصة كنت مناوبًا ذات ليلة مع طاقم محدود من الممرضين والممرضات وبعض عمال الصيانة والتنظيف ولم نتلقَ تلك الليلة أي حالة خطرة تستوجب حضور أي طبيب مختص؛ حتى دخل علينا رجل يسند بكتفه رجلًا آخر وأخبرنا بعدما وضعنا المصاب على طاولة الفحص بأنه صدم هذا الرجل في الشارع وأغمي عليه وبالرغم من أن الصدمة كانت قوية إلا أنه لم يُرَ أي جروح ظاهرة على جسده أو أي ضرر واضح سوى فقدانه للوعي، لذا حمله وأحضره إلينا كي نتأكد من سلامته (المذيع): هل أبلغتم الشرطة؟

(نبيل): نعم فهذا شيء روتيني نقوم به في مثل هذه الحالات بالرغم من أن المصاب لم يكن يحمل أي وثائق تدل على هويته ولا حتى هاتف محمول. كانت جيوبه خالية تمامًا لكننا لم نفكر كثيرًا في الأمر لأن التعرف على هويته كان من اختصاص الشرطة وهدفنا الأول والأخير التأكد من سلامته.

(المذيع): وماذا حدث بعد ذلك؟

(نبيل): قمنا بجميع الفحوص الأولية اللازمة وكانت النتيجة غريبة (المذيع): غريبة كيف؟

(نبيل): المصاب بالرغم من تعرضه لصدمة قوية حسب ما ذكر الرجل إلا أنه لم يعاني من أي رضوض أو جروح ظاهرة لذا اضطررنا لأخذ بعض الصور بالأشعة السينية وهنا كانت الصدمة.. الصور لم تظهر أي عظام.

(المذيع): تقصد أنها لم تظهر أي عظام مكسورة؟

(نبيل): لا.. لم تظهر أي عظام في جسد الرجل وكأن جسده مجوف وخاوي من الداخل، مع أنني يمكن أن أتحسسها بيدي المجردة لكنها في صور الأشعة لا تظهر، فطلبت من الممرضة إعادة التصوير لأنني كنت على يقين أن هناك مشكلة في الجهاز.

(المذيع): وهل أظهرت الصور الأخرى شيئًا؟

(نبيل): لم نتمكن لأن جهاز نبضات القلب لم يكن يشير لأي نبضات بعدما قمنا بإيصاله لذا أعلنت وفاته في تلك اللحظة، لكن ما جعلني أقف محتارًا ومرعوبًا بعض الشيء هو أنني أستطيع وبكل وضوح رؤيته وهو يتنفس، كنت أرى رئته ترتفع وتنزل أمامي وجهاز القلب يشير بأنه لا يملك

نبضًا.. أمسكت بمعصمه والذي كان باردًا كالموتى فلم أجد أي نبض.. الرجل يظهر جميع علامات الميت لكنه لازال يتنفس..

(المذيع): وماذا فعلتم بعد ذلك؟

(نبيل): في هذه الأثناء وصلت الشرطة فخرجنا أنا والممرضة التي كانت معي لاستقبالهم وعندما عدنا معهم ليروا المصاب لم نجده على السرير.. اختفى.. لم يكن له أثرًا في الغرفة.

(المذيع): كيف اختفى.. هل أفاق؟

(نبيل): لا أعرف فالغرفة لم يكن بها نافذة وخارجها كانت تقف ممرضة وأكدت أنها لم تتحرك من مكانها ولم ترَ أحدًا يخرج من الغرفة..

(المذيع): وماذا عن الرجل الذي صدمه؟

(نبيل): كان جالسا في غرفة الانتظار.. تحدثت الشرطة معه ولم يخبرهم بشيء مفيد سوى أن ذلك الرجل خرج أمامه فجأة في وسط الشارع ولم يرَه قادمًا من جهة.. أغلقت الشرطة القضية ولم توجه أي تهمة للرجل.. ولم أجد حتى هذا اليوم أي تفسير علمي لما رأيته ذلك اليوم..

(المذيع): شكرًا دكتور (نبيل).. شكرًا على مشاركتك.. لنأخذ اتصالًا آخر (المتصل ١١): السلام عليكم.. أنا (منيرة) وأرغب في المشاركة.

(المذيع): تفضلي يا (منيرة) ماهي مشاركتك؟

(منيرة): مشاركتي قد تختلف قليلًا عن المشاركات السابقة لكنها شيء أرعبني ولا زال يرعبني إلى هذا اليوم.. جدتي تعيش معنا وكنت مقربة جدًا منها.. كنت الأقرب بين إخوتي لها، ودائمًا كانت تعتمد علي في قضاء حوائجها وأنا كنت سعيدة بذلك لأنني كنت أبتغي رضا الله ورضا والداي.

(المذيع): بارك الله فيك.

(منيرة): في أحد الأيام طُرق باب منزلنا ولم يكن في المنزل غيري أنا وجدتي، ففتحت الباب ورأيت امرأة تتسول فطلبت منها الانتظار حتى أطلب من جدتي بعض المال لها، وعندما أخبرت جدتي عنها نهضت وخرجت لها لنجدها قد دخلت فناء المنزل وافترشت الأرض، غضبت جدتي عندما رأتها بتلك الصورة وصرخت فيها وطلبت منها الخروج، وقفت المرأة وقالت «أين إحسانكم لي؟» صرخت فيها جدتي وقالت «ليس لكِ إحسان عندنا!» لكن المرأة أصرت أن لا ترحل دون أن تأخذ حسنتها فقلت لجدتي «أعطيها أي شيء ودعيها ترحل..» رفضت جدتي أن تستمع لكلامي

وتوجهت للمرأة وبدأت تدفعها للخارج.. غضبت المرأة مما فعلته جدتي بها وبعد خروجها من عتبة الباب قالت بعد أن بصقت على الأرض«سبعة أيام..» ورحلت..

(المذيع): وماذا حدث بعد ذلك؟

(منيرة): نسيت جدتي الأمر لكني لم أنسَ كلمتها.. وبعد مرور سبعة أيام وفي نفس اليوم والساعة التي حضرت فيها تلك المرأة لمنزلنا سقطت جدتي ميتة أمامنا..

(المذيع):...

(منيرة) وهي تبكي: أنا متأكدة من أن تلك المرأة لها علاقة بموتها لكن لا أحد يصدقني وينهرونني عندما أتحدث في الموضوع.

(المذيع): لا بأس.. رحمها الله وغفر لها.. شكرًا يا (منيرة) على مشاركتك.. لنأخذ اتصالًا آخر..

(المتصل ١٢): آلو..

(المذيع): تفضل عرفنا باسمك وماهي مشاركتك؟

(المتصل ١٢): أنا (بدر) ومشاركتي هي عن حادثة حدثت لي مع أخي عندما كنا صغار قبل ٤٥ سنة تقريبًا، ولم أحكِ ما حدث لنا لأحد من قبل حتى لأمي وأبي رحمهم الله لم أخبرهم قط بما حدث.

(المذيع): تفضل يا (بدر).

(بدر): عندما كنت في العاشرة من عمري كنت أنا وأخي ننام في غرفة واحدة.. لم يكن لدينا أخوة آخرين وكان هو في الخامسة من عمره.. كانت البيوت في ذلك الوقت من الطين ولم تكن النوافذ مغطاة بالزجاج.. بل في الواقع لم يكن هناك نوافذ كثيرة في المنزل لكن غرفتنا كان بها نافذة.. كان أخي يخاف كثيرًا بسببها ويخيل له أمور لا وجود لها لذا كان من وقت لآخر ينام معي في فراشي، وأنا كنت أسمح له بذلك ولا أمانع.. كانت أمي مدركة لخيالات أخي تلك لكنها لم تكن قلقة لأنه كان معي وكنت أحميه وأطمئنه على الدوام.

(المذيع): من الجميل أن يكون لك أخ كبير تعتمد عليه.

(بدر): لكني خذلته.

(المذيع): كيف؟

(بدر): في أحد الأيام كنا نلعب في الخارج وقبل دخولنا للمنزل هز أخي كتفي ليريني شيئًا ما على الشجرة فالتفت ولم أرى شيئًا، وهذا ليس أمر مستغرب على أخي وخيالاته المتكررة لكنه وعندما دخلنا للمنزل بدى مرعوبًا جدًا على غير عادته.. كان يقضم أظافره بتوتر فسألته عما يقلقه فقال لي إن الشيء الذي رآه على الشجرة كان يحدق به وكان مخيفًا.. ابتسمت وطلبت منه وصف الشيء الذي رآه لأنه في العادة يرتاح إذا فعل ذلك لكن هذه المرة زاد خوفه وقلقه وهو يصف لي ذلك الشيء لدرجة أنه عانقني وبدأ بالبكاء.

(المذيع): ماذا قال تحديدًا.. أقصد في وصفه لما رآه؟

(بدر): قال إنه رأي شيئًا ظن أنه طيرٌ أسود ضخم في البداية لكنه عندما أمعن النظر فيه رأى أن عيناه حمراء ووجهه شبه بشري وكأنه رجل عجوز.. استغربت من كلامه وطريقته في الوصف لأنه في العادة لا يصف خيالاته بهذه الدقة وهذه التفاصيل لأن خياله كان محدودًا ومع ذلك تجاهلت كلامه.. في المساء وعندما حل موعد نومنا لم أستغرب من أن أخي كان يرغب في النوم معي تلك الليلة لكن ما أثار استغرابي هو رغبته على غير العادة في إبقاء النور مضاءً وهو الأمر الذي رفضته لأني لا أستطيع النوم مع وجود النور.

(المذيع): أنا مثلك تماما.

(بدر): خلدنا للفراش وعانقني أخي بقوة غريبة وكان يقول «لا تجعله يأخذني..» ابتسمت له وقلت «أعدك بأنه لن يأخذك..» اطمأن أخي ونام على صدري..

استيقظت بعد مدة من غفوتي على صراخه القادم من أحد زوايا الغرفة المظلمة.. نهضت مفزوعًا وأشعلت النور.. ورأيته..

(المذيع): رأيت أخاك؟

(بدر): رأيت ذلك الشيء الذي وصفه لي.. (عيناه حمراوان.. جسده المغطى بما يشبه الريش الأسود.. وجهه المتجعد وفمه الكبير والممتلئ بالأسنان الطويلة والمطبقة على عنق أخي النازف والذي بدا لي أنه فارق الحياة.. تسمرت لثوانٍ ثم اندفعت بلا شعور نحو ذلك الشيء المطبق على رقبة أخي.. لم ألحق به لأنه حلق وخرج من خلال النافذة وهو يحمله معه.

(المذيع):...

(بدر): دخل أبي الغرفة ودخلت أمي بعده وبدأت بالصراخ عندما رأت بقعة الدم المتجمعة في زاوية الغرفة.. سألوني عما حدث.. لم أستطع الإجابة.. أبلغوا الشرطة.. ولم نرَ أخي منذ ذلك اليوم..

بدأ (بدر) بالبكاء قليلًا ثم انقطع الاتصال..

(المذيع): ش.. كرًا.. شكرًا (بدر) على مشاركتك.. سوف نأخذ استراحة بسيطة مع الإعلانات وسنعود بعد قليل..

(المذيع): عدنا لكم من جديد ومع اتصال آخر.. تفضل..

(المتصل ١٣):...

(المذيع): تفضل أنت على الهواء (المتصل ١٣):... أنا.. أنا (هياء)..

(المذيع): تفضلي يا (هياء) ماهي مشاركتك؟

انقطع الاتصال..

(المذيع): يبدو أن الاتصال انقطع.. لنأخذ اتصالًا آخر..

(المتصل ١٤): السلام عليكم.

(المذيع): وعليكم السلام.. تفضل.

(المتصل ١٤): أنا (صلاح) وقصتي قد تبدو غريبة ولن ألوم أحدًا إذا لم يصدقها لأنني كنت في السابق مكذبًا لها عندما رواها أبي لي أول مرة.

(المذيع): هل القصة حدثت لك أم لأبيك؟

(صلاح): حدثت لنا نحن الاثنين لكن في أوقات مختلفة.

(المذيع): كيف لم أفهم؟

(صلاح): كان أبي عائدًا من الخارج ذات يوم في ساعة متأخرة من الليل.. كنت وقتها فتىً صغيرًا في الحادية عشرة من عمري.. كانت تلك الليلة ماطرة وكنا أنا وأمي في انتظاره لأنه خرج بسيارته لإحضار دواء تستخدمه أمي دائمًا، ولا تستطيع النوم بدونه وعند دخوله علينا كان أبي يرتجف. ظننا في بادئ الأمر أنه كان يرتجف من البرد لكن وبمجرد أن نظرنا في عينه عندما جلس أمامنا اكتشفنا أنه يرتجف من الخوف فسألته أمي عن سبب الحالة التي كان فيها قال: إنه خلال ذهابه للصيدلية قرر أن يسلك طريقًا مختصرًا للمدينة لأننا كنا نقيم في قرية مجاورة لها..

كان هذا الطريق غير معبد ومع المطر كان طينيًا وخطرًا، لكنه كان يختصر مسافة طويلة.. وحسب ما ذكر أبي تلك الليلة أنه وخلال سيره بحذر في ذلك الطريق الموحل شاهد فتاة واقفة على جانب الطريق تحت المطر المنهمر فتوقف بجانبها وأنزل النافذة وطلب منها الركوب كي يوصلها.. كانت

الفتاة تنظر للأرض ولم تنظر لأبي ولم ترد عليه.. كرر أبي سؤاله لها لأنه وحسب قوله لم يستطع ترك تلك الفتاة في ساعة متأخرة من الليل في هذا المكان المقطوع وخاصة تحت المطر.. استجابت الفتاة لنداء أبي الثاني وأمسكت بمقبض باب السيارة وفتحته وركبت بجانبه.. حرك أبي السيارة وخلال الطريق حاول التحدث معها لكنها لم تكن ترد.. حاول معرفة مكان سكنها كي يوصلها لكنها لم ترد أيضًا وعند اقترابه من نهاية الطريق الموحل وبدء الطريق المعبد هدأ أبي من سرعة السيارة والتفت على الفتاة وسألها مرة أخرى عن الوجهة التي ترغب أن يأخذها إليها وهذه المرة التفتت عليه.

(المذيع): وماذا قالت له؟

(صلاح): لم ينتظر أبي كي يسمع ما تقوله تلك الفتاة لأنه قفز من السيارة وهي لازلت تتحرك..

(المذيع): قفز؟.. لماذا؟

(صلاح): لأنه رأى وجهها.. وجهها الذي وصفه لي مع أمي تلك الليلة وفي كل مناسبة يجدها ليحذرني من سلك ذلك الطريق الغير معبد بعدما بدأت أقود السيارة لاحقًا عندما كبرت.

(المذيع): ماذا قال لكم؟

(صلاح): قال إنه رأى فتاة بلا أعين أو أنف.. وجهها كان مهترئًا وممزقًا وفمها مفتوح وبعض أسنانها مفقودة.. عاد بعدها أبي للسيارة ولم يجدها فأكمل طريقه للمدينة ثم عاد إلينا..

(المذيع): وما علاقتك أنت بالقصة؟

(صلاح): منذ أن وصف أبي لي ملامح تلك الفتاة طاردتني الكوابيس لسنوات عديدة حتى كبرت وأدركت أن أبي ربما كان يتخيل وأنني قد عشت وهمًا طيلة أيام حياتي وقد ورثت منه خوفًا شل حياتي لفترة حتى استطعت التحرر من ذلك الوهم.

(المذيع): هذا جيد.

(صلاح): لكن حدث شيء أعادني لنقطة البداية من جديد.

(المذيع): ماذا حدث؟

(صلاح): بعدما كبرت وبدأت الدراسة في المرحلة الجامعية انتقلت للمدينة وأقمت هناك وأصبحت أزور أهلي كل نهاية أسبوع وكان أبي يحذرني دائمًا من استخدام ذلك الطريق المختصر للوصول

للقرية وكنت أسمع كلامه لكنني وفي أحد الأيام وخلال توجهي من المدينة للقرية تأخرت وخفت أن لا أصل لأهلي الذين كانوا ينتظروني على العشاء كعادتهم كل أسبوع في الوقت المناسب.

(المذيع): فسلكت الطريق المختصر..

(صلاح): نعم.

(المذيع): وهل رأيتها؟

(صلاح): بعد مسافة قصيرة من دخولي لذلك الطريق المختصر رأيت فتاة على قارعة الطريق فجف الدم في عروقي وقررت أن أقود بكل سرعتي لتجاوزها لكنني وفي لحظة قلت في نفسي «ماذا لو كانت فتاة عادية وخوفي من هلوسات أبي قد يعرضها للخطر؟».. قررت التوقف.. توقفت بجانبها.. كانت تنظر للأرض.. تحدثت معها.. رفعت رأسها..

(المذيع): ولم تكن هي..

(صلاح): بل كانت هي بعينها كما وصفها أبي تمامًا لكنها هذه المرة بدأت بالصراخ بقوة.. أحسست أن جسدي كله ينتفض من الرعب.. صدري ضاق بقوة وقلبي كاد أن يقفز من مكانه.. لو كنت أكبر عمرًا لتعرضت لسكتة قلبية من ذلك الرعب الذي اعتراني..

(المذيع): وماذا فعلت؟

(صلاح): انطلقت بسرعة هائلة ولم أتوقف إلا عند باب منزلنا.

(المذيع): وهل وصلت في موعدك؟

(صلاح): نعم ودخلت على أهلي ووجدتهم حول المائدة فجلست معهم فنظر أبي لي ورأى في عينيي شيئًا دفعه للقول مبتسمًا «لقد رأيتها أليس كذلك؟» نظرت في عينه ولم أنطق بكلمة واكتفيت بهز رأسي بالموافقة..

(المذيع): شكرًا يا (صلاح) لمشاركتنا.. نحتاج لفاصل قصير ثم سنعود..

بعد الفاصل..

(المذيع): عدنا لكم أعزائي المستمعين مع اتصال جديد.. تفضل..

(المتصل ١٥): صباح الخير أنا (عزام) وعمري ستة عشر عامًا ولدي قصة حدثت لي منذ أسابيع قليلة..

(المذيع): تفضل كلنا آذان صاغية..

(عزام): لا أعرف من أين أبدأ؛ لكني فتى لا يحب الخروج من المنزل كثيرًا.. لست منطويًا على نفسي أو مكتئبًا، لكني أُفضل الجلوس أمام شاشة الحاسوب وتصفح الإنترنت واللعب مع أصدقائي من خلال الشبكة العنكبوتية طيلة اليوم لدرجة أني أتناول وجباتي في غرفتي خلال جلوسي على الإنترنت..

(المذيع): لكن هذا الأمر غير صحي..

(عزام): أعرف لكن ما باليد حيلة..

(المذيع): لا بأس أكمل..

(عزام): كان لدي الكثير من الأصدقاء على الإنترنت بعكس الواقع فأنا لا أملك الكثير من الأصدقاء الحقيقيين.. أقصد من أقابلهم وجهًا لوجه.. كان أعز أصدقائي على الشبكة العنكبوتية (مراد) وهو من ((مصر)) تعرفت عليه من خلال أحد الألعاب وأصبحنا صديقين منذ ذلك الوقت.. نقضي الليل أحيانًا في الحديث والدردشة وتبادل مقاطع الفيديو والصور والضحك عليها أو مناقشة محتواها..

(المذيع): يبدو أنك تعز هذا الصديق..

(عزام): نعم جدًا لكن في أحد الليالي كنا نتحدث عبر الكاميرا وهذا شيء اعتدنا عليه وكنا نطفئ أنوار غرفنا كي لا يزعجنا أحد من أهلنا بسبب تأخر الوقت.. كنا نشاهد أنفسنا من خلال ضوء الشاشة والذي كان كافيًا وخلال حديثي معه استأذنته للذهاب لدورة المياه وعندما عدت رأيته وهو مرتبك وخائف وبمجرد رؤيته لي قال: أين كنت ومن هذا الذي معك في الغرفة؟! فقلت له باستغراب: عن ماذا تتحدث؟ فقال بصوت مرتفع قليلًا: بعد خروجك من الغرفة شاهدت شيئًا يتجول في غرفتك لكنه لم يكن واضحًا إلا عندما اقترب من الشاشة ونظر فيها بوجهه.. لقد كان رجلًا بوجه شاحب وأعين بيضاء مخيفة.. هل هذه مزحة منك؟! دب الرعب في قلبي ولم أرد على (مراد) وتوجهت لنور الغرفة وأشعلته..

(المذيع): وهل رأيت شيئًا؟

(عزام): لا.. ولكن..

(المذيع): ولكن ماذا؟

(عزام): رأيت فراشي مقلوبًا ووسادتي مرمية على الأرض، وأنا كنت متأكدًا من أنهما لم يكونا بهذه الحالة عندما أطفأت النور أول مرة.. أغلقت المحادثة مع (مراد) ونمت تلك الليلة في رعب..

(المذيع): شكرًا لمشاركتك وحاول أن تقلل من السهر.. لنأخذ اتصالًا آخر.

(المتصل ١٦): السلام عليكم..

(المذيع): وعيلكم السلام.. تفضل.

(المتصل ١٦): لقد حدث معي شيء مريب قبل أيام وأرغب بالمشاركة.

(المذيع): هل يمكننا التعرف عليك أولًا؟

(المتصل ١٦): أفضل عدم الافصاح عن اسمي.

(المذيع): لا بأس تفضل.

(المتصل ١٦): كنت يومًا أتصفح الإنترنت وكنت أشعر بالملل فقررت القيام بشيء أتوقع أن أغلب الناس قام به؛ وهو البحث عن اسمه في محرك البحث.

(المذيع): أنا قمت بذلك أكثر من مرة.

(المتصل ١٦): لكن ما حدث معي لا أظنه حدث مع الكثير أو حدث مع أحد على الإطلاق..

(المذيع): ماذا حدث؟

(المتصل ١٦): كتبت اسمي الثلاثي في محرك البحث وكانت النتائج متنوعة بين تشابه وتطابق لاسمي الأول أو اسمي الأول والأخير أو اسمي الأول والثاني لكن واحدًا من نتائج البحث لفت انتباهي.. كان اسمي الثلاثي مذكور في أحد مواقع التواصل الاجتماعي.. دخلت على الموقع فوجهني لتلك الصفحة التي ذكر فيها اسمي فاكتشفت شيئًا مثيرًا للاهتمام..

(المذيع): ماذا؟

(المتصل ١٦): وجدت أنها صفحة تعريفية لشخص في هذا الموقع وكانت المعلومات التي كتبها عن نفسه مطابقة لي.. يوم ميلاده واهتماماته وحتى تخصصه في الجامعة مطابق لي تمامًا.. كلما تعمقت في القراءة عنه ازداد قلقي وتوتري..

(المذيع): أمر غريب فعلًا!

(المتصل ١٦): ما زاد الأمر غرابة هو عندما بدأت أقرأ حواراته مع بعض المتابعين لصفحته فقد كان يحب نفس نوع الموسيقى التي أحبها ويشجع نفس النادي الذي أشجعه.. بدأ الأمر يصبح مخيفًا أكثر من مثير (المذيع): وماذا فعلت؟

(المتصل ١٦): الشيء الوحيد الذي كان مختلفًا في صفحته عني هو بريده الإلكتروني فقررت مراسلته للتعرف عليه لعلها فعلًا مصادفة.. أرسلت له رسالة أخبرته فيها أني رأيت صفحته بالمصادفة وأني لاحظت أن هناك تشابه كبير بيننا وبغباء مني أخبرته عن مكان مدينتي وعمًّا إذا كان يود مقابلتي لو كانت مدينته قريبة..

(المذيع): لم يكن ذلك تصرفًا حكيمًا.. هل جاءك رد؟

(المتصل ١٦): في اليوم التالي فتحت الإنترنت وتوجهت لصفحته لكني استغربت بأن حسابه قد مسح بالكامل وكأنه لم يكن ولم يكن هناك أي أثر له.. حتى عندما قمت بالبحث عن الاسم في محرك البحث مرة أخرى لم أجد نتيجة مطابقة لاسمي الثلاثي لم أجد سوى تلك النتائج السابقة فقررت الاطلاع على بريدي فوجدت رسالة واحدة في صندوق الوارد.. كانت منه.. كان مكتوب فيها سطر واحد فقط.. سطر جعلني لا أنام منذ ثلاثة أيام.

(المذيع): ماذا كان مكتوبًا؟

(المتصل ١٦): كان مكتوب في الرسالة: «أخيرًا وجدتك..» (المذيع): هل قمت بإبلاغ الشرطة؟

(المتصل ١٦): نعم ولازال البحث عن الشخص قائما..

(المذيع): شكرًا.. شكرًا على اتصالك.. وأتمنى أن ينتهي الأمر على خير.. لنأخذ اتصالًا آخر..

(المتصل ١٧): صباح الخير.

(المذيع): صباح النور تفضل.

(المتصل ١٧): أنا (عبد الرحمن) وأرغب في المشاركة.

(المذيع): على الرحب والسعة.. تفضل.

(عبد الرحمن): عمري ٣٢ عامًا ووعلاقتي جيدة مع الناس ماعدا أخي الأصغر والذي يصغرني بسنوات قليلة.. تقارب أعمارنا كان من المفترض أن يجعل منا متوافقين ومتقاربين أكثر لكن هذا لم يحدث نهائيًا كنا في شجار وخلاف دائم.. كانت الأسباب في الغالب تافهة لكننا لا نستطيع أن نبقى تحت سقف واحد دون شجار.

(المذيع): هل كنتم دائمًا هكذا؟

(عبد الرحمن): لا أبدا.. كنا مقربين جدًا من بعضنا عندما كنا صغارًا لكن بعد سنوات من دخولي الثانوية ودخول أخي المتوسطة بدأنا في الافتراق تدريجيًا (المذيع): هل كان هناك سبب محدد؟

(عبد الرحمن): لا أذكر..

(المذيع): تفضل أكمل.

(عبد الرحمن): قبل شهر تشاجرت مع أخي شجارًا قويا جدا انتهى بطردي له من منزلي فخرج غاضبًا وصفع الباب بقوة خلفه، لكنه وبعد دقائق عاد وطرق الباب ففتحت له ورأيت على وجهه نظرة لم أرَها منذ سنين.. نظرة حزن يخالطها ابتسامة خفيفة.. دخل المنزل وجلس وقال: لماذا نفعل بأنفسنا ما نفعله؟.. ألم يحن الوقت كي نتصالح؟.. لم أرَ أخي بهذا اللطف منذ سنوات فجلست أمامه أستمع له وهو يتحدث بلطف معي ويعتذر عن كل ما حدث وبدر منه في الماضي ويطلب مني الصفح عنه.. كان تحولًا غريبا لكنه كان تحولا سعيدًا..

(المذيع): هذا أمر جميل.. ماذا حدث بعدها؟

(عبد الرحمن): جلسنا نتحدث عن ذكريات طفولتنا الجميلة.. كنا نضحك ونتمازح.. وهذا أمر لم نقم به منذ سنين طويلة.. أخبرني أخي خلال هذا الحوار أننا أضعنا سنوات في خلافات تافهة وكان من الأحرى أن نستغلها في صنع ذكريات جميلة سويًا.. بعد نصف ساعة تقريبًا من الحديث أخبرني أخي بأنه يجب عليه الذهاب ولأول مرة منذ سنوات أطلب منه البقاء وتناول الغداء معي لكنه أجابني بإجابة غريبة..

(المذيع): ماذا قال؟

(عبد الرحمن): قال إنه لا يستطيع اليوم ولكنه سينتظرني يومًا ما.. وبعدها خرج.. بعد خروجه بدقائق تلقيت مكالمة هاتفية من زوجته وهي تبكي وقالت إن أخي تعرض لحادث قبل نصف ساعة وقد توفي في المستشفى منذ دقائق..

(المذيع):... شكرًا لمشاركتك يا (عبد الرحمن) ورحم الله أخاك.. لنأخذ اتصالًا آخر..

(المتصل ١٨): أهلًا.. أنا (عيسى) ولدي مشاركة إذا تكرمت..

(المذيع): أهلًا بك يا (عيسى).. تفضل (المتصل ١٨): كنت خارجًا مع صديق لي في المساء للاحتفال بترقيته في وظيفته وتناول العشاء في مطعم فاخر على شرفه.. عندما خرجنا من المطعم توجهنا لأحد المقاهي وجلسنا على الطاولة وقبل أن نطلب شيئًا بحثت عن هاتفي ولم أجده فقال

صديقي: لعلك نسيته في المطعم.. فقلت له: لنعد حالًا لنبحث عنه فقال: لا داعي لذلك فالمطعم محترم ولن يسرقوا هاتفك خذ هاتفي واتصل به وسيردون عليك.. أخذت هاتفه واتصلت على هاتفي..

(المذيع): وهل أجاب أحد على الهاتف؟

(عيسى): نعم لكنه لم يكن أحد موظفي المطعم..

(المذيع): من إذا؟

(عيسى): من رفع السماعة لم يتكلم بل اكتفى بالتنفس بعمق في السماعة وقبل إغلاقه للخط ضحك بصوت مخيف فقال صديقي وهو يضحك: يبدو أن أحدًا سرق هاتفك من المطعم قبل أن يجده أحد الموظفين انسَ الأمر واشترِ لك هاتفًا جديدًا.. تقبلت فكرة ضياع هاتفي للأبد حتى عدت للمنزل ووجدته على سريري..

لقد نسيته في المنزل ولم أخرج به من الأساس وعندما فتحته وجدت أن هناك من رد علي من خلاله في نفس الوقت الذي اتصلت به بهاتف صاحبي..

(المذيع): من الذي رد عليك إذا؟

(عيسى): لا أعرف.. حقيقةً لا أعرف..

(المذيع): شكرًا لاتصالك ومشاركتك يا (عيسى).. لنأخذ فاصل ونعود بعد الفاصل..

(المذيع): عدنا لكم في الساعة الثالثة والأخيرة من البرنامج لذا لن نضيع الوقت وسوف نتوجه للمتصل التالي.. آلو تفضل أنت على الهواء..

(المتصل ١٩): السلام عليكم أنا (كوثر) وأرغب في المشاركة (المذيع): تفضلي يا (كوثر) ماهي مشاركتك؟

(كوثر): أنا من عائلة أفرادها كثر.. لدي أربع أخوات وخمسة إخوة ترتيبي بينهم الثانية بعد أخي الأكبر.. كنا مقربين جدًا من أمي وأبي ومن بعضنا البعض ومن النادر أن تجد بيننا خلاف أو شجار وهذا أمر حسدنا عليه الكثير.. كنا نعيش في منزل صغير لكنه كان حميميًا.. كان البنات ينامون في غرفة والأولاد في غرفة وأمي وأبي في الغرفة الثالثة والأخيرة في المنزل.. كنا جميعًا نتشارك في دورتي مياه فقط كان المطبخ صغيرًا لكننا كنا سعداء جدًا..

(المذيع): يبدو أن علاقتكم ببعض متينة.

(كوثر): أكثر مما تتصور لكن في يوم تغير كل ذلك..

(المذيع): كيف؟

(كوثر): لم نشتكِ يومًا لأبي عن ضيق أو صغر المنزل لكنه كان دائمًا يبحث عن مكان أكبر كي ننتقل إليه لكن ظروفه المادية كانت محدودة لذا لم ننتقل بسرعة.. لم يكن أحد منا يعرف بنية أبي للانتقال سوى أمي وأخي الأكبر الذي كان يساعده في البحث.. في يوم دخل علينا أخي الكبير وهو مبتسم وقال: لقد وجدنا منزلًا أكبر من هذا المنزل وبنصف قيمة الإيجار التي ندفعها الآن..

(المذيع): لماذا كان المنزل رخيصًا هكذا؟.. هل كان في حي سيء؟

(كوثر): بالعكس تمامًا كان في حي أرقى وشوارعه كانت أوسع.. كان أفضل من منزلنا الحالي من جميع النواحي.

(المذيع) باستغراب: لماذا فرق السعر إذا؟

(كوثر): لم يخبرني أخي في البداية لكن عندما انتقلنا أصررت على أمي حتى أخبرتني تحت وعد مني بعدم إخبار بقية أخوتي.

(المذيع): بماذا أخبرتك؟

(كوثر): أخبرتني أن المنزل لم يكن مرغوبًا به لأنه مسكون.

(المذيع): مسكون؟

(كوثر): نعم.. هذا ما أخبر صاحب المنزل أبي به من باب إبراء الذمة فلقد كان صاحب المنزل صريحًا منذ البداية لكن أبي لم يصدق كلامه وانتهز الفرصة وكتب معه عقدًا في الحال.

(المذيع): وهل كان المنزل فعلًا مسكون؟

(كوثر): أنا الآن أكلمك بعد خروجنا من ذلك الجحيم فلقد مرت أعوام طويلة على تلك الأحداث في ذلك المنزل ولقد استمعت لبرنامجك بالصدفة وأحببت مشاركة بعضها معك.

(المذيع): تفضلي..

(كوثر): القصص التي حدثت لنا في ذلك المنزل كثيرة ولن أذكر إلا أبرزها فلقد اضطررنا على البقاء سنة كاملة فيه وهي مدة العقد التي وقعه أبي ولم نستطع الانتقال قبل انقضائها.

(المذيع): كان يمكنكم ترك المنزل لستم مجبرين على البقاء..

(كوثر): ظروفنا المادية لم تكن تسمح في ذلك الوقت لدرجة أن أبي فكر بتجديد العقد سنة أخرى لولا إصرار أمي على الانتقال..

(المذيع): حدثينا عمَّا حدث..

(كوثر): الحادثة الأولى حدثت في اليوم الأول لأخي الأوسط عندما ذهب للاغتسال في أحد دورات المياه الأربع التي كانت في هذا المنزل.. سمعنا صراخًا قادمًا منها ونحن لا زلنا نفرغ أمتعتنا في بقية الغرف.. توجهنا مسرعين نحو مصدر الصراخ ودخلنا دورة المياه لنجد أخي يبكي على الأرض وعندما سألناه عن السبب قال إنه رأى ظلًا خلفه في المرآة.. لم نعر الأمر اهتمامًا كثيرًا ونسبناه لخياله الذي قد يكون بسبب انتقاله لمنزل ومكان جديد، لكن الأمر تكرر مرة أخرى في نفس اليوم مساءً مع أختي الصغرى.

(المذيع): ماذا حدث؟

(كوثر): سمعناها تصرخ أيضًا لكن هذه المرة من المطبخ وعندما ذهبت أنا وأمي لها وجدناها ترتعد في أحد زوايا المطبخ وتشير بإصبعها نحو الثلاجة.. فتحت الثلاجة بحذر ولم نجد شيئا؛ فسألناها عن سبب صراخها فقالت إنها عندما فتحت الثلاجة قفزت منها قطة سوداء.. نظرنا لها باستغراب ثم قلت: وأين ذهبت تلك القطة؟ قالت: لا أعرف فقد أغمضت عينيي.. توزعنا تلك الليلة على الخمس غرف التي كانت في المنزل كنت أنا وإحدى أخواتي في غرفة والثلاث الأخريات في غرفة أخرى افتقدتهم ولم أحب التوزيع الجديد..

(المذيع): وهل حدث شيء أيضا تلك الليلة؟

(كوثر): نعم.. عندما أوينا للنوم جميعًا بقي اثنان من إخوتي يلعبون في غرفة المعيشة بألعاب الفيديو وبعد أقل من ساعة سمعنا صراخهم قادمًا من الطابق السفلي فخرجنا جميعًا من غرفنا لكن أبي منعنا من النزول ونزل بنفسه.. علمنا لاحقًا أن شخصًا دخل عليهم ونهرهم بقوة لأنهم لازالوا مستيقظين وأمرهم بالذهاب لفراشهم فورًا..

(المذيع): كل هذا في اليوم الأول؟

(كوثر): نعم لكن مع مرور الأيام بدأ الجميع يتعرض لحوادث منفصلة وتدريجيًا بدأنا لا نتحدث عمَّا كنا نمر به لأننا لاحظنا أن ذلك يحزن أبي كثيرًا.. كنا نتحدث من وقت لآخر عمَّا يحدث لنا مع بعضنا البعض لكن لم أعلم بسر المنزل بأنه مسكون إلا بعد أسبوعين تقريبًا عندما ألححت على أمي وأخبرتني.

(المذيع): وما الذي جعلك تنتظرين كل هذه المدة ألم تتعرضي لشيء خلالها.

(كوثر): بلى لكن كل ماكنت أتعرض له خيالات وأمور أشاهدها لكن بعد مرور أسبوعين تعرضت لشيء مخيف جدًا دفعني لتقصي حقيقية المنزل وبإصرار..

(المذيع): ما الذي حدث؟

(كوثر): كنت نائمة في غرفتي وقت الظهيرة وخلال نومي أحسست بشخص يندس معي في الفراش.. كان جسمه صغيرًا فتوقعت أنها أختي الصغرى لأنها تقوم بذلك من وقت لآخر..

(المذيع): ألم تكن أختك؟

(كوثر): لا.. لقد كان شيئًا برائحة كريهة وعندما رفعت الغطاء لأرى مصدر الرائحة رأيت مسخًا مخيفا جدًا وبمجرد أن أغمضت عيناي وصرخت اختفى..

(المذيع): وماذا فعلتِ؟

(كوثر): لم أفعل شيئًا سوى مواجهة أمي التي أخبرتني بأن المنزل مسكون وهذا هو سبب رخص سعر إيجاره.

(المذيع): الحمد لله أنكم خرجتم منه بسلام (كوثر): علاقتنا لم تعد كالسابق فخلال إقامتنا في ذلك المنزل كثرت المشاكل بيننا وأحد إخوتي أصيب بمرض خطير لم يشفَ منه حتى الآن وأغلب إخوتي متخاصمين فيما بينهم الآن وأبي كاد أن يطلق أمي أكثر من مرة.

(المذيع): قد لا يكون ذلك بسبب المنزل.

(كوثر): أنا متأكدة من أن ذلك المنزل اللعين كان السبب.

(المذيع): شكرًا يا (كوثر) على مشاركتك وكنت أود سماعك أكثر لكننا نرغب في إتاحة الفرصة لبقية المستمعين.

(كوثر): أتفهم ذلك شكرًا لاستماعك.. في أمان الله.

(المذيع): معنا الآن اتصال من (غدير) تفضلي..

(غدير): السلام عليكم.. أرغب في المشاركة..

(المذيع): وعليكم السلام تفضلي يا (غدير) نحن منصتون (غدير): لدي عادة غريبة أمارسها منذ الصغر كنت أحب دائما التحديق في نفسي في المرآة.. ليس التحديق فقط بل الحديث كذلك.. كل من علم بهوايتي هذه ينعتني بالمجنونة لكني لا أكترث.. أحب نفسي في المرآة ليس غرورًا بشكلي ولكني أجد راحة غريبة في تجاذب الحديث مع نفسي ورؤية تعابير وجهي وأنا أتحدث..

(المذيع): الكثير يفعل ذلك على ما أظن لا أجدك غريبة..

(غدير): لكني أكره ذلك الآن.. لقد تخلصت من جميع المرايا في غرفتي وأسعى للتخلص منها في منزلنا بالكامل لكن مقاومة أهلي تعطلني.. لم أعد قادرة حتى على رؤية انعكاس وجهي في الماء أو على أي سطح عاكس.

(المذيع): وما سبب هذا التحول المفاجئ؟

(غدير): كنت دائمًا أثق في انعكاسي في المرآة وفي ما سيقوم به من محاكاة لحركاتي ووقفاتي لكن هذه الثقة تهشمت عندما حدقت مطولًا يومًا في المساء عن قرب في مرآة دورة المياه الخاصة بي داخل غرفتي دون إظهار أي تعبير لمدة تجاوزت الخمس دقائق كان طرف أنفي يكاد يلمس المرآة من شدة الاقتراب. انتهى تحديقي الصامت وتحول لصرخة مدوية عندما لمحت انعكاسي يبتسم لأقل من ثانية أمامي.. لم أكن متأكدة مما رأيت لأن تركيزي كان منصب على عينيي لكني أكاد أقسم وقتها أني رأيت انعكاس شفتاي في المرآة ينحني لابتسامة بسرعة خاطفة ويعود لطبيعته بسرعة.

(المذيع): ربما كنتِ تتخيلين ما حدث.

(غدير): هذا ما أخبرت به نفسي قبل خلودي للنوم تلك الليلة لكن تلك القناعة تبددت في منتصف الليل عندما استيقظت بسبب نقرٍ متواصلٍ على المرآة قادمًا من دورة المياه في غرفتي.. نهضت وأشعلت الإضاءة وحدقت في المرآة وفي انعكاسي لدقائق لكني لم أرَ أو أسمع شيئا..

(المذيع): وماذا حدث بعد ذلك؟

(غدير): هممت بالعودة إلى فراشي لكن وبمجرد رفعي للحاف سمعت النقر مرة أخرى وكان هذه المرة بشكل أقوى وبتسارع أكبر.. عدت لدورة المياه بسرعة قبل توقف النقرات ودخلت ووجهت نظري مباشرة للمرآة فلمحت انعكاسي منحني وينقر بأصبعه على المرأة من الطرف الآخر لكنه عندما رآني عاد بسرعة خاطفة لوضعه الطبيعي.. سرعته كانت سريعة وخاطفة لدرجة أني تساءلت عما إذا كنت واهمة أم لا..! لكن الحقيقة جاءتني وهزت كياني عندما حاولت أنا النقر على المرأة فقد صرخ انعكاسي صرخة حادة ومدوية أفقدتني الوعي..

(المذيع):...

(غدير): استيقظت في اليوم التالي لأجد زجاج مرآة دورة المياه مهشم بالكامل والزجاج متناثر حولي وجسدي مصاب ببعض الجروح جراء تقلبي خلال إغمائي.. لم أعد أمارس هوايتي ولم أعد أنظر في المرايا لكن من وقت لآخر ألمح نفسي صدفة في زجاجة محل أو مرآة تباغتني على حين غفلة مني في منزل أحدهم ومن بين تلك الصدف أكاد أجزم أني ألمح انعكاسي يبتسم من وقت لآخر..

(المذيع): شكرًا (غدير) على مشاركتك.. لنأخذ استراحة مع الإعلان ثم نعود لكم عدنا أعزائي المستمعين ومعنا اتصال آخر.. تفضل..

(المتصل ٢١): السلام عليكم.. سعيد لأني تمكنت من الاتصال بالبرنامج.

(المذيع): ونحن أسعد بمشاركتك.. هل يمكننا التعرف عليك..

(المتصل ٢١): أفضل الاحتفاظ به سرًا نظرًا لطبيعة عملي..

(المذيع): هل تعمل في جهة أمنية؟

(المتصل ٢١) وهو يضحك: في الواقع أنا لص (المذيع) باستغراب: لص؟

(المتصل ٢١): نعم لص.. لص سابق لقد تبت الآن (المذيع): قرار حكيم (المتصل ٢١): مشاركتي هي نوعًا ما سبب توبتي (المذيع): كيف؟.. أخبرنا..

(المتصل ٢١): أسرق للمتعة وليس للحاجة.. أجد متعة غريبة في السرقة.. سرقة الأغنياء تحديدًا أحب إفراغ القصور من كنوزها.

(المذيع): وهل تتصدق بها مثل روبين هود؟

(المتصل ٢١) وهو يضحك:

لا بل أحتفظ بها لنفسي.. لست كريما لهذا الحد (المذيع): أكمل..

(المتصل ٢١): طريقتي بسيطة.. أقوم بالعمل في القصر الذي أرغب في سرقته لفترة وجيزة إما كحارس أو سائق أو أي عمل آخر يمكنني من خلاله حفظ روتين أصحاب المنزل وإيجاد الثغرات في ذلك الروتين كي أستغلها لسرقة محتوى القصر وبالطبع يكون ذلك بعد أن أقدم استقالتي قبلها بفترة لا تقل عن شهر كي أبعد عني الشبهات..

(المذيع): وهل تنجح هذه الطريقة؟

(المتصل ٢١): لم تخب معي قط.. إلا مرة واحدة.. وهي المرة التي قطعت العهد على نفسي أن لا أعود بعدها للسرقة أبدًا (المذيع): ماذا حدث؟

(المتصل ٢١): كعادتي وضعت عيني على أحد القصور الكبيرة ولاحظت في بادئ الأمر أن القصر لا يسكنه إلا صاحبه وزوجته اللذان نادرًا ما يخرجان منه وكان عدد العاملين في القصر محدود فتقدمت لطلب العمل برسالة وضعتها في صندوق بريد المنزل والذي كان مخصصًا للجرائد اليومية.

(المذيع): بهذه البساطة؟

(المتصل ٢١): تستغرب لو أخبرتك أن هذه الطريقة تنجح في الغالب لا أعرف لماذا لكنها طريقة فعالة للحصول على عمل ربما لأن بعض الأغنياء يحبون من يتقدم لهم بطلبات مباشرة.. لا أعرف.

(المذيع): لا بأس أكمل..

(المتصل ٢١): حصلت على العمل بالرغم من وجود سائق آخر لصاحب القصر لكنه أوكل لي قضاء مشاوير أخرى خاصة كشراء الحاجيات وتسليمها لعمالة المنزل وقضاء حوائج زوجته من وقت لآخر مما مكنني من رصد مداخل ومخارج المنزل بدقة ومع مرور الوقت وجدت الثغرة التي أبحث عنها..

(المذيع): ماذا كانت؟

(المتصل ٢١): صاحب القصر وزوجته يسافران في السنة ثلاثة مرات أحدها تكون لفترة طويلة تمتد لثلاثة أشهر وخلال تلك الفترة يحصل جميع العاملين في القصر على إجازتهم السنوية الوحيدة ويكون خاليًا تمامًا (المذيع): وهل أمضيت سنة كاملة كي تحصل على تلك المعلومات؟

(المتصل ٢١): لم يكن الحصول على تلك المعلومة أمرًا شاقًا عندما تتحدث مع العمالة في المنزل خاصة إذا اعتادوا عليك..

(المذيع): وهل انتظرت حتى حل موعد تلك السفرة الطويلة؟

(المتصل ٢١): لا.. كنت أرغب في أن ينساني صاحب القصر وزوجته وكل من كانوا في القصر لذا قدمت استقالتي قبلها بشهرين تقريبا.

(المذيع): ألم يستغرب صاحب القصر من طلبك؟

(المتصل ٢١): بلى لكنني تحججت له بحجة مقنعة وهي بأني وجدت عملًا أفضل في مدينة أخرى لذا لم يمانع.

(المذيع): وماذا حدث بعد ذلك؟

(المتصل ٢١): انتظرت انقضاء الشهرين حتى تأكدت من خلو المنزل من أصحابه والعاملين فيه تمامًا وذهبت لأسرقه.

(المذيع): هل يعقل أن يترك صاحب القصر منزله بلا حراسه من أي نوع؟

(المتصل ٢١): لا طبعًا فقد كان يعتمد على كاميرات مراقبة استطعت تعطيلها بسهولة لعلمي المسبق بمكان مصدر تزويدها بالطاقة وكذلك كان يملك ثلاثة كلاب للحراسة تألفني جيدًا ولم تهاجمني عندما رأتني وكانت هذه الكلاب تحصل على طعامها من خلال إطعام أحد العمالة لها بين الحين والآخر بأمر من صاحب المنزل.

(المذيع): يبدو أنك خططت لكل شيء..

(المتصل ٢١) وهو يزفر: كل شيء ماعدا شيئا واحدا لم أتوقعه.

(المذيع): ما هو؟

(المتصل ٢١): عندما تجاوزت كل العقبات من كاميرات وكلاب توجهت لنافذة المطبخ والتي كنت على علم مسبق بأنها لا تقفل جيدًا بسبب علة فيها ففتحتها ودخلت للمنزل.. كان المنزل من الداخل مألوفًا نوعًا ما بالنسبة لي بالرغم من مساحته الشاسعة وغرفه المتعددة كنت ملمًا بالطابق الأرضي من القصر بحكم أني تجولت فيه أكثر من مرة عندما كانت السيدة تطلب مني حمل بعض الأغراض للداخل.

(المذيع): وهل كنت تعرف ماذا تنوي أن تسرق أم أنك فقط تتجول وتبحث حتى تجد شيئًا يستحق؟

(المتصل ٢١): خليط من الأمرين.. كنت قد لمحت لوحة جميلة وغالية الثمن في بهو المنزل وكانت هدفي الرئيسي لكني كنت عاقد العزم أيضا على استكشاف الطابق العلوي كذلك.

(المذيع): وهل وجدت فيه شيئًا يستحق السرقة؟

(المتصل ٢١): لم يتسنَ لي الوقت..

(المذيع): ماذا تقصد؟

(المتصل ٢١): بمجرد أن انتصفت في السلالم صعودًا حتى توقفت مكاني..

(المذيع): لماذا؟

(المتصل ٢١): رأيت.. رأيت شيئًا مخيفا ومزعجًا في نهاية السلم.. شيء كالغيمة السوداء لكنها بحجم وشكل جسم رجل.. كان بلا ملامح واضحة.. لم يملك سوى تلك الابتسامة العريضة والمشعة..

(المذيع): مشعة!!

(المتصل ٢١): نعم مشعة.. كانت أسنانه أو ما أظن أنها أسنانه تشع وتلمع.. بدأ بعد ابتسامته لي بإصدار زمجرة مخيفة..

(المذيع): لماذا لم تهرب من المكان؟

(المتصل ٢١): حاولت لكن أرجلي تجمدت مكانها وأنا أحدق به مرعوبًا ولم أكن أقوى على الحراك.. بدأ بالنزول تدريجيًا نحوي.. لم يكن يمشي بل كان.. كان وكأنه يحلق فوق السلالم.. لا أعرف.. كان المشهد مرعبًا جدا.

(المذيع): وماذا حدث بعد ذلك؟

(المتصل ٢١): زاد الرعب في صدري لدرجة أنني كنت أحس بنبضات قلبي القوية وهي تدك صدري وفي لحظة وجدت نفسي أجري بلا شعور للطابق السفلي متوجهًا للباب الرئيسي وحاولت فتحه لكنه كان مقفلًا فالتفت خلفي لأجد ذلك الشيء وقد انتهى من النزول عبر السلالم وبدأ بالتوجه نحوي وابتسامته المفزعة لا زالت مرتسمة على وجهه..

(المذيع): لماذا لم تتوجه لنافذة المطبخ التي دخلت منها؟

(المتصل ٢١): الخوف الشديد الذي اعتراني أنساني كل شيء لذا جريت بسرعة نحو أقرب غرفة رأيتها وهي غرفة استقبال الضيوف.. اختبأت خلف أحد أرائكها الكثيرة المنتشرة في تلك الغرف.. كنت أحاول كتم صوت أنفاسي الذي بدا لي مرتفعًا في الهدوء الذي يعم المنزل ولم يكسره إلا سماعي لصوت جمد الدم في عروقي..

(المذيع): ماذا سمعت؟

(المتصل ٢١): صوت خشن ومتحشرج يقول: «لا تحاول الاختباء» (المذيع): وماذا فعلت؟

(المتصل ٢١): نظرت من أسفل الأريكة فرأيت ذلك الشيء يدخل الغرفة ويحلق بسرعة باتجاهي ولم أجد نفسي إلا قافزًا من الشباك الذي خلفي مهشمًا زجاجه ومرتميًا على الأرض بجروح متفرقة..

(المذيع): وماذا حدث بعد ذلك؟

(المتصل ٢١): بدأت الكلاب تنبح فنهضت وجريت وخرجت من المنزل مثلما دخلت قفزًا من فوق السور ومنذ ذلك اليوم لم أعد للسرقة أبدًا لا في البيوت ولا غيرها..

(المذيع): شكرًا لاتصالك والحمد لله على توبتك.. لنأخذ اتصالًا آخر (المتصل ٢٢): آلو..

(المذيع): تفضل عرفنا باسمك.

(المتصل ٢٢): صباح الخير أنا (كمال) ولدي مشاركة.

(المذيع): تفضل..

(كمال): كنت أحفر يومًا في الصحراء بحثًا عن الفطر بعد يوم ماطر وهي هواية أمارسها من وقت لآخر وخلال الحفر تعرضت للأذى لأني كنت أحفر بيدي.. جرحت جرحًا بسيطا في إصبعي وعندما أمعنت النظر وجدت سكينًا صدئًا في المكان الذي كنت أحفر فيه.. التقطته وأعجبني شكل نصله الغريب بالرغم من أن الصدأ قد أكل معظمه.. أخذت السكين معي للمنزل لأني وقتها اعتقدت أنه قد يكون تحفه أثرية ذات قيمة وكنت أنوي عرضه على قريب لي مهتم بالأثار ويفهم فيها
(المذيع): وهل عرضت السكين عليه؟

(كمال): عدت متأخرًا للمنزل ذلك اليوم وقررت فعل ذلك لاحقا.. أويت للفراش قبل منتصف الليل ووضعت السكين في الدرج المجاور لسريري.. بعد عدة ساعات استيقظت بسبب ألم مفاجئ في صدري.. أشعلت النور وتفاجأت عندما رأيت السكين منتصبًا ورأسه مرتكزا في صدري.. لم يغرس بالكامل لكنه أحدث جرحا صغيرًا برأس النصل.. قمت مفزوعًا بعدما ضربت السكين بيدي وأوقعته على الأرض.. أحسست بالدوخان فجأة وخشيت أن الصدأ قد نفذ إلى جسدي بسبب الجرح الذي كان في إصبعي وصدري فنهضت من الفراش وتوجهت للمستشفى.

(المذيع): لماذا لم تذهب عندما جرحت أول مرة؟

(كمال): لم أكن أظن أن الأمر مهم خاصة وأني لم أشعر بأي تعب.. على أي حال.. وصلت للمستشفى وأخبرت الطبيب أني جرحت نفسي بمسمار صدئ فوجهني للمختبر لأجراء تحليل للدم لتأكد بأني لم أتعرض للتسمم.

(المذيع): وهل كانت النتيجة سلبية؟

(كمال): خلال انتظار نتيجة التحليل تدهورت حالتي ولم ينتظر الطبيب النتيجة وبدأ بحقني بمضادات تسمم الصدأ لكنها لم تجدي معي.

(المذيع): لماذا؟.. ألم تكن مسمومًا بالصدأ؟

(كمال): كنت مسمومًا لكن ليس بالصدأ.. نتيجة التحليل أظهرت أني تعرضت لسم مختلف تمامًا.. كان شبيهًا في تركيبه لسم العقارب لذا سألني الطبيب مرارا قبل أن أفقد وعيي عن شكل العقرب الذي لدغني لكني لم أستطع اقناعه بأنني لم ألدغ من قِبل عقرب..

(المذيع): كيف تعامل الطبيب إذا مع حالتك؟.. أنت تتحدث معي الآن مما يعني أنك نجوت ولله الحمد..

(كمال): نجوت نعم لكن السم كان قويًا جدا، وفتك بالكثير من أعضاء جسدي قبل أن يستطيع الطبيب السيطرة عليه بأحد الأمصال.. أنا الآن مشلول بالكامل وأمي هي من يمسك لي سماعة الهاتف وأنا أتحدث معك..

(المذيع):...

(كمال): عندما عدت للمنزل من المستشفى بعد أسابيع لم أجد السكين ولم يره أحد من أهلي أو يأخذه.. لقد اختفى بكل بساطة..

(المذيع): أتمنى لك الشفاء العاجل.. لنأخذ اتصالًا آخر..

(المتصل ٢٣): هل أنا على الهواء؟

(المذيع): أنتِ على الهواء تفضلي..

(المتصل ٢٣): أنا (دانة).. حدثت لي حادثة بسيطة قبل سنوات وأحب المشاركة بها..

(المذيع): تفضلي..

(دانة): أبي يعمل متطوعًا في أحد الجمعيات الخيرية وكانت مهمته جمع الملابس التي يتصدق بها الناس وفرزها وغسلها ومن ثم تغليفها وتوزيعها على المحتاجين وكان يستعين بي أنا وأخواتي لمساعدته في فرز تلك الملابس عندما يقوم بجمعها وإحضارها للمنزل، ولأنه كان يثق بنا فقد كان يتركنا نعمل أحيانًا وحدنا لأنه وكما كان يقول يريد أن يشركنا في الأجر.. ذات يوم وقعت عيني على كنزة جميلة جدًا ومن الواضح أنها غالية الثمن، ولم أصدق أن أحدًا وهبها للصدقة..

(المذيع): الأصل أن المسلم يتصدق مما يحب وليس مما يكره.

(دانة): بت أعرف ذلك الآن، ولكني في ذلك الوقت كنت صغيرة وجاهلة.. المهم.. أردت تلك الكنزة لنفسي فانتظرت حتى ذهب إخوتي وأخذتها وخبأتها في غرفتي..

عاد أبي وأخذ الملابس التي قمنا بفرزها ولم ينتبه أنها ناقصة واحدة لأنها كانت كومة كبيرة ولم يعدها قبل أن يسلمها لنا..

(المذيع): ألم ينتبه أحد من أخواتك أو أهلك أنك تملكين قطعة ملابس جديدة؟

(دانة): لا فلقد كنت حريصة على ألَّا ألبسها أمامهم.. كنت أستمتع بلبسها وحدي والنظر لنفسي أمام المرآة وأنا ألبسها، ولم ألبسها يومًا أمام أحد..

(المذيع): ما الفائدة من أخذها إذا؟

(دانة): كنت أريدها فحسب.. أمر قد لا تفهمه لكن كان هذا شعوري وقتها (المذيع): لا بأس أكملي..

(دانة): احتفظت بالكنزة لمدة تجاوزت الأسبوع وكنت ألبسها بعدما أغلق باب غرفتي بعدها أقوم بخلعها وتخبئتها مرة أخرى لكن في أحد الأيام لبستها بعد عودتي من المدرسة مباشرة وكنت مرهقة وغفت عيني على سريري وأنا ألبس تلك الكنزة وهنا حدث ما حدث..

(المذيع): ماذا حدث؟

(دانة): رأيت فتاة في نفس عمري تقريبًا وكانت تبدو مستاءة جدًا وكانت تنظر لي بغضب وتشدني من لباسي وتقول «اخلعيه!.. اخلعيه!..» استيقظت ولم أعطِ الأمر أهمية ولكن عندما خلدت للنوم في المساء زارتني نفس الفتاة في منامي وقالت بصوت مرتفع أقرب للصراخ: «لماذا سرقتيها؟!.. لماذا سرقتيها؟!» استيقظت مفزوعة هذه المرة وبدأت أفكر في الشيء الذي كانت تقصده تلك الفتاة في منامي فلم أجد سوى تلك الكنزة التي أخذتها من كومة الملابس المعدة للتبرع.

(المذيع): وهل أعدتِ الكنزة لأبيك؟

(دانة): قررت ذلك فعلًا بيني وبين نفسي قبل أن أحاول العودة للفراش مرة أخرى لكن تلك الفتاة أبت أن تتركني وشأني وعادت في منامي وهي بصورة مرعبة جدًا وتصرخ وتلطمني على وجهي وتقول:«لا تحرميني!.. لا تحرميني!» (المذيع): ماذا حدث بعد ذلك؟

(دانة): لم أستطع النوم تلك الليلة بالطبع وبقيت مستيقظة حتى الصباح إلى أن استيقظ أبي وأعطيته الكنزة وأخبرته أننا نسيناها بالخطأ فابتسم وقال «بارك الله فيك» ومنذ ذلك الوقت لم تزرني تلك

الفتاة مرة أخرى ونسيت الموضوع تمامًا حتى زارتني قبل أسابيع في منامي وكانت مبتسمة ولم تتحدث معي لذا تذكرت الموضوع (المذيع): شكرًا لمشاركتك يا (دانة).. المخرج يشير لقرب انتهاء وقت البرنامج لذلك سنأخذ آخر اتصال معنا الليلة.. تفضل (المتصل ٢٤): صباح الخير.

(المذيع): صباح النور تفضل ماهي مشاركتك..

(المتصل ٢٤): بصراحة ليس عندي مشاركة ولكن عندي طلب..

(المذيع): طلب؟.. تفضل.

(المتصل ٢٤): برنامجك السابق كان لتفسير الأحلام أليس كذلك؟

(المذيع): نعم صحيح لكنه ألغي منذ أشهر (المتصل ٢٤): أعرف لكنني أتمنى أن تفسر لي حلمي.. هذا هو طلبي..

(المذيع): لم أعد أفسر الأحلام..

(المتصل ٢٤): أرجوك..

(المذيع):...

(المتصل ٢٤): الحلم متكرر ويزعجني كل ليلة.

(المذيع): حسنًا تفضل لكن أرجو من السادة المستمعين أن لا يتصلوا بالبرنامج لطلب تفسير الأحلام في المستقبل لأني لن أفعل (المتصل ٢٤): شكرًا لك.. أحلم كل ليلة بثلاثة غربان.. غراب أسود وغراب أبيض والثالث بلا ريش.. الغراب الأسود أعور ويجلس على كتفي الأيمن وينعق بقوة في أذني كلما قررت المشي، والغراب بلا ريش يجلس على كتفي الأيسر وينقر كتفي ويعض أذني أيضا كلما قررت التحرك للأمام، أما الغراب الأبيض والذي هو أكبرهم حجمًا يجلس على رأسي فقط ولا يفعل شيئًا على الإطلاق سوى النظر إليهم وإطعامهم بفمه من وقت لآخر.. هل من تفسير لهذا الحلم؟

(المذيع): نعم هل ترغب بسماعه..

(المتصل ٢٤): لم أتصل إلا رغبة في تفسيره..

(المذيع): كما تشاء وتذكر أن العلم عند الله والتفسير ليس بيقين لكنه مجرد تعبير لرموز الرؤية..

(المتصل ٢٤): حسنًا.. أنا منصت..

(المذيع): الغربان في الحلم هي العوائق الثلاثة التي تعيقك عن التقدم والمضي قدمًا في حياتك.. الغراب بلا ريش هو الإحساس بالعيب والخجل من بعض الأمور التي لا علاقة لها بهما لكنهما يمنعانك من استكشاف وتجربة الكثير في حياتك القصيرة، أما الغراب الأسود فهو الخوف الذي يشل حركتك كلما عزمت على المضي قدمًا في مستقبلك القابع أمامك ويجعلك متسمرًا في مكانك تراه لكنك لا تستطيع الوصول إليه.

(المتصل ٢٤): وماذا عن الغراب الأبيض..؟

(المذيع):.. الغراب الأبيض هو أسوأهم.. هو الذي يبقي بقية الغربان على قيد الحياة ليستمروا في تعذيبك وتقويض حياتك.. هو من يجدد قوتهم بإطعامهم كلما ضعفوا بسبب مقاومتك لهم.. هو أساس المشكلة بل هو المشكلة بحد ذاتها..

(المتصل ٢٤): وماذا يكون هذا الغراب الأبيض؟

(المذيع): الأمل..

(المتصل ٢٤):...

(المذيع): شكرًا لاتصالك.. كنتم مع برنامج (هذا ما حدث معي) نرجو أنكم استمتعتم بحلقة هذا الأسبوع ونراكم الأسبوع القادم بإذن الله في نفس الموعد..

إلى اللقاء.. وتصبحون على خير